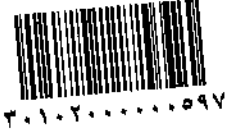


# سهيل ادريس

وقصصه



رسالة قدمت الى معهد الاداب الشرقية

في جامعة القديس يوسف في بيروت

لتيسل

شهادة الماجستير في الادب العربي

بإشراف الدكتور

اسعد احمد علي

٥٩٧

اعداد



مصطفى محمد حسين شهاب

١٩٩٦ - ٥ - ١٩٩٦ م

Handwritten signature and date: 11/2/1996

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ  
=====

الاهـبـداهـ

لقيد عايشة المسؤولين في وزارة المواصلات أكرم  
من عشرين سنة ، كنت خلالها ألقى النفوس الخيرة ،  
والقلوب المحيية الكبيرة ، التي كان لها أكبر الأثر في  
نفسى ، وعلى مستقبلسى .

واعترافاً منى بما لاقيته من عناية ، ومحبة ، وتوجيه  
لا يسعنى إلا أن أهدي دراستى هذه إلى وزارة المواصلات  
الممثلة بشخص وزيرها الموقر سعادة الأخ سليمان حمود الخالد .

فإليك يا صاحب المعالي أقدم دراستى هذه

مصطفى شهاب

الشؤون الجمركية - منطقة وارد الجو

المقدمة  
=====

اخترت سهيل ادريس وقصه موضوع الرسالة الماجستير في الأدب العربي لأسباب تتعلق بي من جهة ، وأسباب تتعلق به من جهة ثانية .

فبالأسباب التي تتعلق بي ، تعود إلى أن القصة رفيقة حياتي ، منذ كنت طالبا على مقاعد الدراسة الثانوية ، حيث شغفت بها ، فأكثر من قراءتها ، تلك القراءة التي دفعتني الى التعبير عن شغفي بشأنها آثار نشرتها هي : " فتاة مع الأيام " و " حب ودما " و " دما على الجليد " و " سهام وغرام " ، و " جبهة الأقدار " و " معالي طريق العذاب " و " معالي طريق النصر " و " شطحات جامعيات " (١)

والأسباب التي تتعلق بسهيل ادريس ، الأديب اللبناني المعاصر ، هي كتابته خمسين قصة قصيرة ، في مجموعات قصصية ست ، وثلاث روايات طويلة ، وله محاولات صحفية ولغوية ونقدية ، وصاحب "مجلة الآداب" ، ولكنه مع كل هذا العطاء المتنوع الغزير لم يلق اهتماماً من الدارسين أو يدرس دراسة جامعية تامة (٢) .

هذان السببان ؟ شغفي بالقصة ، ونشاط سهيل ادريس الذي لفت نظري ، وأثر بي عبر حركته في أعماله القصصية والأدبية ، وعبر تحريكه للأدب والأدباء في مجلته ، دفعتني الى اختيار هذا الموضوع .

وأستطيع إضافة سبب ثالث ، يعتبر سببا خفيا ، وهذا السبب هو ، وطع نفسي في الجو القصصي من وجهة تقنية عبر دراستي لسهيل ادريس ، وعبر اخضاع دراستي لاشراف منهجي مختص ربيت من ورائه الى اكتساب منهجية واضحة في الكتابة عموما ، وفي كتابة القصة القصيرة والرواية خصوصا .

لأدعي أنني حققت الغاية كاملة من وراء هذه الأسباب ، لكنني حاولت ، ولا أتم ، فقد واجهت صعوبات تجاوزتها بفضل منهج الاشراف ، ومنهج المصادر التي بنيت عليها ومنها دراستي .

أما الصعوبات ، فكانت صعوبات زمانية ، ومكانية ، ومادية ، وقد تكون نفس الصعوبات التي تقابل كل دارس منهجي ، إضافة الى الحيرة والقلق ، والانفعال

(١) تواريخ النشر على التوالي (١٩٧٣ ط ٣) و ١٩٥٩ و ١٩٦٢ و ١٩٦٥ و ١٩٦٩ و ١٩٧١ و ١٩٧٣ و ١٩٧٥ م .

(٢) قدّم المستشرق الأمريكي : ما رك جريث دراسة عن رواية " الخندق العميق " نال عليها شهادة الماجستير من الجامعة الأمريكية سنة ١٩٧٤ م ، حيث ترجم الدراسة والرواية الى اللغة الانكليزية . وكانت هذه الدراسة الجزئية الوحيدة التي تناولت عملا واحداً من أعمال سهيل ادريس القصصية .

النفسى الذى يحاول أن يتحكم بمشاعر الدارس وهندسة عمارة بحثه . . .  
فالصعوبات الزمانية ، والمكانية ، صعوبات متلازمة ، لا تنفصل احداها عن  
الأخرى . . . وعلى سبيل المثال ، أنا أعمل موظفاً في الكويت ، والجامعة موجودة في  
لبنان ، وهذا يعني صعوبة الاتصال بالاستاذ المشرف زماناً ومكاناً ، فاما أن ألحق  
به الى لبنان - وكان ذلك أكثر من مرة - أو أن يمر الاستاذ المشرف عبر الكويت  
بزيارة عابرة ، وكنت في كل مرة أحظى بشرف توجيهاته أمير مخطط الدراسة حتى صارت  
الى ماهي عليه ، بعد الملاحقة الثالثة في دمشق . . .

ومهما كانت تلك الصعوبات التي واجهتني ، فقد استطعت أن أذلها بوساطة  
المصادر والمراجع وفضل الاشراف الموجه عن طريق الصبر وحسن الاختيار ، فقد استطعت  
أن أستغل اجازاتي السنوية ، وعطلي الرسمية منذ سنة ١٩٧٤ حتى ١٩٧٦ ، مع  
الحصول على اجازات دراسية بدون مرتب ، حتى استطعت التغلب على هذه الصعوبات  
التي أثمرت هذه الدراسة التي أنستني كل جهد وتعب ، كما أنستني حدود الزمان  
والمكان الذى كنت ملتزماً به .

وبالصعوبات وتذليلها عانيت الكتابة المنهجية التي اعتبرها ثقيلة عليّ وجديدة ،  
لكنها أخذت بيدي لبناء دراستي بالصورة التي جاءت عليها . . .

أما الغاية التي أتوخاها من أعمال سهيل ادريس ، فهي أن على الفكر العربي  
الذى عاش في العالمين : الشرقي والغربي ، أن يمتنع شيئاً لبلده ، ليردم جـور  
الاطّاء والتزمت ويصعد به ليكون بلده في طليعة البلاد المتحضرة ،

في هذه الأعمال صور لهذا التدرج ، من " الخندق العميق " الى " الحي  
اللاتيني " ثم العودة الى البداية ، والكفاح له ليكون الحياة للحي العربي . . . وكل  
هذه الاعمال تؤرخ ، بصورة ما لحياة مؤلفها الصاعدة من " الخندق العميق " ممثلة  
حياة أمته المكافحة لتصعد من خندقها العميق الى حياها المشرق .

من هنا غاية أعمال سهيل ادريس وأهميته ، فقد تحدث أثرًا في نفوس الشباب  
العرب الذين يظن بعضهم أن مهمتهم تنتهي في مقارعة آبائهم وأمهاتهم للتغلب على  
تزمتهن والتعويض عن كذب التربية الشريقية لا لئلا يحلال الجنس يعيشونه في " الحي اللاتيني " .  
أو ما يشبهه . . . إن أعمال سهيل ادريس تبشّر بالمرحلة الثالثة ، وهي مرحلة العودة  
الى الاصول واحتضانها لتحيا بثور الفروع فتنتفع جيل الشيوخ ، وجيل الشباب (١) .

---

(١) في " الاسلام كما بدا " دعوة الى الأصول ، يمكن الاطلاع عليه ، وكذلك  
مقدمة أسطورة الصحراء ، والطلاب وانسان المستقبل للدكتور أسعد علي .

كانت مصادر ومراجع هذه الدراسة نوعين ؟ نوع مطبوع ، ونوع مسموع .  
فالمطبوع ، كانت المراجع التي تتحدث عن القصة لغة واصطلاحا وتاريخا ، من  
أهمها : " تطور الرواية العربية " للدكتور عبد المحسن بدر ، ودراسات في القصة العربية  
الحديثة لسحمد زغلول سلام ، " وفن القصة " و " القصة في الأدب العربي الحديث "   
لسحمد يوسف نجم ، وكتاب النقد الأدبي ، وكتاب الأدب المقارن لسحمد غنيمي هلال .  
وكتاب دراسات في القصة والمسرح ، وكذلك محاضرات في القصص في أدب المغرب  
لمحمود تيمور ، وكتاب الواقعية في الرواية العربية ، للدكتور محمد حسن عبد الله .

أما المصادر ، فكانت قصص سهيل ادريس الخمسين ، ورواياته الثلاث ، ومجلته  
ومشاركاته .

أما المسموع ، فكانت المقابلات التي أجريتها مع سهيل ادريس نفسه ، وارشادات  
الأب ميشال آلدر ، رئيس المعهد بمرحمه الله - كانت ارشادات قيمة ، بالإضافة  
الى ملاحظات الاستاذ المشرف الذي لم يبخل بأي جهد على طلابه ، الذين يأخذون  
كل وقته .

وعلى ضوء ما تقدم من أسباب الاختيار والمصاعب ، والمصادر ، أتت رسالتي على  
ماهي عليه ، في هذه المقدمة ، وأربعة أبواب ، وخاتمة .

أما المدخل ، فأطلقت عليه كلمة المقدمة ، واعتبرتها ضرورية للدخول الى هذه  
الدراسة ، حيث بواسطتها نتعرف على بواعثها وغاياتها ، ومصادرها ، وقيمتها  
والقائمين عليها .

الباب الأول ، أطلقت عليه " سهيل ادريس " لأنه يمثل عماد هذه الدراسة  
فجعلته في فصلين ؟

تناولت في الفصل الأول ؟ " مناشط حياته ؟ منذ ولادته عام ١٩٢٥م حتى نهاية  
عام ١٩٢٥م ، حيث تحدثت عن مولده ، ونشأته ، ودراسته ، وجعلت دراسته  
على مرحلتين : مرحلة قبل سفره <sup>الى</sup> لبنان ، والمرحلة الثانية ، بعد عودته من فرنسا ،  
وتكلمت عن فترتي عمله : قبل سفره ، وبعد سفره . وتحدثت في هذا الفصل ايضا عن  
آثاره الأدبية وعقيدته الفكرية والسياسية حديثا مبدئيا لعودتنا الى جميع هذه الأمور  
بالتحليل والدراسة في الأبواب التالية ، ولكنني أسهبت - نوعا ما - في شرح الأوضاع  
السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في لبنان ، لما لهذه القضايا من أثر  
على سهيل ادريس .

وفي الفصل الثاني : تناولت آفاق عصره في بيئته : لبنان وفرنسا ، خلال

الأربعينات والخمسينات ، وركزت على النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعوامل المحركة لها ، وأثرها عليه ، وبينت الى أي مدى استجاب أو رفض هذه الأمور ، واستطاع أن يعكسها من خلال كتاباته .

ومن خلال هذا الباب ككل وصلنا الى نتيجة معينة ، نرى من خلالها مدى تأثير الحياة التي عاشها سهيل ادريس في لبنان وفي فرنسا ، في بناء ذاته من جهة ، وفي بناء معطياته الأدبية من جهة ثانية .

والباب الثاني ، أطلقنا عليه عنواناً هو : القصة ، اطارا ، وتخطيطا ، لارتباطنا بالحدث عن قصص سهيل ادريس ، وجعلناه في مدخل ، وفصلين ، وخاتمة . حددنا في المدخل مفهوم القصة ومعناها ، ومهدنا عبر هذا المدخل الى موضوع بحثنا ، عبر فصلين :

تناولنا في الفصل الأول ، القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ ، حيث حاولنا تتبع الأصول التاريخية والفنية التي أوصلت القصة الى ما هي عليه الآن ، بعد أن كانت فنا مهملًا غير ذي شأن ، وقد حاولنا بقدر الامكان أن نوجز هذه الأصول حتى تصبح دراستنا واضحة الدلالة .

وتناولنا في الفصل الثاني : فن القصة ، ولم نهمل تحديد كلمة " الفن " فسي اللغة وفي الاصطلاح ، كما لم نهمل الحديث عن عناصر القصة الفنية التي - من خلالها - تصدر أحكامنا على أعمال سهيل ادريس القصصية والروائية .

ثم ختمنا هذا الباب بخاتمة ، بعد أن أشرنا الى مصادرنا ومراجعنا الرئيسية التي ساعدتنا في تكوين هذا البحث .

والباب الثالث ، سميناه : أعمال سهيل ادريس ، تناولناه في مدخل وفصلين وخاتمة .

وهذا الباب يعتبر الركن الرئيسي في عمارة هذه الدراسة ، حيث بسطنا أعمال سهيل ادريس تحليلاً ونقداً . ووضعنا بالتحليل خلاصة موضوعاتها أمام القارئ ليحس حركة سهيل ادريس الفكرية في حوالي ربع قرن ، ثم ألفتنا بالنقد الى قيمتها الفنية والاجتماعية ، وبالتالي أظهرنا دور الثقافة والفن في بناء الانسان ، فرداً وجماعة .

وحاولنا في هذا الباب دراسة أعمال سهيل ادريس تعبيراً عن تأثيراته وموحيته ثم الاشارة الى مشاركته في الأدب الحديث بأوجه نشاطه المختلفة التي منها أعماله . وفسي أعماله ركزنا على النتاج القصصي ، والروائي ، وبيزنا بينهما .

في أعماله القصصية ، درسنا صور الأسلوب توصلنا الى المعاني المتأثرة بالواقعية؛  
واقع الكاتب الفردي ، رواقع الأمة القومي و رأينا أن القصص القصيرة ، عند سهيل  
ادريس لاتعد ووقائع هذين الواقعيين ، كيفما جاء لون المعالجة .

جعلنا الفصل الأول ، يتناول أقاصيص سهيل ادريس ، في أربعة مباحث ،  
حللنا في كل مبحث قصة قصيرة ، وهي على التوالي : العراء - القراءة في العيون  
المغمضة - أشواق - وقصة رحماك يادمشق .

وجعلنا الفصل الثاني ، يتناول روايات سهيل ادريس ، في أربعة مباحث أيضا  
جعلنا كل مبحث لرواية واحدة من رواياته الثلاث ، أما المبحث الرابع ، فخصصناه لهذه  
الروايات الثلاث في مرایا النقد ، حيث استعرضنا بعض الأقوال التي قيلت في هذه  
الأعمال ، وتناولناها بالتحليل والنقد .

وحددنا في الخاتمة قيمة هذا البحث ، وإطاره وأبعاده ، وانتقلنا بهوساطته  
الى الباب الرابع .

والباب الرابع ، جعلناه مختصاً بنشاطات سهيل ادريس المشتركة ، في  
تمهيد وثلاثة فصول .

تناولنا في الفصل الأول ، " مجلة الآداب " بعد أن تناولنا الصحافة الأدبية  
في العالم العربي ، وأظهرنا ما لهذه المجلة من أثر في نقل الكلمة العربية الى أصحابها  
المتعطشين لقراءتها ، بما تحمله من كل شيء جديد في الأدب ، والسياسة ، والفلسفة  
والاجتماع ، سواء هذا الجديد كان مترجما عن اللغات الأجنبية ، أو ابداعا أنتجته  
العقول العربية . كما أظهرنا أن هذه المجلة ما هي إلا جسرا ، يستطيع القارئ العربي  
أن يهبط من خلاله منافذ الثقافات الأجنبية والعربية التي تخدم القضايا الثقافية والاجتماعية  
والسياسية والقومية .

وفي الفصل الثاني ، تناولنا أعمال سهيل ادريس اللغوية ، التي يمثلها  
قاموسه " المنهل " عربي / افرنسي ، بالمشاركة مع الدكتور جبور عبد النور ، وأظهرنا  
قائدته اللغوية لقراء العربية والباحثين عن معاني الألفاظ الفرنسية في مجال اختصاصاتهم

وفي الفصل الثالث ، تناولنا اتحاد الكتاب اللبناني ، من خلال قاموسه  
الأساسي ونظامه الداخلي ، كما تناولنا علاقته بمؤتمر الأدباء العرب ، والتزامه بحرية  
الفكر العربي ، والقضايا المصرية .

وساعدني بناء هذه الدراسة ، ومعاناته الطويلة تغييراً وتعديلاً وحذفاً  
وزيادة على كشف النتائج التالية ؟

١ - النتائج الذاتية ، ففهمي للنصوص في آخر المطاف يختلف عن فهمي لها في النهاية .

٢ - النتائج الغيرية ، وأعني أن سهيل ادريس ، دعا الى أمر لم يستطعه عندما عاد الى بلاده ، لكنه على كل حال ، حرك في نفوس قراءه أفكارا .

وهذان النوعان من النتائج الذاتية والغيرية ، طرحا عليّ أسئلة تحتاج أجوبة أحاولها في المستقبل إن شاء الله .

فأعرف أنّ كل كاتب يستطيع تحسين أدواته في الفهم ، لذلك أحاول دائما أستكشف الجديد فيما أعرفه وفيما لا أعرفه .

وسأحاول دراسة مجتمع الانسان في الأدب ، لكي أتوصل الى المفاتيح التي تفتح بها أبواب الامكانيات ، أعني بالامكانيات ، التحول من المعرفة النظرية الى الحياة التطبيقية العملية .

إن عملي هذا لم يكن قادراً على استيعاب كل ما أتى به سهيل ادريس من تجديد حيث باسشاطاعة الباحث - أي باحث - أن يجد الكثير الذي يحتاج الى تحقيق . فهناك المرأة ، وهناك القضايا الوطنية ، والسياسية ، كلها تحتاج الى دراسة وتحقيق من خلال أعمال سهيل ادريس ودوره في الأدب العربي الحديث .

وأخيراً ، عبر ما توصلت اليه ، وعبر ما أنتظر التوصل اليه لا يسعني الا أن أشكر الذين ساعدوني على بلوغ ما بلغت من جهة ، وحفزوا همتي لادراك ما أتوق اليه من كمال بالمعرفة والحياة ، وأخص من بين هؤلاء الأخ الدكتور أسعد علي ، الذي أشرف على هذه الدراسة ، وكان لي بمثابة الأخ والصديق ، استطعت من خلال نصائحه وارشاداته القيمة أن أهدم من أمامي الحاجز الكبير الذي يقف عنيدا بين الأستاذ والطالب .

وأشكر الأخ الدكتور سهيل ادريس ، الذي قدم لي جميع كتبه المتوفرة عنده ، ووعده بتقديم كل مساعدة أحتاج اليها .

وأشكر الأخ الدكتور محمد حسن عبدالله ، الذي ساهم في توجيهي الوجهة الشهبجية السليمة التي أفادتمني في بداية عملي في هذه الدراسة .

وأشكر رؤسائي في وزارة الواصلات بالكويت ، من معالي الوزير ، الى وكيل الوزارة ، الى مدير الشؤون الادارية ، الذين شجعوني على متابعة مسيرتي هذه وكلني أمل في أن تظل همتي قادرة على متابعة المسيرة ، لعلمي أستطيع أن أقوم



بدوري في الحياة بطريقة مفيدة وكريمة .

ولا يسعني الا أن أشكر الأخ فاروق ، أمين مكتبة حولي بالكهوت ورفاقه  
على تقدمهم لي من التسهيلات بالحصول على المصادر والمراجع التي أفادتني في بناء  
هذه الدراسة .

ولا أنسى أن أشكر زوجتي ، التي عملت كل جهدها من أجل تأمين الظروف  
المناسبة التي ساعدتني في إنجاز هذه الدراسة ولوعلى حساب راحتها .

فالى الجميع ، كل باسمه له مني أسى الشكر والامتنان . .



## الباب الأول

سهيل ادريس

تمهيد

١ - الفصل الأول : مناسط حياته ( ١٩٦٥ - ١٩٧٥ م )

٢ - الفصل الثاني : آفاق عصره في بيئته لبنان وفرنسا

خاتمة

## الفصل الأول

مناشط حياته (١٩٢٥-١٩٧٥)

- ١ - مولده ونشأته
- ٢ - دراسته
- ٣ - المرحلة الأولى من عمله
- ٤ - دراسته العليا
- ٥ - المرحلة الثانية من عمله
- ٦ - آثاره الأدبية .
- ٧ - عقيدته الفكرية والسياسية

## الباب الأول

سهيل ادريس

المدخل :  
=====

لماذا كان " سهيل ادريس " موضوع هذا الباب ؟

قد يرى الكثيرون أن " الأموات " أحق من الأحياء بالدراسة والتفكير ، لأن في دراسة تراثهم احياهم وتحديثا لهم . أما الأحياء - وكل حيّ قابل للتغيير ، والتعديل في مفاهيمه ومواقفه - فلا نستطيع دراستهم ودراسة تراثهم بشئ كل يمكننا من اصدار الأحكام ، التي تعطي صورة " واضحة " عن قيمهم الأدبية ، ومسالكم الأخلاقية ، وطرقهم الفنية التي يدنون بها ، وتمثل ما يدين به أبناء جيلهم ، الذي يؤثر فيهم من جهة ، ويتأثر بهم من جهة ثانية .

من أجل هذا ، وضعت لنفسي منهجا خاصا ، الزمنى أن أتناول " سهيل ادريس " قصاصا وصحفيًا ، أعرض من خلال منهجه ، الذي التزمه في عطاءه القصصي ، والأبعاد الفنية والاجتماعية والثقافية التي التزم بها أوعارضها عند غيره من كتاب القصة الذين عاصروه أو سبقوه . . كما أشرت الى الأثر الواضح في كتاباته لما كان يعانيه أبناء الشعب من مشكلات مختلفة عبر نصف قرن من الزمن .

وسهيل ادريس ، قصاص وصحفي ، هل استطاع أن يوفق بين الصحافة وكتابة القصة ، سواء كانت قصة قصيرة أو رواية خلال الفترة الزمنية التي بدأ الكتابة فيها ؟ إن دراستنا لأعماله القصصية تجيب على هذا السؤال ، ولكن أحكامنا على تراثه القصصي غير مرتبطة بما قد يكتبه هذا القاص فيما بعد هذه الدراسة ، لأن طبيعة الانسان الحي أن يتقدم أو يتأخر فيما قد يكتبه ، أو يقدمه من عدل ، وذلك متروك لأحكام أخرى وأن كان لها جذورها العميقة في هذه الدراسة .

ولكن ، ماهي المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في انشاء هذا الباب ؟ ان المصادر والمراجع التي اعتمدناها نرجع : نوع مطبوع ، وآخر مسموع . فالمطبوع : مجموعات سهيل ادريس القصصية (١) ورواياته الطويلة (٢) ، ومجلة الآداب (٣) .

(١) - ست مجموعات قصصية : (أشواق ، وسيران وتلوح ، وكلهن نساء ، والدمع المر ورحمك يادمشق ، والعراء ) .

(٢) - ثلاث روايات طويلة : (الحي اللاتيني ، والخندق الخميقي ، وأصابعنا التسي تحترق ) .

(٣) - مجلة الآداب ، صدرت سنة ١٩٥٣م ولا تزال مستمرة حتى الآن .

والمسوع : ما حصلنا عليه من مقابلة سهيل إدريس ومقابلة معارفه <sup>(١)</sup> .

وتمشياً مع هذه المصادر والمراجع ، جعلت هذا الباب في فصلين وخاتمة .

في الفصل الأول : تناولت " نشاطه حياته " وأشرت إلى الأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية منذ ولادته عام ١٩٢٥ حتى نهاية عام ١٩٧٥ م لارتباط هذا البحث بهذه الفترة الزمنية ، وحاولت - قدر الامكان - محاولة جادة أن اعطي فكرة عامة عن ملامح حياته المختلفة من خلال رواياته ، بالإضافة إلى ما حصلت عليه من معلومات شفوية من معادريها الاصلية .

وتناولت في هذا الفصل أيضا . مولده ، ونشأته ، ودراسته ، وقسمت دراسته على مرحلتين : المرحلة الاولى : الفترة التي قضاها في لبنان قبل سفره الى فرنسا ، والمرحلة الثانية الفترة التي قضاها في فرنسا . كما قسمت عمله الى مرحلتين : مرحلة عمله في لبنان قبل سفره الى فرنسا ، والمرحلة الثانية : بعد عودته من فرنسا ، كما تناولت آثاره الأدبية والفنية ، وعقيدته الفكرية والسياسية تناولاً مبدئياً لعودتنا إلى كل هذه الأمور بالتحليل والدراسة في الأبواب التالية .

وفي الفصل الثاني : تناولت أفاق عصره في بيئته: لبنان وفرنسا خلال الأربعينات والخمسينات ، وركزت على النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والموامل المحركة لها ، وأثرها عليه ، فإلى أي مدى استجاب إلى هذه الأمور ، واستطاع ان يمكسها من خلال كتاباته ؟؟

ومن خلال هذا الباب ككل نصل إلى نتيجة معينة ، نرى من خلالها مدى تأثير الحياة التي عاشها سهيل إدريس في لبنان وفي فرنسا ، <sup>في</sup> بناء ذاته من جهة ، ونسبي بناء معطياته الأدبية من جهة ثانية .

---

١ - مقابلة أجريتها معه يوم ١٩٧٥/١/٧ م في " دار الأدب " الساعة التاسعة صباحاً - بيروت

١- مولده ونشأته :

سهيل ادريس ، كاتب لبناني ، من مواليد بيروت سنة ١٩٢٥م<sup>(١)</sup> من أب هو " شريف ادريس " يقال أنه مضر بن الأجداد ، وأم هي " سهيلة غندور " من أسرة بيروتية عريقة .

كان والده " شريف ادريس " رجل دين ، وأمام مسجد ، الى جانب امتنانه التجارة التي نجح فيها خلال فترة شبابه ، ولكنه أخفق حين تجاوز الخمسين من العمر ، فعمل معاوناً في بعض المتاجر البيروتية .

ورغم ما وصلت اليه حالته الاقتصادية ، فقد حافظ على بقاء " حلقات الذكر " تعقد في بيته كل ليلة جمعة ، كما حافظ على استمرار دعواته لجماعته مرة كل شهر لتناول الطعام على مائدته ، مع أن عمله في المسجد لم يدخل عليه مساعدة مالية<sup>(٢)</sup> .

كل هذه الأمور حدثت وسهيل ادريس ، الطفل يراقبها ، ويتمنى أن يكون عضواً في جماعة والده ، لما كانوا يتمتعون به من احترام الآخرين . ولكن ، هل استطاع هذا الطفل أن يفرض عضويته على هذه الجماعة ؟ وما هي الأسباب التي ساعدت طفلاً مثله أن يصل الى ما تصبروا اليه نفسه ؟ هذا ما سنصل اليه من خلال كتاباته ، التي لنا حديث طويل معها ، حيث استطاع سهيل ادريس ان يصف طفولته من خلال بطل رواياته " سامي " وخصوصاً " الخندق العميق " نسبة الى الحي الذي كان مرتعاً لأبطال هذه الرواية في بيروت .

(١) - جاء في دائرة المعارف الكبرى " لاروس " طباعة باريس ١٩٦٨ ص ٤٧١ ، أن سهيل ادريس من مواليد سنة ١٩٢٣ . وفي سن العاشرة دخل المعهد الديني الذي تخرج منه بلقب الشيخ سهيل ادريس ، ولكنه لم يتأخر بخلع " العمامة والجبّة " ليعمل في الصحافة والأدب ، وبعد أن حضر رسالة الدكتوراه عن الرواية العربية المحاصرة (١٩٤٩ - ١٩٥٢) عاد بعدها الى بيروت ليؤسس مجلة الآداب سنة ١٩٥٣ . ومنذ ذلك الوقت بدأ يتابع نشاطه المحرك في الحياة الأدبية ، وكمترجم نقل الى العربية " دروب الحرية " لسارتر وفي الوقت نفسه نشر مجموعة قصصه " أشواق " سنة ١٩٤٧ و " نيران وثلج " سنة ١٩٤٨ و " الدمع المر " سنة ١٩٥٧ ورواية " الحي اللاتيني " سنة ١٩٥٧ ورواية " أصابعنا التي تحترق سنة ١٩٦٢ م .

× سهيل ادريس من مواليد ١٩٢٥ وليس من مواليد ١٩٢٣ ، وما ظهر من خلاف ناتج عن اضطراره الى زيادة عمره بغية السفر الى فرنسا للدراسة ، حيث منع من السفر لصغر سنه .

ورسالة سهيل ادريس كانت ١٩٥٢ ، أما ما ذكر في دائرة المعارف الكبرى " ١٩٤٩ - ١٩٥٢ " المقصود اقامته في فرنسا . هذا ما قاله لي شخصياً في مقابلة شخصية معه يوم ١٧ / ١ / ١٩٧٥ في دار الآداب ببيروت الساعة التاسعة صباحاً .

(٢) هذه الترجمة حصلت عليها من سهيل ادريس نفسه .

إن دخول سهيل ادريس الممهد الديني لم يكن وليد صدفة ، او صلا ارتجاليا ، بل سبقت  
لك مقدمات دفعت به الى الانتماء الى هذا المسلك الديني الذي انفرد به دون بقية افراد فائلته . .  
ومن هذه المقدمات :

١ - مشاركاته في " طقات الذكر " التي كانت تقام في بيت والده كل ليلة جمعة ، حيث تقدم  
الرجل نسخة من كتاب " دلائل الخيرات " وقال له . حاول ان تقرأ معنا <sup>(١)</sup> .  
٢ - فاجاه والده يوما في غرفته يتروم ببعض كلمات من " دلائل الخيرات " فأقبل عليه مندهشا ،  
يقول له : - " ان لك صوتا جميلا يا هويت <sup>(٢)</sup> " وقدم له صحفا مذهب الحواشي ، وشجعه على الاستمرار  
بهذه المحاولات .

٣ - وكان لهم قريب ثرى يفاخى الجماعة بحضوره بين حين وآخر ، فيشاركهم تلاوة القرآن والسيرة  
اقامة " الذكر " طلب منه أن يحفظ اربعين حديثا ، هي الاحاديث التي جمعها النووي ، وورده بحفلة حافلة ،  
هدية شينة لم يفصح عنها . <sup>(٣)</sup>  
٤ - وثمة دافع آخر كان يشده الى دراسة الدين وهو ، القول المأثور : " المصحة تاج العرب " <sup>(٤)</sup>  
ما كانت تدر " له " المصحة " على صاحبها من احترام وتقدير ، خصوصا في زمن تسيطر عليه الافكار الدينية،  
التقاليد التي تدور بظلالها . .

اختار سهيل ادريس دراسة الدين اختيارا ، وان كان هناك نوع من التوجيه المقصود

بحركه والده ، ليجعله خليفته من بعده .

ولكن ، ما كان موقف سهيل ادريس من الممهد الديني الذي مايشه فترة احوام اربصية <sup>(٥)</sup>  
ما كان موقفه من مدرسي هذا المعهد بعد ان انخرط بين تلاميذه ؟ هل بقيت الرغبة الشديدة هذه ام نسدم  
س اندفاعه . الذي فرض عليه الاقامة في المعهد من عام ١٩٣٦ حتى تخرجه عام ١٩٤٠ - رغم نصيحة  
لذته ، التي حاولت ان تشييه عن عزمه ، وتخبره انه قد لا يحتمل الحياة الدينية ، وهو بعد في تلك  
سنة . <sup>(٦)</sup>

بالعودة الى رواية الخندق العميق " نستطيع ان نلتص برأيه الصريح فيما وصلت اليه حالته

نفسية والصحية من هذا المعهد ، خصوصا بعد ان اصبح يقضي معظم أوقات فراغه في المكتبة التي كانت  
دها مشرات الكتب ، مربية واجنبية . . وكان على ثقة من ان هذه المكتبة ستشققه اكثر مما سيثقفه الملمون

- 
- |      |   |   |
|------|---|---|
| ٨ ص  | الخندق العميق   | - |
| ٩ ص  | المصدر نفسه   | - |
| ١٠ ص | المصدر نفسه   | - |
| ٢٠ ص | المصدر نفسه   | - |
|      | نشرة خاصة مطبوعة حصلت عليها من دار الآداب ، من اربع صفحات . | - |
| ١٩ ص | الخندق العميق   | - |

كما اخذ تملقه بالكتاب الذي كان يختاره هو نفسه يشتد ويمتد بمقدور ما بدأ يمل الكتاب الذي كانوا يختارونه له للدرس، كان يشعر بان هذا الكتاب نفسه قدمات مع صاحبه ، وصحفا يحاول اساتذة المهنة ان يهتوه في نفوس الطلاب (١).

من هنا نلمح ثورته على نظم التعليم التقليدية ، التي كانت تفرض عليه دراسة الدين بصورة تقليدية ، بعيدة عن روح البحث العلمي التي تتقي الاشياء ، وتجعلها وسيلة تثقيف وعضارة .

واذا تركنا ههنا الدراسة الدينية ، والقينا ضوءا على الدراسة الادبية ، التي كانت قائمة في المعهد الديني ، وجدنا ان ازمة عدم وجود المدرس المتخصص كانت قائمة في لبنان ، وخصوصا المدرس الذي يتقن دراسة الادب ، بدليل : ان وجود مدرس لهذه المادة كان غير متوفر في لبنان حيث ظلي الدلائل في المعهد ينتظرون مدرس الادب العربي اسابيع طويلة ، والناظر يمد همم بقدمه عما قريب من دمشق ، وكان قد مضى زها شهورين على بدء الدروس فلما وصل مدرس الادب العربي (٢) ولكنه فشل في تأدية رسالته ، لانه لم يكن مختصا بدراسة الادب بل كان مختصا " بصناعة التجارة " حيث اتى من يكشف للطلاب بهد ايام ان مدرسهم لم يكن الا نجارا في دمشق . وجاء صداقا لذلك ، نزوله يوما الى قاعة الصف وهو ينتمل " القهقبا " (٣) الامر الذي دفع سهيل ادريس الى التمتع في دراسة الادب ، والنظر اليه نظرة موضوعية حتى يشبع هذه الرغبة الطحة في نفسه ، وكان مدرسها يأتي به من دمشق ، ويكون متفلا على هذه الدراسة ،

ربما يكون في لبنان - الاسبق الى الحضارة الفرية والثقافة - مدرس ادب ، ولكنه غير مسلم ، وغير المسلم لا يحق له ان يكون مدرسا داخل معهد دين اسلامي ، الامر الذي يؤكد ان المسلمين في لبنان ، كانوا يتجهون اتجاه دينيا لاديبيا في تلك الفترة الزمنية ، حتى اضطرت ادارة المعهد الى استحضار استاذ آخر من دمشق ايضا ، ولكنه في هذه المرة كان يتدوق الكلمة والصورة والفكرة ، ويملك طاقة هجيمة على ان يحب الطلاب جميعا بها ، فلم يرض وقت تصير حتى اصبح الدرس الادبي اثر درس اليهم ، واحبه الى نفوسهم . وكانت دروس هذا المدرس الجديد هي التي فنت روح سهيل ادريس بالموهبة الادبية ، ورسمت له طريق مستقبلة (٤).

اذا ، فصب سهيل ادريس للادب كان له اساس عميق في طفولته ، استقاه من المعهد الديني ، الذي رطف فيه طفولته ، وكاد ان يصدق له لولا انه تدارك الامر ، ومو فكيف يتخطى هذا الصراع الذي فرضه على نفسه اول الامر ، والزمه فيه والده بعد ذلك ، ففرق في الكتابات واتسع افئق مدالعاته ،

كان نفوره من الدراسة المفروضة عليه يشتد ما شتد ميله الى العظيمة العرة (٥) اذا ، فنطق الخلاص من هذه الحياة المفروضة عليه هو نجاحه في الشهادة الحكومية ، التي يستشق امامه افقا جديدا ، اما اذا فشل ، فان هذه الجهة ، وهذه العمة ستلا زمانه . فاكب على الدراسة العلمية يتواصل نشيط ، حتى هلت النجاح مؤكدا ، ففي نجاحه ترك " هذا التاج " الذي يطلق راحته ويضيق عليه موضع تفكيره .

- |                  |           |
|------------------|-----------|
| ١ - الخندق الضيق | ص ٣٩ و ٤٠ |
| ٢ - المصدر نفسه  | ص ٤٢      |
| ٣ - المصدر نفسه  | ص ٤٣      |
| ٤ - المصدر نفسه  | ص ٤٤ و ٤٥ |
| ٥ - المصدر نفسه  | ص ٩٥      |



تلقى سهيل ادريس دراسته الابتدائية في كلية المقاصد الاسلامية ببيروت التي كان مديروها عهد الله المشنوق .

وفي عام ١٩٣٦، اختاره الاستاذ المشنوق ، مع خمسة من طلاب المقاصد ليلتحق

بمعهد ديني كان مفتي الجمهورية " الشيخ خالد " قد اسسه في بيروت باسم " كلية فاروق الشرعية " كان ينفق عليه اولا الطك فاروق ثم تغير اسم المعهد بمدخل الطك المصري .

(١)

واصبح سهيل " شيخا " في المعهد الديني ، وارتدى الزى الديني : الجبة والعمامة ، طوال

خمس اعوام . ولكنه تخلى عن زيته الديني بمد تخرجه عام ١٩٤٠ ، بدافع ثورته طى هذه الدراسة

استجابة لندا" داخلي جعله يشمر بالحرج امام اصدقائه وابناء حيه بهذه الجبة والعمامة التي

اهمدت عنه مع الحياة التي كان يتوق اليها كثيره من الشباب المراهقين وهو لا يزال صغيرا ، حتى بات

ينظر الى " الجبة والعمامة " بالكره والنفور ، كما يكره ندا" الاخرين : يا شيخ سامي ، ولكنه استطاع

ان يخلع زيته الديني ، رغم مراضة والده القاسية ، ورغم محاولاته المتديدة . ان هذه الجبة والعمامة

ثقل طى رأسه ، وتفر منه اصحابه وخصوصا عندما تحرك قلبه - لأول مرة - بالحب ، الذي وجدته في

" ممية " ، جارتته " التي باتت كل اطه ، ويرى في حبها ابصارا لمستقبل افضل .

نال شهادة البكالوريا عام ١٩٤١ ، وشهادة الفلسفة ، القسم الثاني من البكالوريا عام ١٩٤٢ ،

اي بعد ان ترك " الجبة والعمامة " مباشرة ، لاعتقاده ان المستقبل مرتبط بالشهادات العلمية ، لا بالدراسة

التقليدية التي تعود عليها الناس في الجوامع والمعاهد الدينية ولعل دراسته اللغة الفرنسية

منذ صغره همي التي شددته الى اتخاذ موقفه من الدراسة الدينية بلا تردد ، ووسست

آفاقه نحو آداب الغرب ، وثوراتهم الثقافية ، الامر الذي دفعه الى الالتحاق عام ١٩٤٣ بمعهد

الحقوق الفرنسي ببيروت والتابع للجامعة اليسوعية ، ولكن وضع امرته المادى المتدهور اضطره الى العمل

ليساعد في اعالتهم ، حيث ابتدأت مسؤوليته ، وقوى شعور الاحساس تجاه هذه المسؤولية ، التي

خلقت منه مفكرا منذ صغره ، فاحقق في الامتحان الشفهي بالسنة الاولى بمعهد الحقوق بالرغم من نجاحه

في الامتحان التحريري . وقد يكون سقوطه مبالغا فيه ، لان الاوضاع الثقافية في تلك السنوات لم

تكن تسمح لشاب مسلم من الطبقة الوسطى ان يكون من الناجحين في معهد الحقوق التي اوجدته فرنسا

لغاية سياسية ، تدور في تلك الطائفة . واعاد السنة الاولى ، ولكنه لم ينجح ايضا لاسباب

ذاتها .

### ٣ - المرحلة الاولى من عطه

بدأ سهيل ادريس العمل محررا في جريدة " بيروت " لصاحبها صبي الدين النصولي ، وفي

" بيروت المملوءة " الاسبوعية ، لصاحبها عهد الله المشنوق ، ثم عمل بالاضافة الى ذلك محررا في

" الصياد " لصاحبها صميد فريخ . وعمل فترة قصيرة في " الجديد " حيث كان صاحبها

توفيق سواد .

١ - للعودة الى صفحات رواية " الخندق العميق " ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ و ٣٠ و ٣١ نجد العلاقة ظاهرة

بين سهيل ادريس وسامي بطل الخندق العميق ، والذي يؤكد ان سامي هو سهيل ادريس نفسه .

ظل من سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٩ يعمل في الصحافة ، لانه يحبها ، ويؤمن بوسائلها ، ويتضمن يوماً ان يكون صاحب صحيفة يودى فيها ملامفداً لبني قومه ، ولهذا يقول : " تساورني رغبة شديدة في ان اسافر الى فرنسا لدراسة الصحافة في العام القادم " (١) ولكنه عمل في الصحافة قبل دراستها فتبلور اتجاهه الادبي بكتابة الدراسات النقدية والاقاصيص والترجمة عن اللغة الفرنسية . وسنناقش هذا الموضوع في الفصول التالية .

كان اول عمل صحفي لسهيل ادريس عام ١٩٣٩ دراسة عن " رسالة الففران " للممرى ، نشرها في مجلة " المكشوف " لصاحبها فؤاد حبيش . ثم اخذ ينشر في " الامالي " و " الاديب " اللبنايتيين " و " الرسالة " الحصرية و " الصباح " و " النقاد " السوريتين " (٢)

#### ٤ - دراسته العليا

في عام ١٩٤٩ ، استقال من الصحف التي كان يعمل بها ، وسافر الى فرنسا ليستأنف تحصيله العالي بعد ان استحصل على منحتين دراسيتين من وزارة التربية اللبنانية ، وجمعية المقاصد الاسلامية في باريس ، التحق " بالمعهد الصحفي العالي " و " بجامعة باريس " حيث حصل على مصادلة ثلاث دبلومات نالها من معهد " الاداب الشرقية " ببيروت ، واعتبرت مؤلفاته الاولى بمثابة دبلوم رابع بحيث سمح له باعداد ٥٠ دكتوراه جامعية " في الآداب بالسوربون .

حصل عام ١٩٥١ على دبلوم " معهد الصحافة المالي " بباريس ، وفي عام ١٩٥٢ على شهادة - الدكتوراه بالادب " دكتوراه جامعية " وكان موضوع اطروحته " القصة العربية الحديثة والتأثيرات الاجنبية من عام ١٩٠٠ الى عام ١٩٥٠ وكان مقر الاطروحة المستشرق رجيس بلاشير ، وعضو لجنة التحكيم السيد ديديان ، استاذ الادب المقارن في السوربون ، والاستاذ " مورور " استاذ الادب الحديث . وسنتناول حياته في فرنسا في الفصل الثاني .

#### ٥ - المرحلة الثانية من حياته :

بعد عودته من فرنسا الى بيروت عام ١٩٥٣ ، عين استاذ الادب العربي الحديث " بالجامعة اللبنانية " التي كان رئيسها الدكتور " خليل الجسر " كما عين استاذاً للترجمة والتصريب والنقد في كلية المقاصد الاسلامية ببيروت .

وانشأ عام ١٩٥٣ " مجلة الآداب " بالاشتراك مع " بهيج عثمان " وضمير البطيحي " صاحب " دار العلم للملايين " ، ولكنه في عام ١٩٥٦ انتقل بالمجلة من شريكه فيها ، وسنتكلم عن هذه المجلة في الباب الخامس . الفصل الاول .

وفي عام ١٩٥٥ اسس " مع رثيف خوري " و " حسين مرزوق " جمعية " القلم المستقل " وفي عام ١٩٥٦ ، بدأ سهيل ادريس يدرس اللغة العربية الحديثة بمعهد بكفيا التابع للحكومة الفرنسية والذي كان يديره المستشرق " جاك برك " وقد وجد في هذا المعهد ان عطه كان ملائماً جداً : هو تدريس اللغة العربية ، ومحاولة حمل هؤلاء الاجانب ان يفهموا قضايا الامة العربية بمنزلة عن كليل تأثير او حكم مسبق ، وهو طمئنين من انهم سيجدوننا بعد ذلك جذريين بالصدائفة والحب (٣)

١ - الخندق الضيق ص ١٦٠

٢ - نشرة خاصة من دار الآداب مؤلفة من اربع

٣ - اصابعها التي تحترق ص ١٥٩

٦ - مصحح " المنهل " فسرني / عربي بالاشتراك مع الدكتور " جمهور عبد النور " في ثلاثة أجزاء .

٧ - كتب مترجمة عن الفرنسية " ترجم سهيل ادريس مايزيد عن عشرين كتابا بين دراسة روائية وقصة - ومسرحة اهمها :

١ - " دروب الحرية " في ثلاثة اجزاء لسارتر

٢ - " الفثيان " لسارتر

٣ - " سيرتي الذاتية " لسارتر

٤ - " الطاعون " لألبير كامو

٥ - " ميروشينا حبيتي " لمارغريت دورا

- عقيدته الفكرية والسياسية :

إذا قرأنا الكلمة الأولى التي كتبها سهيل ادريس في اول عدد من " مجلة الآداب " تحت عنوان : " رسالة الآداب " التي يقول فيها : " فان الآداب الذي تدعو اليه المجلة وتشجعه هو آداب " الالتزام " الذي ينبع من المجتمع العربي الذي يصب فيه " .

" والمجلة لتدعو الى هذا الآداب الفعّال ، تحمل رسالة قومية مثلى ، فترك الفئة الواهية من الآداب الذين يستوحون ادبهم من مجتمعهم يستطيحون على الايام ان يخلقوا جيلا واعيا للقراء يتحسون بدورهم واقع مجتمعهم ، ويكونون نواة الوطنيين الصالحين . وهكذا تشارك المجلة سلطة كتابها وقراءتها ، في العمل القومي العظيم الذي هو الواجب الاكبر على كل وطني " .<sup>(١)</sup>

وإذا رجعنا الى منافع الخمسينات الذي صدرت فيه " مجلة الآداب " رأينا الاوضاع السياسية الاقتصادية والثقافية التي كانت تمانى منها البلاد .<sup>(٢)</sup>

وإذا حاولنا ان نتقصى الحقائق من اعداد مجلة الآداب التي تحمل المقالات السياسية ، التي نخلو منها عدد نجد ان موقف سهيل ادريس قوي النزعة والاسلوب وايمانه " ان القومية العربية حقيقة ممتدة من اعناق الذات العربية ، ومن تفكير كل عربي وشعره ايضا ايما كان منزله ، وهي تعبير عن شخصية الامة العربية في امانيتها وحاجاتها ومعالجتها ، وما هو قائم بين ابنا الصروبة من اواصر التاريخ ووطن والتراث الثقافي واللغة الواحدة ، والصير المشترك ، كما انها اعراب من عزم نضالي من اجل حرية الامة العربية ووحدةها لتستطيع ان تسهم اسهاما فعّالا في بناء عالم متحرر من افات الاستعمار ، وما أشبهه ودوان ، ونزوات للطغيان ، وفي حماية الحضارة الانسانية وتنميتها " .<sup>(٣)</sup>

وإذا حاولنا ان نطل توصيات المؤتمر الثالث للادب العرب<sup>(٤)</sup> الذي تم في القاهرة من ١ - ١٦ ديسمبر ١٩٥٨ يمكن ان نقف على عقيدة سهيل ادريس الفكرية والسياسية مما ، لان هذه التوصيات التي تصدرت مجلته هذه الحقيقة التي يؤمن بها ، ويعمل من اجلها . وليس هذا المدد وحده في مجلة الآداب هو الذي يحمل الفكر السياسي والفكري ، بل نجده يردد هذا الرأي في كل عدد تقريبا<sup>(٥)</sup>

- الآداب المدد الاول السنة الاولى ١٩٥٣ ص ١

- وراجع الباب الخاص بالفصل الاول ، مجلة الآداب تحت عنوان منافع الخمسينات ، بورد الآداب .

- الآداب المدد الاول من السنة السادسة ص ١٩٥٨

- تحت عنوان " الآداب والقومية العربية " =

- انظر المدد ٩ - ١٠ للسنة السادسة من ص ٢ - ٦ ومن ص ٨١ - ٨٥ لسنة ١٩٥٨ لتقف على رأيه في ثورة لبنان ورائته .

(١)

الصدق والمفوية ما يمكنه من ان يتمم بهذه الكلمة في صلاة واهتمام ؟

وإذا حاولنا ان نتبع خطوات الفتيات اللواتي صادفهن خلال مرحلة شهادته ، سواء كان ذلك في لبنان أو في فرنسا ، نجد ان نشأته الدينية ، ومشيخته في طفولته شدته السلبية الجوهرية الذي نشأ فيه ، لاليمود الى حظيرته الاولى ، بل عاد اليها بطريقة اخرى ، بطريقة اختيار الزوجية ، وهو الذي عاش في فرنسا ، وشارك ابطال " الحي اللاتيني " حياتهم ، ولكن زوجته نالت من الهيئة الدينية التي عاشها ، وتمرس فيها ، الامر الذي يؤكد ارتباطه بالدين رغم خلفه " الجهة والعممة " فالحرية التي عاشها في فرنسا لم تكن قادرة على أن تجعله يختار زوجته من جهة الفتيات اللواتي صادفهن ، بل ارتبط بالفتاة التي صدته ، ومنحته ، وحالت بينه وبين نواياه المانية الا عن طريق الدين الذي طمعه عنه لباسه .

وفي العام ذاته ، انشأ " دار الآداب " بالاشتراك مع الشاعر " نزار قباني " كانت مفاجأة في شهر المسلسل لامرأته ، ولجميع من احتفلوا بهما في مصر . كان اعلانه من إنشأ " دار للنشر " لتدعم مجلة ، وتم رسالتها على صعيد اوسع واهمق باصدار الآثار القومية والفكرية والادبية التي تنتجها الطليعة لواعية من الادباء ، فقابل الجميع هذا النبأ بالارتياح وبالفرحة المارمة التي اخذت تشع في عيون بعض الشباب تتم عن أطهر في أن يروا انتاجهم منشوراً بين دفتي كتاب (٢)

وعمل عام ١٩٦١ استاذاً للترجمة والتعريب في جامعة بيروت العربية . وفي العام ذاته مستقل بدار الآداب ، لا اضطرار الشاعر " نزار قباني " الى الانفصال عنه ، بسبب احتجاج وزارة الخارجية السورية على نشره في النشر الى جانب طمعه في السلك الدبلوماسي .

وفي عام ١٩٦٨ اسس مع اربعة كتاب لبنانيين " قسطنطين زريق ، جوزيف مسمول ، ضو بملبكي ، دونيس " اتحاد الكتاب اللبنانيين ، وقد انتخب اميناً عاماً لهذا الاتحاد ثلاث مرات متوالية . كان عمرة زواجه ثلاثة اولاد : ابنتين " رائدة ورنان " ، وصبا السامح .

— اشارته الادبية :

١ — مجلة الآداب ( ١٩٥٣ )

٢ — روايات طويلة : ( الحي اللاتيني ١٩٥٦ ، الخندق العميق ١٩٥٨ ، اصابعنا التي تحترق ١٩٦٢ ) ،

٣ — مجموعات قصصية ( اشواق ١٩٤٧ ، نيران وطلوع ١٩٤٨ ، كلمن نساء ١٩٤٩ ، الدمع المر ١٩٥٦ رحماك يادمشق ١٩٦٥ ، المراة ١٩٧٣ .

٤ — مسرحيات ( الشهداء : منشورة في مجموعة رحماك يادمشق ١٩٦٢ وفي مجلة الآداب ع / س ص ١٩٦٠ لسنة ١٩٦٠ )

٥ — دراسة ( القصة في لبنان " محاضرات " تناول فيها طلائع القصة في لبنان وروادها ، والقصة اللبنانية المعاصرة .

— اصابعنا التي تحترق ص ١٢٢

— المصدر نفسه ص ١٨١

ولكن مدير المعهد اعترض على اسلوبه في شرح قضايا الامة العربية على الطلاب الفرنسيين ، وأكد له ان غاية هذا المعهد ماهي الا تطبيق ما دى العربية لموظفين فرنسيين يرشعون لالتحاق بسفارات او قنصليات او بعثات للبلاد العربية ، ولا حاجة به الى الالتزام بالتدليل على اتجاهه الوطني ونزغته القومية .<sup>(١)</sup>

ولم يتخذ سهيل ادريس موقفا ماديا لمدير المعهد ، لانه يثق به ، ويطمئن الى صدق عاطفته الودية نحو قضايا العربية ، والا لرفض ملاحظته ولو ادى ذلك الى استقالته أو اقالته من المعهد<sup>(٢)</sup>

وزاد تأكيده بالاطمئنان الى عاطفة هذا المدير الودية نحو العرب ، الطالب الجديد الذي قدمه المدير ، ليمتحن معلوماته القليلة في اللغة العربية ، وهو عربي ، من الجزائر " الملازم اول عهد القادر رحمانى " الذى استطاع ان يقنع الحكومة الفرنسية بمنحه اجازة لمن الجيش الفرنسي الذى ينتمي اليه ليحيى الى لبنان ، بعد ان اظنت الثورة الجزائرية ٥٥ اكد له يقول : " هو سمك ان تطمئن يا استاذ (٥٥٥) فلو كانوا يريدونه لنير تدريس اللغة العربية فصلا ، لما وافقوا على قبولي فيه ، وانا بعد ذلك شديد الثقة والاحترام لمديره المستشوق " جاك بيوك " انه من اشد الناس تفهما للقضايا العربية ، وتأيينا لها ، اولو انهم كانوا يريدون المعهد ستارا لغايات اخرى ، لما عينوا هذا الرجل مديرا له<sup>(٣)</sup>

واستقال سهيل ادريس من المعهد حين حدث المدوان الثلاثي على صر سنة ١٩٥٦ - احتجاجا على اشتراك فرنسا فيه ، لانه رأى ان مهمته في تدريس اللغة العربية لهؤلاء الطلبة - الفرنسيين تهدو تافهة جدا ، ولا قيمة لها على الاطلاق ازا الجريمة التي ترتكبها فرنسا في اشتراكها بالمدوان الثلاثي على صر . من اجل ذلك ، لا بد له من التخلي عن هذه المهمة وتقديم استقالته رغم حاجته المادية المتدهورة ، التي تتأثر بصادرة مجلته او منعها من دخول العراق ، فكرر منعها في العراق ، وهو السوق الرئيسية الاولى لرواجها ، سيقربها من اليوم الذى تواجه فيه الاحتجاب . ولكن مدير المعهد كان له رأى مائل ، فنجح الفرنسيين وطفائهم في احتلال صر والبقا فيها يكون سهيا لاستقالته هو بذاته من منصبه نهائيا . اما اذا اجبروا على الانسحاب فمن الممكن ان يستأنف المعهد عطيه ، وفي هذه الحالة ، يرى ان حاجة المعهد الى عودة سهيل ادريس اشد وامس من ذى قبل ، حتى يشارك في العمل ، لحمل الفرنسيين على فهم الحقيقة العربية الجديدة<sup>(٥)</sup>

واذا تركنا الاحداث السياسية ، وعدنا الى علاقات سهيل ادريس الشخصية نجده في سنة ١٩٥٦ يلتقي بزوجه " عائدة مطرجي " بعد قصة حب ناجحة ، استطاعت ان تنتشله من عقد الشوق واستهتار العرب . ونواه يعترف لأول مرة بصدق امام جبروت الحب القدسي فيقول " اني احبك يا ٥٥٥ " وبعد ان قالها عجب لظنه ينقض بها ، ولشفتيه تنطقانها . وما في دهشة : هل بقي في قلبه من البراءة

- ١ - اصابعنا التي تحترق ص ١٢٠
- ٢ - الصدر نفسه ص ١٢١
- ٣ - الصدر نفسه ص ١٢٢
- ٤ - الصدر نفسه ص ١٥٢
- ٥ - الصدر نفسه ص ٢٦٥

وإذا تركنا مجلة الآداب " واخذنا رواية " اصابعنا التي تحترق " نجده يتناول فيها القضايا (١) السياسية التي يؤمن بها أو يمارسها ، حيث أبدى رأيه في " الحزب الأرجواني " (٢) و " حزب الهلال " وغيرهما من الأحزاب .

يقول من الأرجوانيين : هم " أي الأرجوانيون ، ينهشونه في مجلاتهم ، ويضعفهم ، فسي محاضراتهم واجتماعاتهم ، يتهمونه بالهوجوازي ، القدر ، العمل ، عمل استعمار فربي منذ عاد من باريس ، وانشأ مجلته ، عمل للثقافة الفرنسية بوجهها الرجعي . . . ماجور للغرب ، ووكيل ثقافة انحلالية وكاتب انحلال لسي كاتب عددي ، هدو للقيم البشرية " (٤) وقد استمدوا رأيهم هذا من خلال روايته " العي اللاتيني " (٥) .

وكان رأي سهيل ادريس مقابل رأي " الحزب الأرجواني " " أنهم يحجرون الفكر ضمن حدود مرسومة ويقومون دون تخطيطها اسوارا منيعة ، ويقنون رجاله أعظم هزيمة للفكر . إن بوسع الانسان أن يحترم نظاما ولكن بوسعهم أن ينتقده ، بل إن حرية الانتقاد هذه هي التي تمكنه من أن يقيم احترامه على قواعد صلحة ، لا على انقيادية عمياء " (٦) . ثم يتابع سهيل ادريس القول على لسان صديقه كـ (٧) : " فيقول ان الصداقة لاتعني تهمية من تهمية منا ل احد ولا تعني واسطة انتفاع بفضة هنا مأمورة بفضة هناك ، ومنذ ذلك التاريخ ، اطلق للمرة الاولى حكمه عليهم . . . . . منهم مرشحون ابدا للخيانة ، أنهم مستمدون للتخلي عن مصطلحهم القومية اذا تعارضت يوما مع وجهة النظر التي تتخذها عاصمة تلك الدولة الكبيرة . أما كريم ، فقد أثار التخلي عن وجهة نظر تلك العاصمة ، على احترامه لأنه غير مستعد للتخلي عن صلحته القومية " (٨) .

إن التجارب القومية تختلف بين شعب وشعب وليس لها قوانين واحدة تضم الناس حولها فلا بد من احترام اختلاف التجارب بين الشعوب الذي هو سمة عامة تميز الامم ، وهو الذي يجمد النكهة البشرية التي تظل النظرية ت بدونها تجريدا من التجريد .

وسهيل ادريس يعتقد حقا ان الثقافة "الرجوانية" لاتتمتع بحرية الفكر ، وهذا هو مأخذ الرئيسي عليها ، وكذلك يرى ان الثقافة الغربية قد تحرم أيضا من حرية الفكر ، وتوجه اتجاهها يمينا رجعيا وليس من هم تلك المنظمة (٩) اطلاقا ان تفضح هذا الاتجاه المنحرف في الثقافة الغربية ، وهذا يعني أنها مرتبطة بهذه الثقافة ارتباطا حيازا . وقد اكتشف أن هذه المنظمة الرئيسية ليست هي للدفاع عن حرية الثقافة اطلاقا بقدر ما هي للهجوم على الثقافة "الرجوانية" وهذا مخالف جدا للمفهوم الذي تتبناه " مجلة الآداب " ذلك المفهوم الذي يماثل مختلف الثقافات الاجنبية على قدم المساواة ، لا ينحاز لاحدها ، ولا ينادي احداها لصلحة أخرى ، الامر الذي جعله يحس طوال الوقت الذي قضاه في مكتب تلك المنظمة انما يكون قد خان فكره الحروماض في المستقبل (١٠)

١ - رواية طويلة صدرت سنة ١٩٦٢ ضمنها رأيه السياسي من قضايا الامة العربية

٢ - هو الحزب الشيوعي - ٢ - هو الحزب السوري القومي -

٤ - اصابعنا التي تحترق ص ٤٦ - ٤٧

٥ - رواية طويلة صدرت ١٩٥٢ ضمنها حياته ومشاهداته في فرنسا خلال دراسته هناك

٦ - اصابعنا التي تحترق ص ٤٧

٧ - كريم من أبطال اصابعنا التي تحترق وهو يمارض الأرجوانيين

٨ - اصابعنا التي تحترق ص ٤٩

٩ - مؤسسة ثقافية طالت منه ان يعمل معها وهي مؤسسة يمينية

١٠ - اصابعنا التي تحترق ص ٥٧ .

ومثلما يحدد سهيل ادريس موقفه من " الارجوانيين " يحدد موقفه ايضا من " هزب الهلال " عندما ينصحه وحيد<sup>(١)</sup> بقرا " مجموعة نشراتهم وكراريسهم ، فاجابه يقول : " ولكني امر فيها يا وحيد .. امر فمافيهما ، ثم اني سمعتك تتحدث مطولا في ذلك " ثم يتابع القول فسي تحديث نفسه : طس ان صديقنا وحيد سيصاب بالخيبة .. انه يفريني بدخول الحزب ، ولكني لن ادخله ، لن ادخل اي حزب ، سواء كنت اويده ام انكره .. لا .. ليس ذلك بالموقف المسبق .. انه مهذا ضميري .. ان أي التزام حزبي مهدد لحريتي ، حرية فكري ، وادي ، وانا اصبر على ان احتفظ بحريتي كاطة . (٢)

نستطيع ان نستخلص رأي سهيل ادريس واضحا في جميع الاحزاب السياسية التي تتقاسم أبناء الشعب الواحد ، فهو يعتبر عضويته في أي حزب ، عملا يتناقض مع ضميره ، وتهديد لحرية وحرية فكره وأدبه .

ويوم من سهيل ادريس بالثورات الشمسية التي تعمل على تحقيق خلاص أبنائها من الاستعمار طس اختلاف أنواعه . فيقول عن ثورة الجزائر " مادنا لانستطيع أن نفرنا من عصرنا ومجتمعنا وقضيتنا من غير ان نكون جهنا " فنحن بحاجة الى ان نعيش تجارب شعبنا أعف الميش ، ألسنا بذلك وحده ، نستطيع ان نحفظ لانفسنا شيئا من الاحترام . (٣)

ويوم من بطاقات لبنان ، لا بشطحات الخيال ، يريد لبلده أن يكون على مستواه لا دونه ولا فوقه ، لان انقضية بوايه - اشد خطرا علينا من المقدة الدونية . انه يوم من دائسا واهدا ويحمل لتحسين أوضاع لبنان ، ولا يعتقد أن لبنان بلغ ذروة التقدم ، خلافا لما يعتقدده سواء بولا سيما حين يقارنون بلدهم بالبلاد المجاورة . واذ كانت مظاهر التقدم عندنا في لبنان متوفرة ، فهذا لا يعني أننا قد وصلنا الى المستوى العرجو ، بل لانزال نكابذ آفات كثيرة ، منها الطائفية ، والانحزالية ، والمحسوبية . (٤)

ويلخص لنا سهيل ادريس رأيه قائلا : " لقد كنت دائم الايمان بأن أكبر نعمة طعمها الله للانسان هي نعمة الحرية ، وان كل نهال قام به الانسان في القرون انما كان هدفه الأسمى الحرية ، انتحر من لون ومن الوان اليهودية لان من أجل هذا فكرت وأنت بعد في باريس ، سان تنش " مجلة الفكر الحر " لتكون رسالة تمهيد عن ايمانك وتجميلها وسيلة من وسائل تحرير الانسان في هذه المنطقة من العالم . (٥)

- ١ - أصابنا التي تحترق ص ١٥٧
- ٢ - وحيد من اهدلال أصابنا التي تحترق ، ومن اعضاء الحزب الهلالي ، وصديق لسهيل ادريس
- ٣ - أصابنا التي تحترق ص ٦٦
- ٤ - أصابنا التي تحترق ص ٢٦٠
- ٥ - مجلة الآداب
- ٦ - أصابنا التي تحترق ص ١٠٢

الفصل الثاني  
أفاق عصره في بيئته : لبنان وفرنسا

- ١ - في لبنان
- ٦ - الحياة السياسية
- ب - الحياة الاجتماعية
- ج - الطائفية في لبنان
- د - التأليف والنشر والترجمة

٢ - في فرنسا

- ١ - سفره
- ب - غايته من السفر
- ج - حياته الماطفية
- د - شعوره القومي



١ - في لبنان :

٦ - الحياة السياسية :

كان العالم العربي قبل الاربعينات مهمث اطماع المستعمرين ومركز مورد لهم ، وخصوصا بين فترة الحربين العالميتين ، حيث تعرضت الأمة العربية الى هزات عنيفة ، ومعارك كثيرة مع اعداء حريتها وسيادتها على أرضها وثروتها . كانت كلما خرجت ظافرة من معركة دفعتها الاقدار الى معركة أخرى ، ربما كانت أكثر ضراوة واشد بأسا ، وذلك لكثرة الأيدي التي تمسحت بمستقبلها ، وتسلم على حريتها ومستقبلها وصيرها .

ولم تدع تلك المعارك لامتنا العربية في لبنان وغيره فرصة تمديد فيها بناء نفسها ، وتضطلع بيديها حجر الأساس لحياة مستقرة في السياسة ، والاجتماع ، والاقتصاد ، والثقافة ، والفن ، إذ كانت بلا دناءة نهبا موزعا بين الانكليز والفرنسيين والترك ، وغيرهم من الذين باعدوا بين ابنائها ، وفرقوا بين صفوفها ، كما وفد على هذه الأمة الصاعدة كثير من المبادئ الجديدة والنظرية عن مبادئها ونظما وتقاليدها في السياسة والاقتصاد والاخلاق . وعلى الرغم من غرابة هذه المبادئ ، وعلى غرابة ما بينها من التناقض ومحاولة كل مبدأ منها التمكن لذاته في العقول والقلوب بما استطاع من تقديم الاسباب والمسببات نجد ان امتنا العربية استطاعت ان تقف امام تلك المبادئ الغربية المتناقضة وقفة الحائر المشدود ، السدى لا يدرى ايها يأخذ وايها يدع ، ففي الماضي تراثه وتقاليد ، وعرفه ، وفي الحاضر حقائق تعارض هذا التراث وهذه القيم ، وليس من السهولة بمكان ترك هذه التقاليد وهذه المبادئ ، فكانت الهجرة من اعظم الاسباب نتيجة لهذا الاضطراب في الوسائل والغايات ، فلم تتحدد اساس حياتها ، ولم تتحدد مقاييسها في مبادئ الاخلاق وقواعد السلوك ، وادى ذلك الى اضطراب الادب وتناقضهم في معاني النظم والكتابة (١)

وانا حارلنا ان نتبع الاحداث التي مرت على امتنا العربية ، وتركت أثرها على طالعنا العربي ، خلال الاربعينات نجد ان لبنان قد كوّن شخصيته السياسية المستقلة مع جلاء آخر جندي فرنسي من الاراضي اللبنانية في ٣١ كانون اول سنة ١٩٤٦ وان كان استقلال لبنان حقيقة واقعة بعد ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ .

ولزيادة الايضاح سستعرض المراحل التي مر بها هذا الاستقلال بقدر موجز وواضح :

١ - اذا نظرنا الى مهد بشارة الخوري نجد أن هذا المهد قد توفّق في توطيد دعائم الاستقلال اللبناني ونجد أن لبنان قد وقع في ٧ تشرين الاول سنة ١٩٤٤ اتفاق الاكندرية الذي مهد الطريق الى قيام " جامعة الدول العربية " في ٢٢ آذار من السنة التالية ، السنة التي وقع لبنان فيها على " ميثاق الامم المتحدة " كمضوء مس . ولكن في كانون الثاني سنة ١٩٤٦ حضر وفد لبنان دورة الانمقاد الأول لهده المنظمة في لندن .

ولم يقصر مهد بشارة الخوري في الحقل الداخلي على تحقيق " الميثاق الوطني " بل استمر باصلااته المكثفة مع جميع القوى الداعية الى الوحدة العربية من المسلمين حتى تمكن من تعديل نظرياتهم ذات النزمة القومية وخصوصا بتقاربه مع الدول العربية ، ولم تعد الوحدة العربية عندهم فكرة طحة بهده أن وطّد لبنان علاقته مع بقية الدول العربية ، وساعد على ذلك وجود شخصية فذة " كرياض الصلح " طمس

١ - لمزيد من الاطلاع راجع كتاب : التيارات المعاصرة في النقد الادبي ، " لهدوى طبانة " ص ٢٧ و ٢٨ .

رأس الحكومة ، حيث كان يتمتع بثقة اللبنانيين على اختلاف طوائفهم ومذاهبهم .

ومن الناحية الادارية نرى ان الضعف قد ظهر واضحا ، وليس هذا بمستغرب في بلاد سيطرت عليها الفصالح العائلية والطائفية (١) ولم يكن الفساد جديدا ، وانما كان موروثا عن عهد سابق ، ولكنه ازداد سوءا واضحا في عهد بشارة الخوري ، حيث عمت المتاجرة في النفوذ ، وكثرت الفضائح نتيجة لصلات الصداقة والقربى التي كانت تجمع بين رئيس الجمهورية تكبار رجال الاعمال الذين عرفوا كيف يستفيدون من وجوده في الحكم لخدمة مطامعهم ومصالحهم التي أقاموها على مصالح الشعب ولتقصه ميثاقه .

٢ - واذنا تأهنا الزمن وجدنا ان سنة ١٩٤٨ سنة صراع قوى ، وفشل الدول العربية فسي محاربتها لمنع قيام الكيان الاسرائيلي على ارض فلسطين ، مما افقد هذه الحكومات ، ومنها اللبنانية الكثير من الاحتسرام ، فثار الشعب على حكامه ، ورفع الاحرار رؤوسهم ضد قوى الخدر والخيانة ، فكان اكثر هذه الانتفاضات اثرا على سوريا ، حيث تحرد الجيش السوري بقيادة حسني الزعيم الذي سيطر على حكومة سوريا سنة ١٩٤٩ ، وغير نظام الحكومة السورية من النظام المدني الى النظام العسكري لأول مرة بتاريخ الامة العربية . وهذا ما شجع " الحزب السوري القومي " على ان يحاول القيام - بانقلاب مماثل في لبنان ، فهاك هذه المحاولة بالفشل ، وانتهت بحل الحزب ، واعدام زعيمه " انطون سمادة " كما عمدت الحكومة اللبنانية في الوقت نفسه الى حل " الكتائب " و " النجادة " وغيرهما من المنظمات شبه العسكرية في البلاد ، فدفتها الى الوقوف في صف المارضة .

٣ - وفي سنة ١٩٥١ فاز عدد من المارضة بمقاعد نيابية في المجلس النيابي اللبناني ، مكتبهم من مارضة الحكومة مارضة فمالة من داخل المجلس وخارجه " وكان من المارضين كميل شمعون ، وكمال جنبلاط الذي نظم أنصاره ، وكان معظمهم من الدروز سنة ١٩٤٩ في " الحزب التقدمي الاشتراكي " . وفي سنة ١٩٥٢ نرى ان المارضة استطاعت ان تضغط على بشارة الخوري ، بعد ان سقط رياض الصلح صريح رصاصة احد اعضاء " الحزب السوري القومي " (٢) المضل ، فاستقال بشارة الخوري ،

٤ - ولم يسلم عهد شمعون من الانتقادات ، لان المشكلة الادارية الاساسية ، ومشكلة الفساد بقيتا بدون حل ، وان ازدهر الاقتصاد في عهده بين ١٩٥٢ - ١٩٥٨ ، ولكن عهده انتهى بشورة طيه ، او ما يشبه الثورة .

٥ - وبين عام ١٩٥٢ و ١٩٥٤ جرت في مصر تطورات سياسية هامة أسفرت عن تسليم جمال عبد الناصر قيادة الثورة المصرية ، الثورة التي قامت في صيف ١٩٥٢ واطاحت بالحكم الملكي نهائيا فسي اواسط ١٩٥٢ . وقد شرع عبد الناصر ، الحاكم الجديد لمصر ، في السنوات التالية في بسط نفوذه على العالم العربي محاولا بذلك تحقيق الوحدة العربية .

وأيقظت سياسة عبد الناصر ، في لبنان ، حساسة دعاة الوحدة العربية من المسلمين وسواهم مما اخرج موقف عهد كميل شمعون .

وفي سنة ١٩٥٥ اشترك المراق في حلف بغداد ، السياسة المؤيدة للسياسة الغربية .

وفي تموز ١٩٥٦ تم تأميم شركة قناة السويس ، كما حدث العدوان الثلاثي على مصر ، بقصد استعادة السيطرة على القناة .

١ - الصليبي كمال سليمان . تاريخ لبنان الحديث ص ٢٤٣

٢ - اغتيل لموافقته على اعدام مؤسس الحزب السوري القومي " انطون سمادة "

٣ - الصليبي كمال سليمان . تاريخ لبنان الحديث ص ٤٢٣

٦ - وفي آذار سنة ١٩٥٧ وافسوق لبنان على مبدأ " ايزنهاور " ، رغم معارضة مصر لهذا المبدأ ، فتوترت العلاقات بين لبنان ومصر وتوترنا شديدا كاد ان يؤدي الى قطيعة وتفتشت أعمال الشغب في لبنان أدت الى احداث دامية وقع نتيجتها الآلاف من القتلى دون أية فائدة ترجى .

٧ - وفي ٢٢ شباط سنة ١٩٥٨ قامت " الجمهورية العربية المتحدة " ، كما قامت الثورة في لبنان على سياسة كميل شمعون الموالية للشرق .

٨ - وفي ١٤ تموز سنة ١٩٥٨ وقع انقلاب عسكري في العراق ، اطاح بالحكم الملكي ، وبهذا هذا الانقلاب في حينه يؤيد سياسة مصر ، وفي صلتها ، فخشي كميل شمعون على سلطته من جراء ذلك ، فدعا الولايات المتحدة الى القيام بتصديدها ، فنزلت في ١٥ تموز قوة من جنود البحرية قرب مدينة بيروت .

٩ - وفي ٢٢ ايلول سنة ١٩٥٨ تسلّم فؤاد شهاب رئاسة الجمهورية اللبنانية من كميل شمعون الذي رفض أن يستقيل أو يتنازل الا بانتهاء مدته القانونية ، وأعاد فؤاد شهاب الحياة الطبيعية الى البلاد بسرعة فائقة ، واستؤنفت العلاقات بين مختلف الفئات اللبنانية ، وكان شيئا لم يحدث .

١٠ - في ١٠ ايلول سنة ١٩٦١ تم انفصال سوريا عن مصر ، فتهاطت الحكومة اللبنانية في الاعتراف بالحكم الانفصالي في سوريا ، مما زاد نفمة السوريين على لبنان .  
ان حجة هذه الاحداث التي حصلت في لبنان ، وفي البلاد العربية المجاورة ، تركت أثرا كبيرا على الحياة الثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وفتحت الأبواب على صاريها امام الحضارة الأوروبية وامام الكتاب والادباء ، والشعراء ليقولوا كلمتهم في هذه الاحداث .

### ب - الحياة الاجتماعية :

" ليس بالمهين فصل الحالة السياسية عن الحالة الاجتماعية في هذه الفترة الزمنية ، فهمنا شديدا اتصال تشابكتنا الاوضاع والاسباب ، على اننا في بحث الحالة الاجتماعية نوجه النظر خاصة الى مجموع الامة لا الى طبقة حكامها وماسستها ، الى وضع البلاد المصري لا الى نظام الحكم فيها او الى علاقتها بالبلدان الاخرى " (٢) .

ونظرة واحدة الى الاقطار العربية ، في هذه الفترة التاريخية ، كافية لان تعطينا صورة صادقة عما كانت عليه من تأخير في ميدان الحضارة والعمران ، وان كانت بوادرها قد بدأت تظهر في عواصم الدول العربية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وان كانت تسير بخطى حثيثة ، ولكننا نرى .

---

١ - صورت جانبها من هذا الواقع في قصتي عن الثورة اللبنانية بعنوان " حب ودما " نشرت في دار الطبعة المصرية سنة ١٩٥٩ بالكويت .

٢ - المقدسي مانيس . الفنون الادبية واعلامها ص ٢٠ .

الامر تختلف من الناحية الثقافية ، فقد استطاعت ان تطور الاساليب الدراسية التقليدية التي كانت محصورة في المساجد ، وبعض البيوت الخاصة . فاخذت الدول تهتم بهذه الناحية ، فأستت المدارس العلمية ، وغرت المنهج الدينية بمناهج طرية صحيحة وفتحت الابواب للدراسة الخارجية للمجتهدين والعوزين من ابنائهما ، كما ارسلت معظم العائلات الثرية اولادها لانها دراستهم في الخارج ، في فرنسا وفي بريطانيا ، لما يحصل عليه أصحاب هذه اللغات من امتيازات خاصة تبرزهم عن غيرهم من ابنائ طينتهم .

ونشأت مدارس ومذاهب أدبية جديدة (١) كان مرجعها في الدرجة الاولى الى التطور فسي المجتمع العربي في بلاد الشام ، وفي لبنان بصورة خاصة ، والى قيام الطبقة المتوسطة قوية متوثبة في المجتمع ، وكان مرجعها في الدرجة الثانية الى هذا الاتصال الوثيق الذي أوجده الاستعمار الفرنسي بين مجال الفكر والادب الغربيين ، وبين مجال الفكر والادب العربيين (٢)

ولقد نشأ من هذا الاتصال أيضا تجاهان فكريان متضادان ، أحدهما يدعو الى الأخذ بالحضارة الأوروبية ، مادية كانت او روحية ، والاخر يدعو الى الاقتباس من العلوم والصناعات الأوروبية ، ولكنه يدعو في الوقت نفسه الى الاعراض عن الفلسفة الأوروبية ، لان العلم العربي لا يحتاج في نظره الى فلسفة جديدة او عقيدة جديدة ، بل يحتاج الى تجهيز طلي جديد وصناعة جديدة .

واصبح مجال التخصص قائما في جميع العلوم والفنون والادب ، وأصبحت فوضوية العلم القائمة على قواعد هوائية تجتثها الايدي ، وتزرع مكانها قواعد تقوم على الدرس والمعرفة .  
واذا انتقلنا الى الحالة الصحية نجدها قد تطورت ، وأصبحت المستشفيات قادرة على معالجة الامراض التي مرّ عليها ربح من الزمن وهي تفتك بمئات الآلاف من أبناء الشعب العربي ، حيث تلاش مهد السحر والشعوذة الى غير عودة .

وكثير هدد الاحزاب ، وتفرقت الامة وراء الممتدات التي أوجدتها الافكار الحزبية ، وأصبح العالم العربي يعيش في فوضى من التفكير السياسي ، تبمده من حقيقة الوصول الى العلم الحقيقي الذي يحمل على حماية الشعب اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .

واذا نظرنا الى الاحزاب في لبنان ، تجدها قد ظهرت قبل الحرب العالمية الثانية وبمدها ، فهدد احزاب سياسية ، كالجبهة الاشتراكية الوطنية ، والكلمة الوطنية اللبنانية ، وحزب النداء القومي ، وحزب

---

١ - المدرسة الرومانتيكية ، والمدرسة الرمزية ، والمدرسة الواقعية . من أراد التوسع في تتبع هذه المواقف المختلفة التي مرت بالواقعية الجديدة والرومانسية والرمزية فيمكنه الرجوع الى المراجع التالية :

١ - صلاح لبكي : لبنان الشاعر ، نشر معهد الدراسات العربية المالية سنة ١٩٥٤

٢ - الياس أبو شبكة : روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة ، دار الكشوف بيروت سنة ١٩٤٣

٣ - انداون غطاس كرم : الرمزية والادب العربي الحديث ، دار الكشاف ، بيروت سنة ١٩٤٩

٤ - بلي خانوف : الفن والحياة الاجتماعية ، تعريب احسان حصي ، وتوفيق عبد النافع طليبات دار ابن الوليد دمشق .

٥ - محمد غنيمي هلال : الرومانتيكية ، نشأتها ، فلسفتها ، قضاياها ، آثارها ، مطبعة الرسالة بصر

٦ - فانتينم : الرومانتيكية ، ترجمة بهيج هشام ، دار بيروت سنة ١٩٥٦

٧ - جون فوفيل : الادب والفن في ضوء الواقعية ، ترجمة محمد مفيد الشوياتي ، دار الفكر العربي

٨ - ياني ، هاشم . القصة القصيرة في فلسطين والاردن ص ١٢٨-١٢٩ .

الاتحاد الجمهوري ، وحزب الكتائب اللبنانية ، والحزب السوري القومي الاجتماعي ، وحزب هبة العمل القومي ، والحزب الشيوعي وغيرها (١) وأكثر برامج الأحزاب السياسية في لبنان خالية من المفاهيم الحزبية التمييزية ، وأعضاؤها لا يتقيدون دائما بالسلوك الحزبي ، وكثيرا ما نجد ملاقاتهم بعضهم ببعض وملاقاتهم باعضاء الأحزاب الأخرى ، وأعمالهم في الحقل الوطني قائمة على المنافسة الشخصية والاجتهاد الفردي . وإذا استثنينا الحزب الشيوعي والحزب السوري القومي الاجتماعي وجدنا تأثير هذه الأحزاب في الاتجاهات الفكرية ضئيلا جدا ، ولما انتخب نائب للمجلس النيابي اللبناني على أساس الهدأ الحزبي الذي يمتنقه (٢) .

إن هناك أحزابا عقائدية توتر في الاتجاهات الفكرية العامة ، كحزب البعث الاشتراكي ، وحزب الإخوان المسلمين ، والحزب الشيوعي . ولكن هناك فكرة عامة ظاهرة وبوضوح في برامج الأحزاب . وإذا نظرنا إلى فكرة القومية العربية في لبنان ، فإنها تتجلى في منازع الشعب ومشامره ، أكثر مما تتجلى في النصوص التشريعية والأحكام الدستورية . إن إيمان الشعب اللبناني بثقافته العربية وحرصه على القيام بواجباته نحو إخوانه في الدول العربية لا يقلان عن إيمانه بالحقيقة اللبنانية . إن الشعب اللبناني يؤمن بضرورته إيمانا عميقا ، وإيمانه هذا ظاهر في اعتزازه بترائسه العربي ومواقفه التاريخية ، وإدراكه لعلاقته بإخوانه في الأقطار العربية وسعيه للاتحاد بهم ، فهو يشعر بما يشعر به العرب في جميع منازلهم وأقطارهم ، فيحزنه ما يحزنهم ، ويسره ما يسرهم ، تربطه بهم جميعا صلة القرين والدم صلة اللغة والثقافة والفكر ووحدة المشاعر والمنازع (٣) .

وتطورت المعتقدات الدينية إلى الأفضل ، حيث تلاشت الخرافات ، والأباطيل والتقاليد ، مسع تلاشي الأمية التي كانت تتحكم في جميع النفوس ، وتشربت الأفكار العربية بالنظريات الغربية التي تناولت كل ظلم وفساد . وبانتشار النظريات المادية توسعت الخلافات العقائدية بأمية طمية ، أشد وأقوى من الأمية الجاهلة .

### جـ - الطائفية في لبنان :

بعد أن حاول الاستعمار تغذية الحركات الطائفية واستجاب له نفر غير قليل ، وقامت به بعض الحركات الطائفية التي دفع الشعب اللبناني ثمنها الكثير من أرواح أبنائه ، نجد أن الاحساس الطائفي أخذ يتغير تدريجيا ، إذ نشأت طبقة من المستنيرين ، تبث في نفوس الناس روح التساهل والتعاون الوطني ، وتؤكد أن الدين الحقيقي إنما هو علاقة شخصية بين الإنسان وخالقه ، وليس في اختلاف المذاهب وطرق العبادة ما يحول دون ارتباط أبناء الوطن الواحد بالوطنية ، الحركة الفكرية النيرة التي استطاعت أن تضيف من حدة التعصب الذي كان مستحكما بين الطوائف والفرق نتيجة الجهل والطامع الفردي والطائفية ، وباعدا ذلك ، فغيره عميا وجفاء سيء الظن يستخد مهاذوو الأعراس من حكام وزعماء لتفريق الصفوف واشغال ناسر الفتنة ، كما كادت أن تحصل سنة ١٩٥٨ لولا أن تداركتها العقول النيرة ، وحالت دونها . ليت العقول النيرة اليوم تقتل الظلام الذي تنشره الفتنة على جولبنان ، بحكمة من صنع المدو ، تفهم من " خنجر إسرائيل "

١ - لمن يريد الاطلاع على هذه الأحزاب يرجع إلى نشراتها الحزبية المتعددة وإلى كتاب تاريخ لبنان الحديث " لكامل سليمان الصليبي "

٢ - صليبي ، جهيل . الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث ص ٤٥

٣ - نفس المصدر ص ٤٦

د - التاليف والنشر والترجمة

(١) التاليف والنشر والترجمة من ثمار التعليم وانتشار الثقافة ، ومعتمدا الرئيسي هو الطباعا والصحافة (٢) . وقد ظهرت الطباعا في العالم العربي قبل القرن التاسع عشر ولكن في عصرنا الحالي اصبحت المدارس الحديثة والطباعا والصحافة موطدة الاركان في كثير من الحواضر تنهض منها أشمة المعرفة الى كثير من النواحي . ومن جراء ذلك حدث تطور ضخم في حياة الناس وبيئتهم . وبعد أن كان الناس يعيشون ضمن نطاق ضيق من المعرفة يحيط بهم ظلام تام من الجهل والتقاليد والتأخر العمري ، اخذوا يتدرجون في سبيل التقدم المادي والفكري ، فاتسعت آفاق الاختيار والنظر الى الحياة والطبيعة ، وكان لهذا الاتساع أثر ظاهر في اساليب التفكير والتمبير . ونرى ان اتصال الشرق بالغرب من طريق البعثات ، والارساليات ، والمدارس (٣) قد قرب ثقافة الغرب من العرب ، الذين أخذوا ينهلون من موارد هذه الثقافة حتى استطاعوا ان يمدلوا من نظرياتهم الادبية ، والاخلاقية ، والانسانية ، واصبحوا ينظرون الى الحياة من خلال التعاون بين الشعوب . وذابت النزعة الفردية التي كانت تؤمن بها كل دولة منفردة ، وخصوصا بعد ان عرفوا ان خطر العدو المتمثل بالاسرائيل وغيرها يهدد الامة العربية كمجموعة في تهديده لناحية واحدة . ونستطيع أن نلخص ما قدمناه بجطة من القول هي : أن الحالة السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية كانت في بداية الاربعينات قلقة ومضطربة ، ولكنها استطاعت أن تخطو خطوات واسعة نحو التقدم ، وكان لها أثر كبير على الناس ، فأثرت تأثيرا مباشرا على الشعراء والكتّاب والادباء . وكان سهيل ادريس واحداً من هؤلاء الذين تأثروا بما حدث لهذه الامة من أحداث ، وبما وقعت

به من متناقضات ، وخصوصا وأنه ما يشهد هذه الفترة بقلبه وقلمه ، ومن أبناء الطبقة الفقيرة التي تفحص العلم اغصانها ، نتيجة لظروفها المادية التي كانت دائما تحول بينها وبين ارسال اولادها الى الجامعات ، مسواً كانت في داخل لبنان أو في خارجها .

كل ما ذكرناه ، عرض مختصر لما حطته الينا الاربعينات والخمسينات ، ولكن ما أثر ذلك طسى لبنان ؟ هل استطاع لبنان أن يستفيد من الأحداث التي كانت تدور في الدول المجاورة ؟ هذا شيء من الممكن

حدوثه ، وقد استفادت لبنان فملا خلال هذه الفترة التي تنازلنا ، لشخصه بما يلي :

١ - فمض الاقتصاد الموجه والتأميمات ، وتحديد الملكية في مصر وسوريا والمراق ، وهو دور القطع المام الذي تملكه الدولة ، وتقلص النشاط الفردي الحر ، دفع الى حركة اقتصاد كبيرة في لبنان ، كموجه مملكة لتلك الالظمة التي كانت تحيط بلبنان ، فأخذت الاموال تتدفق عليها هربا من التشريعات الجديدة التي تحد من الحرية الفردية ، سواً كانت حرية اقتصادية او سياسية .

٢ - الدخول في صادمات مع المسكر العربي ، وبخاصة امريكا ، ثم فرنسا امان حرب الجزائر ، وانكترا حول عدوان السويس .

١ - راجع تاريخ الطباعا لخليل صابا

٢ - راجع الباب الخاص الفصل الاول ، تحت عنوان مجلة الآداب

٣ - كانت اتجاهات ثلاثة في النهضة العلمية :

١ - نشاط طائفة من الوطنيين والفقاهات الدينية الطائفية  
٢ - نشاط الارساليات في انشاء المدارس والجمعيات العلمية  
٣ - نشاط نفر من الموظفين المستعيرين المهلصين في انشاء المدارس وتشجيع النهضة العلمية .

كان لجان اذن في هذه الفترة يبدو في وسط العالم العربي أشبه بالواحد الذي يستطيع كل فرد ان يزاوّل نوع الحياة الذي يروقه ، ويكفي ان نشير الى تصاعد عدد البنوك وتمدد الصحف واختلاف مواقفها الفكرية الى درجة التناقض الحاد . فكل فكرة أو مذهب مهما كان نصيبه من الاعتدال أو التطرف كان له انصار ومدافعون ، وصحف ناطقة باسمه في بيروت ، وكما كان له مهاجمون بالطبع . وكما أكدت هذه الجوانب ميزة الشخصية اللبنانية ذات المنطق العاطفي ، والواقعي ، فانها أدت الى نوع من التمزق الروحي لدى المثقف اللبناني الذي أصبح يرى الحقيقة ضائعة بين تلك الروهي المتمازجة (١) .

٢ - في فرنسا :

٦ - سفره

يقول سهيل ادريس : " إنني أحب الصحافة ، وأؤمن برسالتها ، وأتفق يوماً أن أكون صاحب صحيفة أودى فيها عملاً مفيداً لبني قومي ، ولهذا تاورني رغبتة شديدة في أن أسافر الى فرنسا لدراسة الصحافة في الشام القادم " (٢) . وكان له ذلك سنة ١٩٤٩ ، بعد أن امتثال من الصحف التي كان يعمل بها " بيروت " و " بيروت المأه " و " الصياد " ، سافر ليستأنف تحصيله العالي ، بعد أن استحصل على منحتين دراسيتين من وزارة التربية اللبنانية وجمعية المقاصد الاسلامية (٣) . لم يكن سفر سهيل ادريس الى فرنسا وليد ساعة ، بل كان حلماً يراوده منذ صغره ، يوم كان طالباً في المعهد الديني ، ويحاول ترجمة بعض القصص الفرنسية ، لما كان لهذه اللغة من مكانة عالية في لبنان ، الذي كان يخضع بمجمل ثقافته وسياسته واقتصاده الى فرنسا . فهو وإن كان في حداثة سنه إلا أن تفكيره كان بعيد الأثر في قضايا الساعة التي عايشها ، فهو يتعلم من مجتمعه ، ممن محيطه الذي يعيش داخله ، ويراقبه الذي يريد أن يعرف كل شيء يدور حوله ، ولعله يستطيع أن يصل الى علاج قد يفيد هذه الأمة التي عايشها طفولة قاسية حزيننة .

لم يسافر سهيل ادريس الى فرنسا بالمذاجة التي يسافر عليها معظم الطلاب العرب ، فالحياة العملية قد مرّته وقوت عوده ، وجملته يفكر كالرجال ، لا كالشباب الطائش الذي لا يحس بمسؤولياته ، وهذا الأمر يبدو الى طفولته التي عاشها ، وكان معها في صراع مستمر ، ذلك الصراع الذي جعله يتصادم مع الحياة والواقع الذي يحياه أبناً وطنه ، ضمن عائلته التي تقوم على ركائز من الدين والايان . ولكنّه استطاع ان يتخطى كل الحواجز قبل سفره ، ليس في نفسه فقط ، بل وفي نفس شقيقته ، وزميله رفيق الذي استطاع أن يتخطى زيه الديني ويتجه اتجاهاً آخر (٤) ، وكذلك دفع الثقة في نفس شقيقته التي أخذت تملن تمودها على التقاليد البالية حتى كانت لها الجرأة على أن تنزع الحجاب (٥) ، وتملن موافقتها على رفيق حياتها ، الأمر الذي كان منكراً على الفتاة ان تتلفظه (٦) .

١ - انتقل التمزق الداخلي الى الممارسة العملية في الاحداث الاخيرة ، لذلك ينهي التفكير في صياغة الانمان اللبناني صياغة جديدة متجانسة .

٢ - الخندق الميق ص ١٦٠

٣ - نشرة خاصة حلت عليها من " دار الآداب "

٤ - الخندق الميق

٥ - الخندق الميق ص ١٦١

٦ - المصدر نفسه ص ١٦٢

اذ لم تكن الناية من سفر سهيل ادريس الى فرنسا من أجل الحرية الجنسية التي يسع الشباب فيها في فرنسا - وان كانت أحلامها تراوده أحيانا - بل كانت من أجل المصروف والمودة الى بلده ، لهدم التقاليد البالية التي تعمق تقدم الاممة .

سافر سهيل ادريس الى فرنسا للاستزادة من العلم والمصروف ، لينشر امام مواطنيه بعضا من هذا الزاد الذي حصل عليه ، وجمعه بالكذوالعنا ، وتجربته الوجودية العميقة حين يواجه هذا المجتمع ، الذي يعيش بتقاليد غير مألوف ، وله قانون أخلاقي غير مألوف ، وله قيم قد تعارف عليها تخالف ما نأمن في ظلّه في لبنان .

ويصف لنا سهيل ادريس بداية رحلته من أول يوم على ظهر الباخرة المتجه الى فرنسا ، وسنحاول بمقدور الامكان اعطاء صورة واضحة عن الحياة التي كان يحياها ، وعن وجهة نظره في هذه الحياة الجديدة ، التي كانت على نقض كامل مع الحياة الشرقية . وليس امامنا الا روايته "الحى اللاتيني" التي يتناول فيها جانبها من حياته هناك ، تحت اسم بطل الرواية "ساي" وهي صدرنا الوحيد الذي نستطيع أن نقرأه قراءة ثانية ، نعرف من خلالها الحقيقة التي أعلن عنها سهيل ادريس ، وان كانت لا تشمل الحقيقة كلها ، ولكنها أصدق الصادر ، لأن كاتبها هو فيها عن خلدات نفسه وروحه .

إن حلمه الذي راوده منذ حداثة سنه بدأ يتحقق ساعة صعد على ظهر الباخرة ، التي أخذت تشق صاب البحر ، وتتعد عن الشاطئ ، متجهة صوب تلك المدينة التي مازالت تعمر بمخاطره خيالا غامضا ، كأنه المستحيل ، ولكنه ابتداء مع اهتزاز الباخرة يحطم اولى درجات المستحيل في سلم مستقبله الذي جاهد من أجله الشىء الكثير .

ونزل في "الحى اللاتيني" الذي خيل اليه أنه لا يختلف عن "حى من أحياء بيروت القديمة" ، تقوم فيه بيوت متقاربة ، أغلب الظن أنها من الخشب مادام ساكنوها طلابا بقرا ، قدموا الى العاصمة الفرنسية من مختلف أنحاء الدنيا طلبا للعلم والمعرفة " (١) فكان عكس تصوره : الشوارع فسيحة ، نظيفة ومنظمة ، والابنية فخمة مرتفعة كأحدث الأبنية الكبرى ببيروت ، الامر الذي فرض عليه تنظيم مخيلته من جديد ، حتى يطبخ الصور بهذا الواقع الذي يفسد عليه عالما كان قد رتب شوقه وانه واطمان اليه .

ونرى سهيل ادريس يخرج عن تقاليده ، ومشيبخته يوم وصوله "الحى اللاتيني" وييسرى هذه الدنيا الجديدة : دنيا الشباب والفتيات ، تختلف عن دنياه التي عاشها "شباب يوحى مظهرهم بكل شىء الا بالوقار ، وفتيات تلمع ميونهن بهيوق الذكاء والخفة والطيش ، ويخيّل للناظر أنهن يعشن ليمطين مايلب منهن" (٢) إنه لم يذكر أنه رأى هذه الصورة التي يراها هنا . . إن الفتاة في الشرق محرم عليها ان تقابل الشاب في بيتها ، فكيف اذا هي تقابله خارج البيت ؟ انها صبية كهوى . . وهنا . . هنا يرى العكس تماما "شبان يمتنقان ، يتحركان بين لحظة ولحظة فينصلان ، ثم يلتصقان دون تأمسه ، ظلان أسودان ينصهران ظللا واحداً بين لحظة ولحظة" (٣) ولا حاجة الى تسلق الدواجر ليصمد اليها كما فعل من أجل سسما ، وسقط على الارض سقطت كادت أن تؤدى بحياته (٤) .

١ - الحى اللاتيني ص ١١

٢ - الصدر نفسه ص ١٦

٣ - الصدر نفسه ص ١٧

٤ - الخندق العميق ص ٨٠



كان أول شيء تعلمه في باريس هو : أن نظرة الشاب الى الفتاة تختلف من نظرة الشرقي الــــى فتاته ، فباريس اذن هي مطلقا سمع عنها : مدينة الجنس والحرية ، وطن قدر عظيم بالنسبة لمقاييسه الشرقية التي تتنح من اعماق الدين والتقاليد التي عايشها منذ حداشه .  
ولكن هذا الانسان الشرقي ، الذي يخرج من عالمه المغلق ، وبيئته الضيقة ، وحواجز الدين التي نشأ وتويع في كنفها قد تدفعه الحياة الجديدة الى التمرد الضخم ، وتشده الى ترك شوقيته هناك على شواطئ بيروت ، قبل ان يتعلق بلم الباخرة ٠٠ فالجبهة والعمامة ، تفرضان عليه ترك شوقيته مهما ليبدأ من جديد ٠٠ هل استطاع سهيل ادريس أن ينزع عنه شوقيته كما نزع عن رأسه العمامة وعن جسده الجبسة .

بالمودة التي روايته " الحي اللاتيني " وتقصي الحقائق التي تدور حوله ، نجدناه فضلا قد تأثر تأثرا واضحا منذ واثت قدماه أرض باريس ٠٦ انه لم يلتجئ الى غرفته بنية الراحة من السفر ، بل اندفع مع زميليه يبحثون من أمسية يقضونها بين الكأس والجنس يبحثون عن المرأة ، تلك هي الحقيقة التي ينساها ، بل يتجاهلها ٠٠ لقد أتى الى باريس من أجلها ، ولكن ، هل استطاع الحصول عليها ؟ أيجب انما هي التي تستجيب له ؟ أأيظن أنما هي التي ستدوم له ، ثم تنعطف نحوه وتهمس في اذنه : انما التي تبحث عنها ٠٠ تعال احبيني ٠٠ كلا ٠٠ انما هي هي ، في بيروت ، وباريس ، وفي جميع انحاء الدنيا يجب ان تبحث انت عنها . (١) ولكن الى متى ظلت هذه الافكار تراوده ؟ هذا ما سنراه عند التحليل .  
وقابل " مارجريت " في لحظة دي اليها ، وراقصها ، وكانت اول فتاة يراقصها " شهر بمجدها يرتخي بين ذراعيه ، ويحبها لثريا من فمه ، وشم رائحة الخمر تنبعث قوية من فمها ، وشم رائحة المرق تنبعث قوية من جسمها . امرأة بين ذراعيه ، مل ذراعيه ، مل كيانه . امرأة تشتهي ، امرأة تقبل شفاتها بجنون (٢) ولكنها تخص صاحب الدعوة : خمس فتيات لخمس شباب ، وكان بينهم كاليتيم ، او كالدخيل ثقيل الظل ٠٠ ولكنه بأس الحاجة الى المرأة . انه منذ قدمه باريس لم يلق الا الاخفاق ازاها ٠٠ انه يريد اية امرأة حتى يصب كل شوقيته فيها ، ليزيد شرقه الذي لم يفره بالهرب منه سوى خيال المرأة الضمنية واختفاء المرأة الشرقية في حياته . لقد هرب من جراحه تلك في دنياه الشرقية ، فما الذي اصابه من الهرب الى هذه الدنيا الضمنية ؟ جراحات اشد ايلا ما وانضح بالدم ، ليست عن المرأة التي حلم بها ، ليست هنا الا صحراء الهم من صحراء شرقه (٣) ذلك ، لانه لم يجد المرأة التي كان يتصورها هو خياله ، ففاجأه الواقع ، لانه قدم الى فرنسا وباعتقاده ان الفتاة هي التي ستطارده ، ولكنه لم يدر أن الفتاة هي الفتاة في كل مكان ، والاختلاف فقط بمقدار الحرية لشخصية التي تتنح بها الفتاة لا بكيفها .

ولكن ، هذا لم يمنع او يحل دون نجاح سهيل ادريس في تحصيله العالي بل قد استطاع أن يلتحق " بمعهد عافة العالي " وبجامعة السوربون " ليحصل عام ١٩٥١ على دبلوم معهد الصحافة العالي بباريس وعام ١٩٥٢ شهادة الدكتوراه بالآداب " دكتوراه جامعة "

## ج - حياته العاطفية :

لقد اكتفينا بحياته العاطفية من خلال قصة حبه مع " جانين مونترو " لأنها القصة التي لازمته حتى عودته إلى شرقه .

جانين مونترو ، فتاة فرنسية ، من الالزاس ، قدمت إلى باريس لدراسة الصحافة ، والتخصص فيها ، ولكن الاقدار رمته في طريقه ، فوجد فيها ضالته المنشودة ، كما وجد معها استقراره العاطفي . فإيشها فترة طويلة من حياته في باريس ، وعرف من خلالها حقيقة الفتاة الغربية ، بالإضافة إلى ما يعرفه عن حقائق الفتاة الشرقية ، الأمر الذي جعله يقف حائراً بين أيهما يختار : ففي الفتاة الشرقية مالمه الذي هرب منه وحاربه . وفي الفتاة الغربية عالمه المنطلق الذي لا تقف أمامه حواجز تحول بينه وبين فتاته التي يتوق إليها . لكن ، إلى أي مدى استطاع أن يتحرر من تقاليده وعاداته التي هجرها ؟ وهل استطاعت حياته في الغرب أن تنسيه شرقة جطة وتغيبه ؟ هل استطاعت أن تطرد جميع رواب التقاليد الشرقية التي تتأصل في نسي النفوس رغم انخراطه بالحياة الغربية الجديدة ؟ وهل عودته إلى مجتمعه الشرقي تحي في نفسه تلك التقاليد التي تفرض عليه الانتماء إليها أو الرحيل عنها بعد أن هادتها طيلة فترة دراسته في فرنسا ؟ . سنتكلم عن جميع هذه الأمور عند تحليل الرواية ، وسنجيبه بقدر الامكان على هذه الاسئلة التي تفرض ذاتها ، لتكتمل الصورة التي يرسمها خطوطها في بداية دراستنا .

## د - شعوره القومي

أما عن شعوره القومي ، فقد تضاعف وأخذ يعمش في صراع حقيقي بين مفاهيم وأوضاع كانت قائمة في بلاده ، ومفاهيم وأوضاع مرفها في بلاد الغرب ، وكان عليه ان ينقل هذا الصراع على السورق ، فكانت رواية " الحي اللاتيني " التي جسدت من تجربته الوجدانية التي يخوضها الشاب الشرقي حين يلقي به طموحه إلى آفاق الغرب الواسع .

وسمهيل أدريس من الذين حذقوا الثقافة الغربية ، وعطوا على افنائها بما وجدوه في الثقافات الاجنبية المنطق من لقاح فكري جديد ، وهو من الممتدلين المولدين بالقديم والحديث معا ، الراجعيين في ثقافة عربية متجددة تستمد من الماضي ما يمتش وحاجات العصر ، ويقتبس من الثقافات الاجنبية (١) ما يلائم عبقرية العرب ومزاجهم الثقافي ،

وتظهر ثقافته في أعماله التأليفية المتنوعة التالية :

١ - القصة القصيرة ، وله فيها ست مجموعات :

١ - أشواق ، صدرت من دار العلم للملايين ط ١ بيروت ١٩٤٧ م

١ - يقول جبران خليل جبران في " المجموعة الكاملة لمؤلفاته " مجلد ٣ ص ٢٤٣  
كان التلميذ يأتينا من الغرب بشكل الصدقة ، وقد كنا ولم نزل نلتهم خير الصدقة ، لاننا جيساع متضورون ، ولقد أحيانا ذلك الخبز ، ولما أحيانا أماتنا : أحيانا لأنه أيقظ جميع مداركنا ، ولحمه مقولنا قليلا ، وأماتنا لأنه فرق كلمتنا ، وأضف وحدتنا ، وقطع روابطنا ، وأبعدنا بين طوائفنا ، حتى أصبحت بلادنا مجموعة مستعمرات صغيرة ، مختلفة الأزواق متضاربة المشارب ، كل مستعمرة منها تشد في حبل احدى الام الغربية ، وترفع رأسها وتترنم بعساستها وأمجادها .

١	ط	١	١٩٤٢م	بيروت	١	٢ - نيران وثلسوج صدرت من دار المعلم للملايين
١	ط	=	=	=	=	٣ - كلهن نساء = = =
١	ط	=	=	=	=	٤ - الدمع المر صدرت من دار الآداب
١	ط	=	=	=	=	٥ - رحماك يادشق = = =
١	ط	=	=	=	=	٦ - العراة = = =

٢ - الروايات ، وله فيها ثلاث روايات :

٦	ط	=	=	=	=	١ - الحي اللاتيني صدرت من دار الآداب
٢	ط	=	=	=	=	٢ - الخندق الضيق = = =
١	ط	=	=	=	=	٣ - لصايمنا التي تحترق = = =

٣ - الدراسات الادبية والنقدية واللغوية ، وله فيها :

١ - محاضرات عن القصة في لبنان ، نشرتها جامعة الدول العربية معهد الدراسات العربية المالية ط ١ ١٩٥٢ م .

٢ - قاموس المهمل ، عربي فرنسي ، وقد شاركه في هذا العمل الدكتور جهور عبد النور

٣ - مجلة الآداب ، صدرت عام ١٩٥٣ م

٤ - دار الآداب تأسست عام ١٩٥٦ م

٥ - اتحاد الكتاب اللبنانيين تأسس عام ١٩٦٨ م

٤ - الترجمات ، وله فيها اكثر من عشرين كتابا منها :

لسارتو	١ - دروب الحرية . . .
لسارتو	٢ - الايدي القذرة . . .
لسارتو	٣ - موتى بلا قبور . . . مسرحية
لسارتو	٤ - انجفي الفاضلة . . . مسرحية
لسارتو	٥ - الغشيان . . .
لسارتو	٦ - سيرتي الذاتية . . .
لألبيرو كامو	٧ - الطاعون . . .
لسيمون دي بوفوار	٨ - الافواه اللامجدية . . .
لتشارلز مورغان " الانكليزي " من الفرنسية	٩ - البلبلور المحرق . . .
لرومبير دولوبيه	١٠ - كامو والتمرد . . .
لانطون تشيكوف	١١ - بستان الكرز . . .
لعمانوئيل روبلس	١٢ - الحقيقة ماتت . . .
لعمانوئيل روبلس	١٣ - ثمن الحرية . . .
لجانين اوريانو	١٤ - دريس . . .
لاميل غيري	١٥ - العدالة الاجتماعية
لسينريدهانك " الالمانية " من الفرنسية .	١٦ - شمس العرب تسطع على المغرب

### خاتمة الباب الاول

دخلنا هذا الباب بخطة عملية ، وقيمة عملنا أننا بسطنا البحث بالتفصيل ،  
وقد بدا لي وأنا أهيئ هذا البحث أنني اكتشف المسار المتداخلة بين الزمان والمكان  
والانسان ، وهو يتكون فيهما ، ويتحدث عنهما وعن ذاته من خلالهما .

تكلنا في الفصل الأول عن نشاط حياة سهيل ادريس منذ ولادته سنة  
١٩٢٥م وحتى سنة ١٩٧٥م - أطال الله عمره - وأعطاه المقدرة على متابعة المسيرة  
التي بدأها ، حتى يكثر من عطائه الأدبي ، ويصك بأيدي الشباب الناشئين ،  
ليهد بهم الطريق .

وتناولنا آفاق عصره في لبنان وفرنسا ، حيث الزمان والمكان اللذان صاحبهما  
بالفكر والجمد ، كما تناولنا تأثيره بهذا الحيز الزمني والمكاني ، وما أكسبه  
من معرفة أخصرت في آثاره الأدبية في الأبواب التالية ، التي سنقف عند كل باب  
ونقفه دراسة وتقويم .

## الباب الثاني

---

القصة ، اطارا ، وتخطيطا

---

تمهيد

- ١ - الفصل الاول : القصة في اللغة والاصطلاح  
والتاريخ
  - ٢ - الفصل الثاني : فن القصة
-

## الباب الثاني

القصة ، اطارا ، وتخطيطا

المدخل :  
=====

القصة هي نوع من الكتابة الأدبية الفنية ، تصوّر حالة معينة تصورا يعبر فيه كاتبها عن شعوره الخاص وتفكيره الناشئ عن هذا الشعور والوجه الذي يتجه اليه رأيه حسب ما شعر وفكر .

والقصة من فنون النثر الأدبي الحديث ، وتعتبر من أهمها لارتباطها بالحياة ، ولكنها لم تكن في العصور الماضية موضع درس وتقوم ، لاهتمام الناس بالشعر ، الذي أخذ منهم كل جهد وطاقته .

ومن أجل التنوع الواسع في مادة القصة أصبحت أهم نوع أدبي في عصرنا الحالي ، لأنها تستطيع بصورها المختلفة أن تمثل الحياة وتجلوها في شتى وجوهها ، إذ لا يستعصى عليها أى من خطوطها . وإذا كان القصاصون قد نوعوا في طرق عرضها ، فانهم عنوا أشد العناية بطريق بنائها ، فلا بد أن تغدو كل قصة بناءً متكاملًا تترايط وحداته ترايطًا عضويًا ، تراصت جزئياته فيه كما تتراصّ اللبنة في البناء المحكم ، وقد يطول البناء حتى يصح مجلدات (١) .

وإذا كانت دراستنا في الأبواب التالية ستتناول أعمال سهيل ادريس القصصية والروائية ، كان لزاما علينا أن نبسط عناصر فن القصة عموما قبل الدخول الى التطبيق ، ليكون نقدنا لقصص سهيل ادريس على ضوءها واضحا ، ونجمل هذا البسط في هذا الباب من خلال فصلين اثنين .

في الفصل الاول : تناولنا القصة في اللغة وفي الاصطلاح والتاريخ ، حيث حاولنا أن نتبع الأصول التاريخية والفنية التي أوصلت القصة الى فنيتهما الحديثة الموجودة عليها الآن ، بعد أن كانت فنا مهملا غير ذي شأن ، ولكنها أصبحت الآن من أهم فنون النثر الأدبي . وقد حاولنا - بقدر الامكان - أن نوجز هذه الأصول حتى تصح دراستنا قريبة من الكمال .

وفي الفصل الثاني : تناولنا فيه فنية القصة ، وحددنا مفهوم كلمة " الفن " في اللغة وفي الاصطلاح ، كما تناولنا عناصر القصة الفنية التي - من خلالها - تصدر أحكامنا على أعمال سهيل ادريس القصصية والروائية .

وكانت مصادرتنا ومراجعنا لاتخرج عن نطاق القصة وفننها ، لذلك حاولنا - عبر هذه المصادر - ان نتتبع خطوات هذا الفن الحديث من موضع قدمه الأولى حتى عصرنا الحاضر ، مارين عبر زمان ومكان هذه المسيرة ، راجعين من وراء ذلك افادة القارى من جهة ، واعتبار أعمال سهيل ادريس حلقة متممة لزمان هذا الفن ومكانه من جهة ثانية . الى أى مدى كان فن سهيل ادريس موافقا أو مخالفا لفنية القصة الحديثة ؟

هذا ما سنجيب عليه في الباب الثالث .

(١) - ضيف ، شوقي . في النقد الأدبي ، ص ٢٢٧ ط ٢ القاهرة - دار المعارف سنة ١٩٦٦ م

## الباب الثاني

### القصة ، إطارها وتخطيطها .

#### الفصل الأول : القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ : =====

القصة في اللغة : من قص قصصاً عليه الذب : حدثه به . وقصّ قصاً وقصصاً أثره : تنبّه شيئاً فشيئاً . تفصّص الكلام : حفظه ، وتفصص الحديث : رواه .  
والقاص : من يأتي بالقصة ، والقصة : جمع قصص ، والاقصصة : أقاصيص : الحديث ، الأمور الحادث .  
والقصّاص : هو الذي يقرأ القصص في مجتمعات الناس ، ليأخذ الجباية منهم ، اذن ، فكلمة القصة في اللغة العربية مشتقة من اقتصاص الأثر : وهو التبع والانتفاء . وما أصدق هذا التفسير في انطباقه على خصائص القصص الفني . نقصاً من الاثر يقتضيه الخطأ على بساط الرمال ، وفي مسارب الطرق حتى يعرف كيف كان مصير الأقدام ، فاذا لم يتتبع القاص أبطاله في خطوات الحياة ، وفي مسارب العيش ، ولم يدامجهم في شتى ما يمارسون من أعمال ، ولم يتخذ له في طريقه عدة ممن التحليل والتحليل والمعالجة ، كان أهون من قصاص الأثر شأناً ، وكانت قصصه اخباراً بالغيب ، ورجماً بالظن واغتتاناً على الفن (١) .

#### ١ - قصة :

أطلق العرب هذا اللفظ على عدة معان ، أحدها قريب من الفن الذي نعرفه اليوم بهذا المعنى ، وكان العرب قديماً يطلقون عليه عدة أسماء ، مثل الحديث ، والذبح ، والسر والخرافة . وأقدم قصص عربية مدونة ما أورده القرآن عن الأمم الغابرة ، ولما عني المسلمون بالقصص القرآنية وتفسيرها وتكلمتها ، نشأ القصة الديني الذي اختلف بالقصص المسيحية واليهودية .

وعني الخلفاء الأولون بالقصص الذين كانت محتتم الوعظ في المعلم والتخريف على الاستبسال في الحرب ، فهينوا لهم الرواتب وأباحوا لهم التحدث بالمساجد - وان كان المتشددون من رجال الدين لم يرضوا عنهم لعدم تحريم الصدق - وبلغ من شأنهم أن استفد منهم معاوية بن أبي سفيان الى بلاطه ودون قصصهم . واتسعت القصص العربية ، والمعربة في العصر العباسي ، ودونت في الكتب التي يحصي منها ابن النديم الكثير بعد أن فتح ابن المقفع الباب للترجمة " بكليلة ودمنة " .

وفي القرن الرابع هجري ظهرت المقامات ، واتممت التأليف فيها ، وكان للعامسة قصاصيهم الذين تجاروا معهم ، وألقوا ما عبر عنهم من أمثال قصص ألف ليلة وليلة ، والسيرة الشعبية التي وجدت ابان الحروب الصليبية .

وفي العصر الحديث حاكى الأدباء العرب القصة الغربية في مختلف ألوانها وفنونها ،

وتطورت القصة في مصر خاصة حتى وصلت نماذج منها الى مستوى القصة الغربية (١)

القصة في الاصطلاح : هي مجموعة من الاحداث يرويها كاتبها ، وهي تتناول حادثة واحدة أو عدة حوادث ، تتعلق بشخصيات انسانية مختلفة ، تتباين أساليب عيشها وتصرفها في الحياة ، على غرار ماتباين به حياة الناس على وجه الأرض ، ويكون نصيبها في القصة متفاوتا من حيث التأثير والتأثر (٢) .

وعرفوا القصة على أنها ومضة من الضوء يلقها الكاتب على شريحة من شرائح الحياة - اذا صح هذا التعبير - ليصور بها حادثة ذات وحدة عضوية ، ويكشف بها عما يربط بين أجزاءها من معان أو علاقات . . . (٣) كما قالوا عنها إنها تجربة انسانية يصور فيها القاص مظهرا من مظاهر الحياة ، تتمثل في دراسة انسانية للجوانب النفسية في مجتمع وبلد خاصين . وتتكشف هذه الجوانب بتأثير حوادث تساق على نحو مقلع يبررها ويجلوها ، وتؤثر الحوادث في الجوانب الانسانية العميقة وتتأثر بها (٤) .

وعلى هذا الاساس نرى أن القصة في الاصطلاح هي كل كتابة أدبية فنية تصدر عن كاتب واحد بقصد تصوير حالة معينة في التاريخ أو الأدب أو الأخلاق أو الاجتماع أو غيرها ، تصويرا ينزع فيه الكاتب عن شعوره الخاص وتفكيره الناشئ عن هذا الشعور والوجد الذي يتجه اليه رآيه حسب ما شعر وفكر ، بحيث تتمثل شخصيته في هذا التصوير مثلا يفرق بينه وبين غيره ممن كتبوا فيما كتب ، مع أن هذه الأشياء التي ذكرناها واحدة في ذاتها من حيث النظرة العلمية الصرفة ، ولكن الذي يختلف انما هو نظرة القاص الفنان اليها من حيث كيفية تصورهما وتصويرها ، وكلما اتسعت مسافة الخلاف بين نظرات القاصين تباعد البون بين التصويرات وتراءت الأشياء في أثواب تبعدها عن مرآها العلمسي الثابت الأصيل ، الى مرأى يخلق عليها ثوب القصة بوجه عام ، بيان في ذلك القصة القصيرة ، والمالحة للتمثيل على المسارح ، وغير الصالحة ، ولكن العرف الجارى خص القصة القصيرة باسم الأقصوصة كما خص القصة الطويلة الصالحة للتمثيل باسم الرواية ، التي اذا غلب عليها عنصر الضحك والهزل أخذت اسم الملهمة ، ولكنها اذا بقيت بعيدة عن هذين العنصرين استمرت مستأثرة باسم الرواية (٥) دون تقييد .

(١) الموسوعة العربية ط ١ صفحة ١٣٨٣ دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٥ م

(٢) راجع فن القصة ل محمد يوسف نجم ص ٩ دار الثقافة ط ٥ بيروت ١٩٦٦ م .

(٣) حمزة ، عبد اللطيف . المدخل في فن التحرير الصحفي ، ص : ٩٩ ، ط ٣ ، دار الفكر العربي ١٩٦٥ .

(٤) غنيمي ، محمد للال . النقد الأدبي الحديث . ص : ٢٤٤ ط ٤ ، دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٩ م .

(٥) يقول أنيس المقدسي في الفنون الأدبية وأعلامها عن الرواية : ان هذا النوع من الفن القصصي لم يعرفه كتابنا القدماء ، وانما دخل أدبنا في جملة ما دخله بتأثير الحضارة الجديدة ، وقد سلكت الرواية في تطورها نفس السبيل الذي سلكته القصة القصيرة ، فظهرت أول أمرها فسي ترجمات شتى من الأدب الأوروبي ، وظلت الترجمة مصدرها الأكبر حتى الي ما بعد الحرب العالمية الثانية ، علما أنه منذ أوائل قرننا الحالي أخذت بعض الأقالمتجته نحو التأليف ، وازدادت حركة التأليف نشاطا بعد الحرب العالمية الأولى ، وما زالت حتى بلغت شوطا بعيدا في ميدان التقدم . وللرواية ثلاثة أوجه : التاريخي ، الاجتماعي ، الفلسفي .



ومهما كان نوع القصة ونكرتها ، فهي " مرآة متعددة السطح ، وكل قارئ يلقي بناظره على السطح الذى يعكس صورته بأمانة وندمة ، أولعها كالبناء الضخم ذى الكوى العديدة ، ولكل قارئ أن يطل من الكوة التي يختارها ذوقه ومزاجه وطبيعته (١) .

### القصة في التاريخ : العودة الى كتب التاريخ القديمة . التي تتناول الانسان الأول وحياته

هي العودة الى حقيقة تلك الحياة التي كان يحياها ، وكانت مهددة بالوحوش الضارية من جده ، وبالطبيعة من جهة ثانية ، الأمر الذى دفعه الى الخوف الذى دفع خياله الى التفكير في طريقة دفاعه أمام هذه الغوائل التي أوجدت العلاقة بينه ، كإنسان ضعيف خائف ، وبين الرعب الخيف ، عبودية ذات طريقتين : عابد ومعبود ، فظهر دين القوة الثقافية التي عبدها الناس من آثارها في الطبيعة . وكانت الأفكار اللادينية أول بوادر العلاقة بين الانسان وتأملاته ، فأخذ يعيد قوى الطبيعة التي فرضت على الانسان التجمع بعد أن كان منزويا على نفسه . وهنا بدأ خيال الانسان ، عن طريق الأحلام ، عبر خياله البدائي ، يحيك أساطير خياله عن العالم الذى يخافه ويتنظر قدومه ، وهو عالم غير نظامي ، وذلك في شكل بطولات يرجو منها دفع الشر عن أو جلب الخير ، غير أن البيئات التي عاشها لم تكن جميعها متكافئة من حيث كم ونوع الخيال لصوغ تلك الأساطير ، فنما في بعض البيئات أكثر مما نما في البيئات الأخرى ، ارتباطا بالأخطار البيئية ، فحيث تكثر الأخطار يعظم الخوف ، ويقوى التخيل ، وحيث تختفي هذه الأخطار عن العيان ، تقل الرهبة ، ويضعف الخيال . وكلما قوى عامل الخوف عند الانسان توسع في التأليه ، وأكثر من المعبودات ، بالعكس صحيح .

ونتيجة لتنازع البقاء في العصر القديم ، بين الانسان والطبيعة والحيوان ، وبين الانسان والانسان عن طريق الحروب التي كانت مستمرة بين الجماعات ، وقعت الأساطير الخرافية الأولى ، ثم حيك على منوالها قصص تغنى فيها المنتصر ، وتخيل فيها المهزوم بطلا منتظرا سيأتي على يديه الانتصار ، وهذا ما دفع جماعة من الناس يمتنون هذه الحكايات للارتزاق بها ، وبطبيعة الحال ، فقد أضافوا اليها قصصا أخرى حاكوها حول نبيل الأمرء ومالهم على العامة من أفضال ، ولدى العامة يخرجونها على السخرية من الأمرء ، وذكر ما يشينهم من فضائح ومخاز . وهكذا جاوز القصاصون الحقائق الواقعة الى الزيادة عن طريق المبالغة والتبويل ، وعن طريق الخلق والابداع ، وساعدهم على ذلك في القصص التي وضعوها بعد الهوة بين طبقتي الأمة من خاصة وعامة ، وفي غير القصص الموضوعة انقطاع الصلات بين بعض الأمم وبعضها الآخر انقطاعا خلفه اكفاء كل أمة ببلادها ، وضاعف سوؤ وسائل الانتقال ، الأمر الذى قاد الى مضاعفة نشأة الملاحم المعبرة عن الحروب وسير الأبطال مزوجة بذكر الآلهة المساعدين ، حيث كان تجيد البطل واستيحاء الآلهة أمرين جوهريين في القصص القديم الذى جاء أكثره شعرا " لأن الشعر ألصق ببدايات الأمم وأصلح من النثر للتغني الذى كان صفة لازمة لكل قصاص (٢) .

كان اليونان بحكم بيئتهم من أصلح الأمم قديما لنشأة الأساطير بالقصص ، وقد حفظ لنا التاريخ " الا ليأذنة لوميروس " التي وصفت حرب طروادة بأسيا الصغرى التي دامت عشرين سنة ضد اليونان .

(١) نجم ، محمد يوسف فن القصة؛ ص ٣٠ دار الثقافة ط ٥ بيروت ١٩٦٦ .

(٢) بيومي ، السباعي ، تاريخ القصة والنقد ص : ١٧ القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٦ م .

وكذلك " الأوديسة " لهوميروس أيضا في ظلال أوديس طريق البحر وهو عائد الى بلاده من تلك الحرب .

وقد وجدت في هذه الملاحم اليونانية عناصر قصصية ، هي التي مهدت لظهور النثر القصصي فيما بعد ، وقد تم أول ظهور ذلك النثر القصصي في الأدب اليوناني في القرن الثاني بعد الميلاد وكانت القصة آنذاك ذات طابع ملحمي ، فكانت حافلة بالمغامرات الغيبية والسحر والأمر الخارقة ، ويتمثل النموذج العام لأحداث تلك القصص في افتراق الحبيبين ، تقم الأخطار المروعة والعذبات الدوامة جدا فاصلا بينهما ، ويفلتان منها بطرق تفوق المؤلف ، ثم تختم القصة ختام سعيدا بالتقاء الحبيبين (١) .

وظهرت القصة في الأدب اللاتيني في أواخر القرن الاول بعد الميلاد ، على نحو مخالف للقصة اليونانية في بادئ الأمر ، كما في قصة ( ساتيركون ) التي ألفها " بترونيوس " وفي هجائياته تصور مغامرات شائنة لصعلوكين وخادمهما وتكشف عن حال الطبقات الفقيرة في عهد " نيرون " وتصنف العادات والتقاليد في سخرية مره ، كما تحكي كثيرا عن جيل السحرة واللصوص .

ثم تأثرت القصة اللاتينية بالقصة اليونانية ، والقصة التي تمثل هذا التأثير هي قصة " المسخ " أو الحمار الذهبي الذي ألفها " أبوليوس " في النصف الثاني للقرن الثاني بعد الميلاد ولها أصل يوناني مجهول للمؤلف (٢) .

والقصة في نشأتها الطويلة ، كانت تختلط فيها الحقائق الانسانية بالأمر الغيبية ، وكانت تجمع في الخيال فتبعد كثيرا عن واقع الانسان وقضاياه ، كما كان لا يفرق فيها بين ما هو ممكن وما هو مستحيل .

ونرى ان القصة الخيالية قد سبقت القصة الواقعية الى الوجود ، اذ أن المرء كان يتخيل ويصف ما يتخيل ، أيسر ما يصف الواقع ويواجهه . وكان الناس في العصور الأولى يهتمون بالاحداث الصعبة ، وبالأخطار الخيالية أكثر مما يهتمون بالواقع ، وكان الشاعر والقاص يستلهمان كلاهما من مورد واحد ، فظلت نزعة الغيبية او الاسطورية تصبغ القصة صبغة شعرية (٣) لأن القوتين الرئيسيتين

(١) هلال ، محمد غنيمي . الأدب المقارن ص : ٢٠١ و ٢٠٢ ط ٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت .

(٢) وهو نوع قصة " المسخ " أو الحمار الذهبي لخص في أن " لوسيوس " يذهب عند ساحره ، فيطلب منها أن تطليه بدهان ليصير مخلوقا آخر ، فيتحول الى حمار ، ويقع في أيدي كثير من الناس ، من اللصوص وسواهم . ويتأسي الجوع وضربات العصي ، ويطلع على ضرب الفسق والمار ، ثم يعود الى حالته الأولى على يد كاهن للالهة " ايزيس " ويشيد بايزيس ودينها . وبعد التحول الى انسان تصبغ آراء المؤلف واضحة كأنه كان يتفحص في خياله ذلك الحمار ، فيجد العادات والتقاليد ، وقد أول هذا التحول بانحطاط الانسان اذا استسلم لغرائزه الحيوانية ، ونجاته بالشرعة والحقن

(٣) انظر الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال ، ص : ٢٠٢ دار الثقافة ودار العودة ، بيروت ،

(٣) انظر المدخل الى النقد الأدبي الحديث ١ لمحمد غنيمي هلال ، ط ٢ ص ٥٦٤ - ٥٩٥ .

وانظر H. Le Haitre Essai Sur le Mythe de Fyrclié pp. 140,146

في الانسان ، في العهود القديم هما : قوة الفكر ، وقوة الخيال (١) .

وفي العصور الوسطى وجدت قصص ذات طابع شعبي هي "القباليو" (٢) على أنها لاتندرج في القصة بالمعنى الفني ، ولم تساعد على تطوير مفهوم القصة بعامه ، انما تشير هنا اليها لخضوعها تاريخية ، وكمرحلة تأثير الثقافة العربية في أدب الغرب . وأهم ماتعنيه هنا من قصص العصور الوسطى هو قصص الفروسية والحب ، وفيها بدأ ، تأثير عربي ذو قيمة أدبية كبيرة ظل طوال العصور الوسطى وشوطا من عصر النهضة . . .

وعلى الرغم من طابع الحب والعف في قصص اليونان ، لم تكن المرأة فيه ذات مكانة تنحول لها سلطانا على المحب كما في قصص الفروسية ، على أنه من الثابت أن هذا النوع الجديد للحب - في القصة والشعر معا ، قد نشأ على أثر اتصال الغرب بالشرق . اما في العروب المملبية ، وانا عن طريق العرب في الأندلس (٣) .

وفي القرن الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي ألف " اندريه لوشابلان " كتابا باللاتينية سماه " فن الحب العف " وفيه يذكر ادراكا جديدا للحب لم يكن للأدب الاوربي به عهد حتى ذلك القرن وفيه ترتفع المرأة الى مكانة لم تحظ بها من قبل في اوروبا ، ويخضع الفارس لها كما يخضع التابع للسيد صاحب الاقطاع في تلك العصور .

وقصص الفروسية والحب تحتوى على جانب عاطفي ذاتي ذي طابع انساني تفوق به الملاحم ولكنها بعد ذلك تقرب من عالم الملاحم لأن أخطار الحب فيها شاذة تشبه ما في سيرة بطل الملاحم فالبطل في القصة مثال الفارس الكامل ، يعيش في عالم بعيد عن الحقيقة ، وتحميه قوى غيبية . ثم ان هذه القصص متخلقة في نضجها الفني ، ان لا يربط الحوادث فيها سوى شخصية البطل الذي لا يزال ينتقل من نصر الى نصر . فالوحدة العضوية لا وجود لها .

(١) فالفكر وسيلة التعرف على الحقائق ، وانما يستعين المرء بالخيال على سد ما في الواقع من فراغ واكمال ما به من نقص ، معتدا بأمرين في هذا الخيال ، المخاطرة والخوف . فالمخاطرة مجابهة المجهول والتطلع الى فرض ارادتنا على الاشياء الاندبية المستحصية ، والخوف : هو التوجس من المفاجآت التي تنبدي بين مظاهر الامور المستخرة .  
( انظر النقد الأدبي الحديث ، لمحمد غنيمي هلال - ط ٤ دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٦ )

(٢) "القباليو" جنس ادبي خاص راج في فرنسا من حوالي منتصف القرن الثاني عشر حتى أوائل القرن الرابع عشر الميلادي . وهو قصة شعرية تروى لتحكي ، والجانب الخالب فيها هو جانب المسلاة . ولكنها قد تكون مع ذلك ذات طابع خلقي او اجتماعي ، ثم انها تنحومنحى واقصيا مبنيا - عادة - على شؤون الحياة اليومية . أو مشاغل العيش الخالصة والمشاكل الصغيرة التي تعرف لأفراد الطبقة الوسطى . ويعنى الشعراء فيها بابرار الصيوب التي تثير السخرية ، لانها أسهل في اثار الضحك وارضاء العامة الذ ين كانوا هم جمهور الشعراء في هذا الجنس الأدبي .

ويرى " جاستون بارى " ان هذا الجنس قد استمد كثيرا من عناصر وجوده من الآداب الشرقية ، واستشهد بقصص من هذا الجنس الأدبي مصادرها عربية ، او هندية انتقلت من قبل الى الأدب العربي عن طريق الفارسية في كليلة ودمنة .

( انظر الادب المقارن ، لمحمد غنيمي هلال ، ص : ٦٤ و ٦٥ ط ٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت .

(٣) انظر الادب المقارن صفحة ٢٠٦

وقد سخر "سرفانتيس" الاسباني من أدب الفروسية وما فيه من تصنع وزيف في قصته الخالدة "دون كيشوته" (١) إذ قلد قصص الفروسية تقليدا ساخرا ، ونقل مجال الحوادث من الجانب المثالي الى الجانب الواقعي الألم ، وتقدم كثيرا في التحليل النفسي لشخصيته ؛ "دون كيشوته" فجعل منه نموذجا بشريا ، وكشف عن جوانب نفسية دقيقة تتجاوز بما مجرد تصوير نموذج عام . وقد حمل "سرفانتيس" على من يبتعدون عن الواقع ، ويقذفون ميدان الكلمات بدلا من سنايل الحقيقة . وساعدت دعوتها تلك على أن تخطو القصة خطوة أخرى نحو العناية بالواقع وما فيه ، على الرغم من أن معاصريه لم يفهموها حق الفهم (٢) .

وكانت قصص الرعاة في عصر النهضة أقرب الى الواقع من قصص الفروسية السابقة ، على الرغم من أن ادراك الحب واحد فيهما فقصص الرعاة تقل فيها العناصر العجيبة الموجهة للحدث ، وتكاد تنحصر في السحر واستطلاع المستقبل ، فالحوادث فيها انسانية في جوهرها ، على الرغم من أنها رتيبة وقد صورنا تأيها اماكن واقعية في بلادهم جعلوها مجال الحوادث التي دارت بين الرعاة . وهذه القصص نشأت أولا في الادب الايطالي ، ثم الاسباني ، ثم الفرنسي (٣) .

وفي القرن السادس عشر والسابع عشر في اوروبا وجد جنس جديد من القصص ، خطا بالقصة خطوات نحو الواقع ، هو ما أطلقوا عليه قصص الشطار - أول ما وجدني اسبانيا - وهو قصص العادات والتقاليد للطبقات الدنيا في المجتمع ، وتختص بأن المناورات فيها يحكيها المؤلف على لسانه ، كأنها حدثت له . وهي ذات صبغة هجائية للمجتمع ومن غبه . وسافر فيها البطل (المؤلف) على غير منهج في سفره ، وحياته فقيرة يائسة يحياها على هامش المجتمع ، ويظل ينتقل بين طبقاته يكسب قوته . وأول قصة من هذا النوع هي قصة اسبانية عنوانها "حياة لاسارودي توريس وحظوظه ومحنه" (٤) . وهي قصة تنبع من واقع الحياة في الطبقات الدنيا ، وتصفها كما يلمها منطق الخرائز السريع ، وهي معارضة تامة لقصص الرعاة السالفة الذكر ، وتسير على نقيضها ، لأنها تصف واقعا لا مثالية فيه ولا أمل . وقامت على أنقاض قصص الشطار قصص العادات والتقاليد في معناها الحديث ، وخلت القصة بذلك من العناصر العجيبة النارقة للمألوف ، واتخذت حوادث الحياة العادية مادة خصبة لموضوعاتها (٥) .

وفي أواخر القرن الثاني عشر نهضت القصة في الآداب الكبرى الأوروبية ، فتطورت قصص العادات والتقاليد ، ونتج عنها ما يسمى : القصص ذات القضايا الاجتماعية ، وصارت القصص بذلك ذات صبغة ديمقراطية في علاج مشكلات الشعب ، وقامت بأخطر دور للأدب في الحضارة الحديثة (٦) .

- (١) انظر ملخص القصة في كتاب : المدخل الى النقد الأدبي الحديث ، الباب الثالث ، الفصل الاول ، لمحمد غنيمي هلال ، وانظر كذلك :  
P. Hazard, Doq Quichotte , Paris 1949. P.P. 282 - 303
- (٢) انظر المرجع السابق ص ٩٧ - ٩٨ (المدخل الى النقد الأدبي الحديث) ، لمحمد غنيمي هلال .
- (٣) انظر المرجع السابق ، فيه أمثلة لتلك القصص وموجز لها في الفصل الاول ، من الباب الثالث .
- (٤) انظر ملخص لهذه القصة في "الادب المقارن" لمحمد غنيمي هلال ط ٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت ص : ٢١٤ الحاشية رقم ١١ .
- (٥) الادب المقارن ، لمحمد غنيمي هلال ، ص ٢١٦ ط ٥ دار الثقافة ودار العودة - بيروت .
- (٦) انظر André le Breton, Le Roman Francais an XVII Siècle  
Chap. VI , VII, XI.  
وكذلك F.C.Green, op, Cir, IP. 200-230

وفي العصر الرومانتيكي (١) ساعدت الفلسفة (٢) على الدعوة الى حقوق الفرد في المجتمع على ليان شخصيات القصة في الأدب الفرنسي والانجليزي . وكانت هذه الدعوة هي جوهر الرومانتيكية في ناحيتها الاجتماعية . وفيها وضع اتجاهان كانا يتلاقيان آخر الامر ، هما : الكشف عن حالة الفرد في حقوقه المهدومة التي تتطلب تخيير النظم القائمة في ذلك الحين ، ثم استلزامه سعادة الفرد بعد ذلك من تعاون اجتماعي من نوع جديد (٣) .

وفي ظل الرومانتيكية ايضا نشأ جنس القصة التاريخية بقواعدها الفنية الخاصة بها ، وكما ان الرومانتيكيون يقصدون في هذا الجنس الى احياء ماضيهم الوطني التاريخي .

ويعد الرومانتيكيين استكملت القصة نواحيها الفنية ، في الآداب الأوروبية ، في ظل المذهب الواقعي والمذاهب الأخرى التي تلت الرومانتيكية ، (٤) :

وعن طريق المذهب الواقعي (٥) والمذهب الطبيعي اكتمل مفهوم القصة الحديث ، فتخلصت من العالم الخيبي والقوة العجيبة التي كانت تدينها من الملاحم ، ومن العالم المثالي الذي كانت تبعد فيه عن الواقع المألوف ، ومن العالم الارستقراطي الذي كانت تتمتع فيه بطبقة خاصة هي في الغاوة من المجتمع ولا تمثله .

ولم تكف بعد ذلك بالنزول الى أغوار المجتمع لتسير مشكلاته ، بل غاصت كذلك في الجوانب المظلمة ، جوانب السوء في الافراد والجماعات لمعالجتها .

اذا نظرنا الى الحرب من هذه الزاوية التاريخية ، نجدهم في الجاهلية كانوا من أبعد الأمم - نتيجة لبيئتهم - عن هذا العطاء الذي قدمه اليونان ، ولم يتدبيروا فيها للشعر القصصي

(١) كانت قصص الرومانتيكية تدافع عن القضايا الاجتماعية وتحمل الطابع العاطفي المشوب النائر، وتثير الافكار اثاره مباشرة خطابية غالباً .

والشخصيات الرئيسية فيها ضحايا نظم المجتمع ، وهم رموز لطبقات اجتماعية ، يدافعون عن آرائهم او يمثلونها في بطولة يحميها بها مؤلفها عن مجرى الحقائق المألوفة في عامة الناس . وغالباً ما كان الشر - وهو هدف الهجمات في هذه القصص - مثلاً في صور الظلم الجماعي الذي يعاني منه البائسون والفقراء ( النقد الأدبي الحديث ) ص : ٥١٥ .

(٢) انظر كتاب الادب المتأثرن صفحة ٢٣ و ٣٤ و ٣٨ . ٠٠ لمحمد غنيمي هلال ط ٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت . وانظر تاريخ الفلسفة تأليف اميل بربريه ١٩٥٠ ج ٢ ص ٤٨٦ - ٤٨٧ .

(٣) تشابهت القضايا الاجتماعية في الآداب المختلفة في العصر الرومانتيكي ، وكانت تدور حول اثاره الرحمة بالبائسين والاعتداد بحقوق الفرد في وجد المجتمع ، ثم الحد من حقوق الطبقات

الارستقراطية . Holcraft: Saint - Jves, letter 79; Cité par

انظر Gagamian : le Roman Social en Augleterre I, PP.66,67

(٤) المذهب البرناسي (مذهب الفن للفن) والمذهب الواقعي ، والمذهب الرمزي ، والمذهب الوجودي .

(٥) الواقعية: لا تتوغل في وصف الشر، وتنتصر للخير، فتوجد الاحداث بحيث تتقدم الحياة على العدم ويغلب الخير الشر، وتسير الانسانية الى التقدم حتى ولو أدى ذلك الى تزييف الموقف . على حين تنسى الواقعية الأوروبية والوجودية معاً ، بوصف الموقف كما هو ، على أن تختار جانب انتصار الحياة بالايحاء لا بالتزييف . تاركة لا قارئ استنتاج ما يرى من خلال التجربة الانسانية الصادقة المبررة ، مع قصد أصحابها الى التنفير من الشر عن طريق وصفه الصادق . انظر: النقد الادبي الحديث لمحمد غنيمي هلال ص ٥١٩ و ٥٢٠ ط ٤ دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٩ .

والتمثيلي كما تهيأت له اليونان ، ففري شعرهم قد بقي غنائيا ، لا يخرج عن نفس صاحبه ، عكس ما أتى به شعراء اليونان وغيرهم ، على أن القصة لدى العرب — في القديم — لم تكن من جوهر الادب بالشعر والخطابة والرسائل مثلا ، بل كان يتخلى عنها كبار الأدباء لغيرهم من الرعاظ وكتاب السير والوجايا ، يوردونها شواهد قصيرة على وصاياهم وما يسوقوه من حكم ، وقد يكون لذلك صلة بنبوغ كثيرة من مسلمي ايران في القصص والمواعظ العربية ممن كانوا يجيدون اللغتين : العربية والفارسية . على ما يذكره الجاحظ ، مثل الخطباء والقاصين من أسرة الرقاشي ، ومثل موسى الاسمري . وكان هؤلاء يفيدون من اطلاعهم على قصص "الشاهنامه" (١) .

وإذا حاولنا أن نلقي نظرة تاريخية فاحصية على مصادر القصة العربية في الأدب العربي القديم نجد أن عيون الأدب العربي التي تمت للقصة بدالة في فنها وفرضها قسما (٢) .

١ - قسم مترجم دخيل : كليلة ودمنة \* وألف ليلة وليلة .

٢ - وقسم عربي أصيل : كالمقامات ، ورسالة الخفران ، يحيى بن يقطان \*

إذا نظرنا الى القسم المترجم الدخيل ، نجده قد وصل أشده في عصر امتزاج الشعر (٣)

بعد انتشار الاسلام ، حيث دخل كثير من الفرس الاسلام حفاظا على قيمتهم بين العرب ، الأمر الذي فرض عليهم أن يتعلموا اللغة العربية لفهم القرآن والسنة من جهة ، ورغبة في الظهور والاستعلاء من جهة ثانية ، فهم أهل حضارة قديمة ، عرفت الكثير من حضارات الأمم الغابرة فدرسوا اللغة العربية ، وتمرسوا بها ، فوجدوا أن يفدوا هذه اللغة الجديدة ، عن طريق الترجمة والنقل بما يرونه في القصة الفارسية من روعة وجمال ، فكان ان ترجم عبدالله بن المقفع (٧٢٩ - ٧٥٨ م) (١٠٦ - ١٤٢ هـ) كتاب كليلة ودمنة (٤) كما ترجم مجبول الهوية كتاب "ألف ليلة وليلة" وقد حملت كثيرا من تضايا الرومانتيكية منها اللرب من واقع الحياة في عالم خيالي طيب سحري . ومنها السخرية بالملوك ، ومنها ترجيح العاطفة على العقل في الاهتداء الى الحقائق الكبرى ، إذ أن "شهرزاد"

(١) من أخبار "الشاهنامه" أو سير الملوك الفارسية ما تسرب الى جزيرة العرب في الجاهلية كلقصص التي كان يحكيها "النضر بن الطارث" عن "رستم" و"اسفنديار" يعرف بها الناس عن الرسول . وفيه نزلت الآية "ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله . . ."

وكذلك انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، ج ١ ص ٢٧٤ - ٢٨٤ .

(٢) انظر الأدب المقارن ، لمحمد غنيمي هلال . ط ٥ ص : ٢٢٠ دار الثقافة ودار العودة بيروت

(٣) كان ذلك في العصر العباسي الاول والثاني ابتداء من ٧٥٠ م - ١٢٢ هـ - ٩٤٥ م - ٣٣٤ هـ .

(٤) "كليلة ودمنة" كانت ترجمة عبدالله بن المقفع لهذا الكتاب سببا في خلق هذا الجنس الادبي البديع في اللغة العربية ، ذلك أن حكايات الحيوان في الادب العربي القديم تبيل كليلة ودمنة كانت اما شعبية فطرية تشح ما سار بين العامة من أمثال ، واما مقتبسة من كتب العزود القديم ، وهي ذات طابع ديني يتصل بالعتاقد . . . وفيه تتمثل الخصائص الهندية .

انظر جمهرة الامثال للمسكوي ، وفي "مجمع الأمثال" للميداني (ج ٢ ص ١٣) وانظر الجاحظ : الحيوان ، ج ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٤ وانظر : قصص الحيوان في الادب العربي ص ٦٤ و ٦٥ للدكتور عبد الرزاق حميد .

قد هدت الملك الى انسانيته ، وردته عن غريزته الوحشية ، لابوساطة المنطق ، بل بالمعاطفة ، فصارت رمزا للحقيقة التي يعرفها المرء عن طريق هذا الشعور والحب ، وهذا المعنى الاخير انتقلت " شهرزاد " اليها في أدبنا العربي المعاصر ، بفضل تأثير الآداب الأوروبية ، وذلك كما في مسرحية " شهرزاد " لتوفيق الحكيم ، وقصة شهرزاد " التي عنوانها " القصر المسحور " لتوفيق الحكيم وطه حسين ، وقصة " أحلام شهرزاد " للدكتور طه حسين ، ومسرحية شهرزاد " لحزير أباطة ، ومسرحية : شهرزاد لعلي احمد باكثير (١) .

أما عن القسم العربي الأصيل فأصوله أصيلة النشأة غير مترجمة ، ومنها المقامات (٢) ورسالة التزياع والزواج (٣) ورسالة النفران (٤) وقصة حي بن يقظان (٥) .

(١) راجع الأدب المقارن (ص ٢٢٣) .

(٢) المقامة في الاصل معناها المجلس " ثم أطلقت على ما يحكى في جلسة من الجلسات على شكل حكاية ذات أصول غنية . وموجز هذه الأصول اننا حكاية قصيرة يسودها شبه حوار درامي وتحوى على منامرات يرويها راوي عيسى بن هيثم في مقامات البديع ، والحارث بن همام في مقامات الحريري ، عن " بطل " يقم بها " وأبو الفتح الاسكندري في أشرف مقامات بديع الزمان وأبو زيد السروجي في مقامات الحريري .

اول من اشترع المقامات وأعطاهم هذا الاسم في العربية هو بديع الزمان الهمداني المتوفى عام ١٠٠٨م (١٠٠٧ - ١٠٠٨م) انظر ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ١١٨ .

(٣) للشاعر الاندلسي ابي عامر احمد بن شهيد (٣٨٢ - ٤٢٦ هـ) وهي رحلة خيالية في عالم الجن يحكى فيها كيف التقى بشياطين الشعراء السابقين من زواج ومفردة تابع او ناحية اى ما يتبع الانسان من الجن) والزواج (جمع زبيعة ، اسم شيطان او اسم رئيس الجن ، تجرى بينهم مناظرات ومساجلات أدبية ، وكذلك بينه وبين ما يجهده من مخلوقات في عالم الجن وهو ينسرف في هذه المساجلات الادبية دائما (انظر كتاب : المدخل الى النقد الادبي الحديث ، ط ٢ ص ٤٢٠ - ٤٣١ لمحمد غنيمي هلال .

(٤) لأبي العلاء المصري المتوفى عام ٤٤٩ هـ (١٠٥٩م) التي تشبه الكوميديا (الالهية " لدانته في نوع الرحلة وأقسامها وكثير من مواتفها . ولكن دانتي لم يطلع على رسالة النفران ، بل تأثر تأثيرا مباشرا " بحكاية الاسراء والمعراج التي نمت بين المسلمين وزيد كثيرا فيها ، بناء على احاديث موضوعة شرحت بها الآية الكريمة " سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا " ثم من مصادر عربية صوفية أخرى من أعمال الفترحات الخبيثة " لمحي الدين ابن العربي .

انظر (البحاثة المستشرق الاسباني " ميغيل بالاثينوس " (١٨٧١ - ١٩٤٤) مجلدا كبيرا في مدريد يشح فيه مصادر دانتي العربية في ملخص الكوميديا الالهية ص ١٥٣ .

(٥) لابن طفيل محمد بن عبد الملك (٥٨١ هـ) وحي " يتصد به العقل الفعال ، أو النفس الملكية المفكرة ، وهذا العقل وحي دائما ، غير متغير ، لا يسم ابدا " وابن يقظان " كناية عن مدوره عن القيم الذى لاتأخذه سنة ولا نوم . والرحلة الموصوفة في الرسالة رمزية ترمز الى طلب الانسان للمعارف الناصية ، بصحبة رفقة من الحواس ، وفي حركة تطلب المعارف العليا ، يستعين الانسان بالعقل الفعال الذى يهديه عن طريق المنطق والفلسفة ، وبفضل مصدر المعارف الذى هو مصدر النفس الملكية . وهذا العقل الفعال قدسي . انظر الادب المقارن . لمحمد غنيمي ص : ٢٣١ ط ٥ دار الثقافة والسودة بيروت وانظر ملخص للقصة في الادب المقارن ص (٢٣٤ - ٢٣٥) لمحمد غنيمي هلال .

انظر ابن سينا " رسالة حي بن يقظان ، رسالة القدر طابعة ليدن ١٨٩٩ ومعها شرح وترجمة بالفرنسية .

أخلاقنا نظرتنا إلى هذه المقامات ، بالإضافة إلى أهلها العربي ، نجد أنها قد أثرت تأثيراً واضحاً في الأدب الفارسي \* ففي مقامات حميد الدين الفارسية ، للقاضي حميد الدين البلخي (عمره محمود) المتوفي عام ٥٥٩ هـ (١١٦٦ - ١١٦٧ م) يسير على نهج أصحاب المقامات العربية .

\* وكان لهذا التراث القصصي يد بيضاء على الأدب الأوروبي ، يشهد لها المنصفون من النقاد والمؤرخين للأدب العالمي ، حتى أن "جوستاف لايون" يقرر أن الحرب هم ابتدعوا روايات الفروسية<sup>(١)</sup> وقد بنى تيمور هذا الرأي على سبق رسالة الخفران "للمعري قصته" التوميدية<sup>(٢)</sup> الألبانية التي كتبها "دانتي" الإيطالي بثلاثة قرون ، وكلتاها تعالج وعف العالم المجهول ، عالم الآخرة ، وما يزال الباحثون يحتدون أشد المرازقات بين القصتين ، ويستجلون ما بينهما من مشابهاة في العالم والاحتجاجات .

ونرى بعد مضي خمسة قرون على قصة "حي بن يقظان" التي وضعها "ابن طفيل" في القرن الثاني عشر الميلادي ، ترجمت إلى اللاتينية والإنجليزية ثم ترجمت إلى غيرها من اللغات<sup>(٣)</sup> وبعد هذه الترجمات بقليل ظهرت قصة "روينسن كروزو لدينو" وقصة "جلغر" لسوفت\* وكلاهما كان في القرن الثاني عشر ، ولم يخف على الناقد أن أثر "ابن طفيل" فيما أخرجه "ديفو" و"سوفت" من نصيبهما الخالد . وكان ابن طفيل هو الذي شق لهما وجه الطريق ، ورسم لهما خدلة السير ، وانهما بسبحان في كثير من الأجواء التي هوسج فيها ، ويتأثران فيما لاحظ وما فطن ، ففلسفة أظهر وأبان في قصته الرائعة ، كيف يتاح لامرئ أرضه غيبه على طافوته الشاردة ، وأقلقه أرض ليس بنا أنيس ، أن يدح على الفطرة في مدارج الحياة ، وكيف يكشف نفسه ، ويتبين الطبيعة حوله ، وكيف يسلك سبيل المعرفة ، ويمتد إلى غوامض العلم ودقائقه ، حتى يتمنى بتفكيره ذروة الحقيقة المقدسة في هذا الوجود<sup>(٤)</sup> .

ونرى أيضاً أن ترجمة القصص الشعبي مثل "سيرة عنتر" قد شاعت وتضمن ألف ليلة وليلة<sup>(٥)</sup> التي جازت الهوس بمآكل حد ، فقد استعذب الأجانب فيها مذاقاً جديداً لم يعرفوه من قبل ، وأنسوا وراء صورها وشائج إنسانية عريقة . ويؤثر عن "فولتير"<sup>(٦)</sup> أنه لم يزال عن القصة إلا بعد أن قرأ ألف ليلة وليلة أربع عشرة مرة ، ويحكى عن "استدال" مؤلف "ديريام" أنه تمنى لو أن الله محا من ذاكرته "ألف ليلة وليلة" حتى يستعيد لذته بقراءتها من جديد .

وإذا حاولنا أن نتبع هذا التأثير في كتب الأدب المقارن<sup>(٧)</sup> نجد أن الباحثين قد كشفوا عن معالم التأثير بأدب القصة ، الذي خلفته التراث العربية في جملة من أعمال الأدباء الأعلام

(١) تيمور ، محمود . القصة في الأدب العربي الحديث وبحوث أخرى ، ص ١٢ القاهرة مكتبة الآداب .

(٢) راجع تاريخ القصة والنقد للسباعي بيومي ص ١٤ - ١٦ القاهرة - مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٦ م

(٣) راجع ملخص القصة في الأدب المقارن ، ط ٥ ص ٢٣٤ - ٢٣٥ دار الثقافة ودار العودة بيروت

(٤) راجع جدد وتدماء (دراسات - نقد - مناقشات) ص ٢٦١ لتفعل على رأي "بول فان تيايم" جبب "الانكليزيين" .

(٥) راجع القصة في الأدب العربي وبحوث أخرى ، لمحمود تيمور ، ص ١٣ - ١٥ القاهرة مكتبة الآداب .

(٦) من كتب الأدب المقارن ، الأدب المقارن ؛ لمحمد غنيمي هلال - ط ١ دار الثقافة ودار العودة



في الغرب ، وما يزال المجال فسيحاً لاكتشاف جوانب التأثير المباشر وغير المباشر لهذا الأدب القصصي العربي في الآداب الأجنبية على الصعيد العالمي .

وعلى سبيل المثال ، عندما نقرأ ما تخلل أعمال القاص " أوجار آلان بو " من صور للابنيسية والقصور ، وما وصف به الأستار والطنافس ، ونحوهما من أثاث ورياش ، وما صور به المسارك والقناديل وتلونها واندلاع ألسنة اللهب من أثنائها ، لانملك إلا أن تعود بنا الذاكرة الى القصص العربي وصوره وأخيلته وتهاويله ، وان " بو " قد تأثر في كل هذا عن طريق " ألف ليلة وليلة " وما جرى مجراها . وليس افتتان بو " باللسان العربي يحتاج الى توكيد ، فقد صور ذلك في مقطوعاته الشعرية عندما أراد وصف مثال للحسن في أسمى نماذجه ، فلم يجد اقتباساً أفضل من تلك الصورة المعجزة التي وصف بها القرآن نور الله في قوله تعالى " نوره كمشكاة ، فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاج كإنها كوكب دري ، يوقد في شجرة مباركة لاشرقية ولا غربية ، يكاد زيتها يضيء " ولو لم تمسه نار (١)

ما ذكرناه من قصص كان أشهرها في الأدب العربي قبل العصر الحديث ، ولكن ، لنا ملاحظة لابد من تسجيلها ، وهي : ان القصة العربية لم ينظر اليها في القديم على أنها جنس أدبي له قواعد ، او رسالة فنية او انسانية ، كما أن هذا الجنس لم يلق أية عناية من نقاد العرب قبل العصر الحديث ، لأنهم لم يعمدوا بنقد الأدب الموضوعي ، ولم ينظروا بنظرات ذات قيمة فيما يخص وحدة العمل الأدبي غنائياً كان أم غير غنائي ، لأن نقدهم كان نقداً لجزئيات العمل الأدبي في الأعم الأغلب . . (٢) .

اذن لم يكن للقصة قبل العصر الحديث عندنا شأن يذكره بل كان لها مفهوم خاص لم ينهض بها ، ولم يجعلها ذات رسالة اجتماعية وانسانية ، لأن الألوان القصصية القديمة ، التي كانت حكاياتها خليطاً من قصص الكتب السماوية ، ومن القصص الشعبي العربي الذي دار حول أعمال الأبطال المغامرين ، نجد ما الألوان المستحكمة في النفوس ، وقد نسج الناس على منوالها الكثير من الحكايات التي كان يتلهون بها ويسمرون ، وكان تنقل أخبار الأبطال المحليين وأعمال الأمراء والمشايخ الذين كانوا يتناوبون الحكم ، وخصوصاً في لبنان (٣) حيث كانوا يتناولون ألواناً من القصص لا تخرج عن قصص الأخلاق والعادات التي تعرفها كل أمة ، وما زالت تصحبه حتى اليوم (٤) ولكن ، هل استطاعت الحكايات الشعبية بأنواعها المختلفة ، أن تهنيء في لبنان لكتابة القصة في بداية عصر النهضة ؟ وهل استطاع أولئك الكتاب أن يأخذوا من هذه المادة القصصية موضوعات يصوغونها فـ

(١) سورة النور ؟ آية ٣٥

(٢) راجع الأدب المقارن ، ل محمد غنيمي هلال ، ط ٥ ص ٤٢ ، دار الثقافة ودار العودة -

بيروت

(٣) ركزنا على لبنان ، لأنه البيئة العربية التي تحتضن سهيل ادريس وتؤثر فيه ، وهو موضوع بحثنا

(٤) من الاساطير التي اشتهرت في لبنان ، كما اشتهرت عند ام كثيرة ، أسطورة " أدونيس وعشروت " وهي أسطورة عيد الربيع في لبنان ، وكانت أسطورة مشهورة عند السومريين والبابليين والافريقي مثال الجمال اللبناني القديم .

قوالب غنية ؟ ان ما وصلنا من فن قصصي لا يؤكد هذه القضية ، وان كانت هناك بعض الملاحم الشعبية الشعبية (١) رغم ان اللبنانيين كانوا يتلون أخبار الشعر والشعراء ، ويطلعون على جميع الألوان التي اعتبرناها أملا للقصة العربية (٢) .

كان هذا التراث الضخم من الألوان الأدبية المختلفة لقي أمم عيون أدباء لبنان في بداية عصر النهضة ، ولكنهم لم يتلقوا اليه أكثر من لفتة يانية ، حيث نبذوا ما كتب منه بلغة لا يرضون بها . فقامت معركة لغوية عامة الوطيس في تلك الآونة التي كانت تقتضيهم حينها شامتا لأحياء لغتهم لخايات قومية وطنية ، ولتأرب أدبية (٣) .

وفي نهمضتنا الحديثة أيضا ، كان الرأي الأدبي العام في بلادنا العربية ، تصطبرع فيه نزعتان : نزعة أحياء القديم من الأدب العربي ، وما فيه من لون قصصي ، وذلك ببعث ذمائه ، ومحاكلتها ، ليستأنف أدبنا العربي بهماجده في عصوره الزاهرة ، وكانت النزعة الثانية أن نهمل من أدب الغرب ما نوهل حتى يتاح لنا أن نكتب القصة في صيغتها الجديدة ، ونفبع فيها من روح الحياة ، والمجتمع (٤) ولكن ، هذا لم يمنع اللبنانيين من المحارلة في كتابة القصة (٥) بيد أن أنضج هذه المحارلات كانت محاولة اليازجي في " مجمع البحرين " كان القصد منها - كما يقول محمد يوسف نجم - كتابتها بلغة عربية صافية بجزلة ، وإدارتها في جو عربي صريح ، ووسيلة لبعث التراث العربي ، وبث الشعور القومي في النفوس (٦) .

لم تكن كتابة اليازجي الا تقليدا لكتابة المقامة في العصر العباسي الثالث والرابع ، فالمقامة باطارها الصلب الجامد ، وبانشائها المتكلف السرهق ، وبحكاياتها التي تنزاري خلف الشغف بالاغراب اللغوي ، والحرص على تسجيل المصارف والخلم ، لم تكن لتلائم روح العصر الأدبية ، لذلك لم يقدر لها أن تعيش ، وتساير ركب النهضة الأدبية الحديثة ، فماتت قبل أن تتحرك ، سواء في القديم أو في الحديث ، رغم ما اتعت به مقامات " المولحي " في مصر ، وحافظ في " ليالي - سطج " بمبسم الجدة ، وثوب يلائم روح العصر الى حد كبير .

ونرى أن اللبنانيين بحكم اتصالهم بالغرب ، سواء كان هذا الاتصال عن طريق الترجمة أو غيرها ، أخذوا يتطلعون الى نتاج الفكر الغربي ، بعد أن أهبطوا التراث القصصي الشرقي ، واستدلاء نتاج الغرب ان يلعب دورا هاما في تحرير شعورهم وعقليتهم وتطور شخصيتهم . وكانت القصة أول ما قابلوه أمامهم ، لأن النصف الثاني من القرن التاسع عشر سجل نهضة عظيمة للقصة في الأدب الغربي ، ولعل دنوا القصة من الضامع الشعبية واستجابتها لرغبات القراء العاديين ، أبناء الطبقة

(١) كحكايات دارت حول الأمير بشير الشهابي ومحسن الهزان ويوسف كرم وسواهم .

(٢) الأغاني " وكليلة ودمنة " وألف ليلة وليلة ، والمقامات ، ورسالة الخفران ، وحي بن يقظان وغيرها .

(٣) نجم ، محمد يوسف . القصة في الأدب العربي الحديث ص ١١ و ١٢ .

(٤) بيوي ، السباعي . تاريخ القصة والنقد . ص ١٥ - ١٨ القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٦ م

(٥) مثل القس حنانا العنير ، وأحمد البرير ، ونقولا الترك ، وأبراهيم الاحدب ، والشدياق ، واليازجي .

(٦) راجع القصة في الادب العربي الحديث " لنجم ص ١١ و ١٢ .

البرجوازية الناشئة في عالمي الفكر والشعور كانا سببين مهمين في إثارة الكتاب لها وتفنيها على غيرها من ألوان الأدب ، ولقد لعبت الصحافة والترجمة ومن ورائها المطبعة دورا في خدمة القراء الذين لم يتمكنوا من قراءة القصص في لغاتها الأصلية ، حيث بدأت المجلات تنشر وترجم بعض القصص لترضي قراءها ، وأغلبتهم الساحقة من العامة (١) .

ومع انتشار القصص المترجمة ، وعن طريق الصحف والمجلات ، تغيرت نظرة الأدباء التي كانت عليها ، وفهموا نظرية هذا الفن ، وبخاصة أولئك الذين يجادلون اللغات الأجنبية ، والمتمسكين بلغتهم العربية ، لذلك أثبت الناس على قراءة هذا اللون من الأدب ، كما أقبل الكتاب على كتابته فحسبوا في أساليبه ، ورفعوا من موضوعاته ، وأعلوا من شأنه ، لأنهم بدأوا يشعرون بتطور الذوق الأدبي العام ، وبخاصة القصة ، فزاد عدد الكتاب ، كما زاد عدد القراء .

ونرى أن القصة كانت من أهم ما شغلت به أقلام الناقلين ، ولا تزال حتى الآن بابا واسعا في الأدب العربي الحديث ، على أن هذا الفن لم يظل معتمدا كل الاعتماد على النقل ، فقد ظهر جيل في العالم العربي ، بعد الحرب العالمية الثانية ، استطاع أن يعالج القصة والتأليف فيها فجزوا فيه شوطا بعيدا في تطوير العبارة ، فأصبحت أقرب إلى أذواق الجمهور ، كما تطورت موضوعاتها وأهدافها ، ولم يبق العالم العربي كما كان في بدء النهضة يحاول السير إلى الامام وعيناه إلى الوراء ، بل اندفع يغرف من مناهل الحضارة الغربية ، فتأثر بها فكريا واجتماعيا ، واستوحى منها ما لم يجد في ما نقل إليه من تراث قديم .

ومنذ استقر الوضع بعد الحرب العالمية الثانية ، بدأ يظهر في جيل الأمة العربية جيسل من رواد الاداب الأجنبية ، فترجموا الكثير من روائعها ، ثم أخذوا يحاولون التأليف القصصي من واقع حياتهم ومطالب عصرهم .

ونرى بعد جيل الحرب الثانية من رواد القصة العربية جيلا آخر فني النزعة والأصول فسي كتابة القصة من رجال ونساء ، يمثلهم سهيل ادريس ، وكلمهم مرهف القلم (٢) على أن عملهم لم يتم بعد ، ولكننا سنتناول أعمال سهيل ادريس بالدراسة والتحليل في الابواب التالية ، حتى تكتمل الصورة التي بدأناها في تاريخ القصة ، ولكن بالصورة الفنية التي تتعلق بالاسلوب والمضمون ، وما يدور بفلكهما ، حتى نعرف الأبعاد التي وصلت إليها القصة العربية الحديثة على أيدي هؤلاء الناس الذين يمثلهم سهيل ادريس في وقتنا الحاضر .

(١) - من المجلات التي كانت تنشر القصص المترجمة :

"حديقة الأخبار" لخليل الخوري بيروت ١٨٥٨ . فقد نشر فيها قصص عدة ، موضوعات مترجمة ، ومنها قصته " (وى) اذن لست بافرننجي " التي جمعها فيما بعد ، وطبعها بالمطبعة السورية ١٨٦٠ ، وكان كثير من أصدقائه يترجمون بعض القصص والمقالات ،

ويبعثون بها لنشرها في صحيفته ، ومن هؤلاء : سليم بستر ، واسكندر تويني ، وغيرهما . وراجع كل ما يتعلق بهذه الصحف في القصة في الادب العربي الحديث " لمحمد يوسف نجم ص ١٥ و ١٦ و ١٧ .

(٢) - المقدسي ، أنيس . النون الأدبية واعلامها ص ٥٠٨ . دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٣ .

## الفصل الثاني

=====

### الفن في اللغة :

الفن ، من فن فنا الشيء : زينه ، وفن الابل ، طردها . وفن الناس ، جعلهم فنونا . وفن رأيه ، لونه فلم يثبت على رأى أحد ، وفن الشيء بالشيء ، خلطه . تفنن الشيء ، تنوعت فنونه . والفن : جمع أفنان وفنون . وجمع أفنانين ، الضرب من الشيء أو النوع " الحال " هو تطبيق الفنان معارفه على ما يتناوله من صور الطبيعة فيرتفع به الى مثل أعلى تحقيقا لفكرة أو عاطفة يقصد بها التعبير عن الجمال الاكمل تلذيذا للعقل والقلب (١)

### الفن في الاصطلاح :

هو انتاج الانساني الذي يدور حول عنصر الجمال ، او الذي يكون فيه الجمال اعلا يدور حوله .

والفن من أوسع الالفاظ العربية انتشارا ، تستعمل كثيرا في موضوع الأدب ، وفي غيره من الموضوعات ، ولها ألوان من المعنى . ونستطيع أن نطلق على كلمة فن كلمة صناعة ، مع كل ما ينطوي تحت هذه اللفظة من نوع ، ووصف ، ومعنى ، واختلاف النظرة الى الفن معروف وقديم ، فقد يكن بنظر البعض ترفا ومتعا يستغنى عنهما ، وقد يكون تقليدا للطبيعة . وقد يكون ابتكارا ، وقد يكون مستمدا من الوظيفة التي يؤديها . وقد قيل فيه الكثير (٢) ولكن معناه يشتمل من الصراحة والقدرة .

وفن القصة ، هو الطريقة التي يخالج فيها الكاتب القصصي موضوع قصته بأسلوب فني ويستجيب لواقع الحياة . . . وهذان العنصران : العنصر الفني ، والاستجابة لواقع الحياة هما الاساسان الضروريان لكل قصة فنية .

فمن حيث الفن ، نرى المحدثين من كتاب القصة يعنون بأن تكون اكثر احكاما وأكثر حرما على الانسجام الفكري والارتباط العاطفي ، والتحليل الباطني ، ليجد القارئ فيها شيئا غير مجرد الخبر والتسلية الممتعة العابرة .

ومن حيث استجابتنا لواقع الحياة ، فيمكن القول أن القصة بهذا المعنى حديثة العهد في جميع الآداب العالمية . فمؤرخو الادب لا يرجعون تاريخها الى أبعد من القرن الثامن

(١) راجع المعجمات العربية .

(٢) علي أسعد : فن المنتجب الحائي - الكتاب الثالث ص ٢٦١ ، دار الانسان الجديد بيروت الفن عند افلاطون : تقليد للتقليد ، لذلك تأتي مرتبته ادنى من الفكر ، وهذه هي النظرية السالبة .

والفن عند ارسطو : تقليد أو تعبير لشيء ما ، ولكنه ليس تقليدا اعصى ، انما هو تقليد بشرف والفنان لا ينقل الطبيعة كما هي ، انما يستعين بها ليخبر عن اشياء جديدة ، وليضيف اليها من ذات نفسه ، وهذه هي النظرية العلمية الواقعية .

وأصحاب النظرية السالبة يقولون : ان الفن للفن ، اي يجب ان يسمو الفن على مستوى الحياة العادية ، ويرون ان الفنانين آلهة يعيشون في عالم مثالي ، ويخلقون في هذا العالم ما يشاؤون ، ويحاولون بما خلقوا ان يسموا بالناس الى مستوى هذا العالم .

عشره لانها كانت قبل تدور على غرائب من الحوادث التي لا تمت الى واقع الحياة بصله ، او على أشخاص خياليين تنسب اليهم من وقائع البطولة او الصغائر ما لا يساومه العقل والمنطق (١) حتى أتى " سرفانتس " الاسباني ، فألف قصته " دون كيخوته " وضمنها من الواقع ما جعلها أول نموذج للقصة الحديثة ، وقد تلاها قصص كثيرة تصور المجتمع ، وتنقل العادات والتقاليد ، وبذلك خرجت القصة من دور الخيال الى دور الواقع المحسوس ، وأخذت تحنى بتحليل الصواطف والنفس ، ولكنها لم تتخلص تماما من حكايات الصغائر ، ولا نزل الى القرن التاسع عشر حتى نجد ما تنسئ بطبقات المجتمع والفرد وحقولهم الممنومة . . . وكلما تقدمنا في القرن حقبه كلما تقدمت القصة خطوة . . . ولم نأبث ان استوعبت الحياة بجميع عبورها السعيدة والشقية ، وفسحت مدرها للقضايا الاجتماعية ولتحليل النفسي ، بحيث غدت في عصرنا أهم فرع ادبي انساني يجلو أعماق الحياة البشرية ، والأحوال النفسية الواعية ، وغير الواعية ، وكأنها دائرة معارف الانسان ، فهي تجسم احساسنا به ، ومشاكله وظواهره وبواطنه منفردا ومتقلبا في مجتمعه (٢) .

عناصر القصة : قبل الكلام عن عناصر القصة لابد من الاشارة الى أنواعها (٣) ، فقد قسموا القصة الى ثلاثة أنواع من حيث الكم ، أما من حيث النوع ، فقد قسموها الى أنواع عديدة .

أ - من حيث الكم ، ركزوا على ثلاثة أنواع هي :  
 ١ - القصة القصيرة ، وسموها بالأقصوصة (٤) أحيانا ، وهذه القصة تعالج جانبا أو قطاعا من الحياة ، ويقتصر فيها على حادثة أو بضع حوادث يتكون منها موضوع مستقل بشخصياته ومقوماته ، ولها فترة زمنية محدودة ، تفرض عليه أن يكون تاما وناضجا من الوجهة التحليلية والمعالجة . . . وهنا تظهر براعة الكاتب لان مجال القصة القصيرة ضيق ومحدود أمامه ، الامر الذي يتطلب منه الوعي التام والتركيز المركز .

٢ - والقصة : وهي تتوسط بين الأقصوصة والرواية ، وفيها يعالج الكاتب جوانب أرحب مما تعالجه " القصة القصيرة " فيطول الزمن ، وتمتد الحوادث ، ويتوالى تطورها في شيء من التشابك .

- (١) المقدسي ، انيس ، الفنون الادبية وأدبها ، ص : ٤٩٨ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ١٩٦٣ م  
 (٢) ضيف ، شوقي ، في النقد الادبي ، ص : ٢٢٥ و ٢٢٦ ، ط ٢ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٦ م  
 (٣) « - راجع دراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زفلول سلام ص ٥ مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٤ .  
 ٢ - راجع الفنون الادبية واعلامها ، لأنيس المقدسي ص ٤٩٩ و ٥١٥ دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٣ .  
 ٣ - راجع تاريخ القصة والنقد ، لاسماعي بيومي ص ١٤ - ١٦ مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٦ م  
 (٤) تختلف القصة القصيرة عن الأقصوصة في أنها فترة كاملة من حياة خاتمة أو مجموعة من الحيات بينما الأقصوصة تتناول قطاعا أو شريحة أو موقفا من الحياة ، ولذا يضطر الكاتب الى الدخول في تفاصيل يتجنبها كاتب الأقصوصة .  
 نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ، ص ٩ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ م

٣ - والنوع الثالث هو الرواية<sup>(١)</sup> "يالج فيها كاتبها موضوعا كاملا أو أكثر ، زاخرا بحياة واحدة تامة أو أكثر ، فلا ينتهي القارئ منها الا وقد ألم بحياة البطل او الابطال في مراحلهم المختلفة . ويميدان هذا النوع فسيح امام كاتبها ، حيث يستطيع ان يكشف الستار عن حياة ابطاله ، ويجلو الحوادث مهما تستغرق من الوقت ، وقد تناول أمة بكاملها ، أو جيلا بكامله .

ب - والقصة من حيث النوع ، سواء كانت قصة قصيرة ، او رواية ، نجدها قصة اجتماعية وقصة فلسفية ، وقصة تاريخية ، وقصة بوليسية ، وقصة عاطفية ، وقصة انسانية ، اي حيث الموضوع الذي تعالجه . ونستطيع ان نطلق على جميع هذه الانواع اسم القصة الفنية ، لانها لم تكن على هذه الفنية إلا بعد التطعيم الذي حصل نتيجة للثقافات الغربية التي اطلع شرقنا عليها ، أدن ، فالقصة الفنية ، دخيلة على الادب العربي ، ناشئة فيه ، لا أنصطب لينا في الشرق ولا استمداد لونا من ادب العرب"<sup>(٢)</sup> .

وانا أخذنا كلمة تطعيم<sup>(٣)</sup> ، وحاولنا أن نقف على نتائجها ، نجد أن تطعيم الآداب بعضها ببعض خير الوسائل وأجداها لترقية الأنواع . وهذا ما عمله الخيال اللبناني المعاصر في الادب العربي ، حيث طعمه بالثقافات الاخرى ، فأم ما بدأ به العباسيون الاوائل ، لان الثقافة كالمسجر ، تنمو وتزداد بالتبادل والعمل المنتج ، واللبناني تاجر عبقرى ، وصورة الثقافة كما قالوا : تختلف باختلاف المحيط والزمان .

والقصة الفنية ، على اختلاف مضمونها لا تكون بلا هدف اجتماعي ، فهي صورة عن المجتمع . أما الذي لا يصبغ ، فسوأن يكون القصصي واعظا<sup>(٤)</sup> .

عناصر القصة الفنية<sup>(٥)</sup>

كل قصة فنية لها عناصر تلتزمها ، ولا تخلو من أية قصة جيدة ، وهذه العناصر هي : ( الوسط او البيئة .. الحكمة .. الحدث .. الشخصيات .. الحراز .. الاسلوب ) وسنحاول بقدر الامكان ، اعطاء فكرة عامة موجزة عن قيمة هذه العناصر في وحدة القصة الفنية ،

(١) الرواية ، نوع من القصص يتفاوت في الطول ، ويكتب بالنثر ، استخدمت هذه الكلمة لأول مرة في انجلترا في القرن ١٦ عندما عرفت فيها القصة الايطالية ، ومنها قصص الديكاميون التي كتبها بوكاشيو .

اما الرواية الحديثة فيرجع تاريخها الى القرن ١٨ وإلى الروايات التي كتبها كل من دانييل ديفو وصمويل ريتشاردسون .

ولما كانت الرواية تختص بقدر كبير من الحرية ، من حيث الصياغة والموضوع ، فان من الصعوبة بمكان الوقوف على تعريف دقيق لهذا النوع من التأليف .

الموسوعة العربية ص ٨٨٣

(٢) راجع القصص في الأدب العربي ، ماضيه وحاضره ، لمحمود تيمور ، ص ٢٣ مكتبة الاداب القاهرة .

(٣) راجع ، جدد وتدماء ، لمارون عبود ، ص ٣٠٥ دار الثقافة بيروت ١٩٥٤ م

(٤) عبود ، مارون . جدد وتدماء ، ص ٢٦١ دار الثقافة بيروت ١٩٥٤ .

(٥) راجع فن القصة عند نجم ، ودراسات في القصة العربية ، لمحمد زغلول محطلم ، وفن القصة القميرة لرشاد رشدي ، والقصة من خلال تجاربي الذاتية ، للسحار .

حتى تصبح دراستنا شاملة ، نوعا ما ، لفن القصة من جهة ، ومن جهة ثانية نرى الى أى مدى استطاع سهيل ادريس ان يوفق بين كتاباته وبين هذه العناصر الفنية .  
نحن لانعني أنه يوجد مقياس دقيق لمعرفة القصة الجيدة ، فالقصة ككل عمل فني يختلف الناس في تقديرنا ، والاختبار المعقول لتقديم قصة ما هو الا مدى تأثيرها في نفس قارئها ، فإن عاش فيها مدة طويلة ، وتغلغل في نفسه وبدلان أن تدوب وتتلاشى نمت فيها على مرور الزمن ، تكون قصة فنية تقرأ ، فيهبها قارئها الحياة .  
١ - الوسط أو البيئة ؟

هي مجموعة القوى والعوامل الثابتة والطارئة التي تحيط بالفرد وتؤثر في تصرفاته في الحياة ، وتوجهها وجهات معينة ، وبهذا لم يعد الانسان سيد نفسه ، كما لا يمكن أن يعتبر ظاهرة منبئة مفصلة عن أسبابها ونتائجها ، بل هو الحلقة الأخيرة من سلسلة طويلة من الأجداد والآباء ، وهو عضو في أسرة كبيرة ، وآلة تديرها يد ضخمة قوية هي يد الطبيعة أويد القدر أويد المجتمع (١) .

وللبينة دور هام تلعبه في تطور الأحداث ، والحبكة القصصية ، وفي حياة الأبطال وصراعهم مع القوى المختلفة لهذه البيئة ، أو الظروف التي تليها عليهم ، وتكون العنصر السائد عند الواقعيين لأن الواقعية التي نريدها للقصة الفنية الكاملة ليست هي الواقعية التي يشهد بصدقها المؤرخون ، وتقدم الوثائق دليلا على صحتها ، لكنها الواقعية التي تلقى في روع القارئ أنها صحيحة (٢) .

وأثر البيئة واضح جدا في تطور أحداث "الخدق الغميق" والحي اللاتيني" وقد أملت ظروف البيئة على سامي "الصراع المستمر الذي لازمه في كل خطوة كان يخطوها على مسرح حياته ، ولم تكن اقامته في فرنسا قادرة على أن تزيل هذا الأثر الذي اعاده الى بلاده ، تاركا حبه هناك يوحى من البيئة التي عاشها في طفولته .

## ٢ - حبكة القصة ؟

الحبكة في القصة ، أو العقدة ، هي مجموعة الحوادث التي تجري فيها ، ويربط "نجم" هذه الحوادث التي تجري فيها برباط السببية ، وهي لاتنفصل عن الشخصيات الا فصلا مصطنعا مؤقتا ، وذلك لتسهيل الدراسة ، فالقاص الذي يعرض علينا أبطاله دائما لا يعرضهم الا متفاعلين مع الحوادث ، متأثرين بها ، ولا يفصلهم عنها بوجه من الوجوه (٣) .  
ومهما يكن من أمر ، فهناك نوعان متميزان للحبكة الاصلية ، هما : الحبكة المفككة ، والحبكة المتماسكة .

(١) راجع فن القصة لمحمد يوسف نجم ، ص ٢٣ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ م

(٢) فنون الأدب لتشارلفون - ترجمة زكي نجيب محمود ص ١٤٠ .

(٣) نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ، ص ٦٣ ، دار الثقافة -

والقصة ذات الحكمة المفككة ، لا يكون لها سلك ينظم كل حوادثها ، وليس لها عقدة واحدة ، ففيها أكثر من عقدة ، وأكثر من بطل ، وأكثر من حادثة غير متساكدة لانها أشبه بالحياة الكبيرة التي تتفاعل فيها الشخصيات وتتصارع لتكون الحقيقة الفنية التي يهدف إليها كاتبها <sup>(١)</sup> وعلى سبيل المثال نذكر روايات سهيل ادريس وقصة الشارع الجديد للسحارو " زقاق المدق " لنجيب محفوظ ، " والحرب والسلام " لتولستوى .

ويرى تشارلتن \* أن بعض كتاب القصة المعاصرين لا يعنون بهذه الحكمة ، ومن ثم بهم لا يربون احداثهم في ترابط وتسلل ، بل يحشدون حوادث القصة في خلط وفوضى لتجني قصصهم مطابقة للحياة ، لأن حوادث الحياة لا تسير على نظام محكم ، تراهم لا يجلسون لقصصهم بداية ، ولا نهاية ، لأن الحياة لا تبدأ عند نقطة وتنتهي عند أخرى ولا بد أن يصوروا الواقع في قصصهم ، فيضعون حقيقة في أثر حقيقة لا تربطها صلة ، لأن حقائق الحياة تتابع على هذا النحو بغير صلة لازمة ، بين السابقة واللاحقة . ومن هذا القبيل أيضا ما يشبه اليه بعض رجال القصة المعاصرين من سرق حكايات قصيرة متعاقبة ، او محادثات متقطعة تفصل بينها الفواصل ، وقد بلغ هذا الاتجاه الجديد في القصة ابلغ مداه عند " جويس " و " مس وتشردس " فنراها يخرجان القصة في مقلط عجيب زاعمين أنهما يصوران الحياة تصويرا واقسيا <sup>(٢)</sup>

وعلى هذا الأساس يرى تشارلتن ان حبكة القصة ذات أهمية كبرى في صياغتها الفنية ، وتعتمد على عدة عناصر ، منها : التوقيت <sup>(٣)</sup> ، والايقاع <sup>(٤)</sup> ، والتشويق <sup>(٥)</sup> .

- (١) نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ص ٧٣ ، وكذلك راجع دراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زغلول سلام ص ٢٦ .
- وراجع القصة من خلال تجاربي الذاتية لعبد الحميد السحار ص ٢٧ - ٣٠ محمد سعيد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٠ م
- (٢) فنون الادب لتشارلتن ، ترجمة زكي نجيب محمود ص ١٤٧ .
- (٣) التوقيت : هو سيرالحوادث في بطل أو سرعة تجميعها ثم انطلاقها ، وهكذا .
- (٤) الايقاع : هو التوزيع والتفاوت في درجيات الانفعال ، ومقدمة من القاص لنا على هيئة امواج تتحرك بنظام خاص لتؤدي الى تأثير معين يشخر القارئ معه بأن القصة تسير وفق قانون مرسم وهذا التعبير التمرجي هو الذي يسمى الايقاع ، وقد يبدو أحيانا متحركا مسرعا .
- (٥) اما عنصر التشويق فهو كل ما يحمده اليه الكاتب من حيل وما يعرفه من اشياء في القصة وتطور احداثها تشد القارئ اليها . ويختلف هذا العنصر باختلاف عرض كل كاتب له وطريق معالجته اياه مثل اخفاء سمرمين على القارئ تدور عليه احداث القصة ويكشف للقارئ شيئا فشيئا حتى العقدة او الذروة . وهذه الذروة هي نقطة فاصلة تتدرج الحوادث قبلها صعودا حتى تنهل الى ذلك التوتر ، ثم عملية التصفية والكشف عن الخاتمة .

١ - راجع دراسات في القصة العربية لمحمد زغلول سلام ص : ٢٧ و ٢٨

٢ - راجع فن القصة لمحمد يوسف نجم ، ص ( ٨٥ - ٨٧ ) .



والقصة ذات الحبكة المتماسكة هي على عكس ذلك ، إذ تنغم على حوادث مترابطة يأخذ بعضها برقاب بعض ، وتسير في خط مستقيم حتى تبلغ مستقرها . . . وأكثر قصص سربيل ادريس القصيرة من هذا النوع ، مثل العراء ، وأشواق . . .

ولا يمكن فصلها عن شخصياتها و فالشخصيات ، وسلوكها نثر في سير القصة وتطورها حتى تصل الى نهايتها الطبيعية ، وتحل مشاكلها بعد أن ينتهي الصراع بين الشخصيات ويسر ويستنفذ كل أغراضه . (١)

### ٣ - الحدث :

الحدث هو اقتران فعل بزمن ، ومن الضروري وجوده في القصة لانها لا تنعم الا به وقد يكتفى بعرض الحدث نفسه دون مقدمات او نتائج كما في القصة القصيرة ، وقد يعرض هذا الحدث متلوها مفصلا مثلا في القصة الطويلة او الرواية .

وتتفاوت القصص في بيان هذا العنصر ، فمنها ما يهتم بالحدث ويؤثر على غيره ويقتضي في عرضه في صور مشوقة ، كما هو الحال في قصص " الفليلة وليلة " وفي القصص البوليسية .

على أن بعض كتاب القصة يعتمدون على افتعال الاحداث (٢) لسد القراء لقصصهم ويدخلون عليها عناصر غير طبيعية ، لزيادة المفاجأة والاعراب ، وتضخم الحوادث مثل تدخل الجن والمردة في قصص " الفليلة وليلة " والقضاء والقدر والمصادفات في قصصنا الحديث ، ولكن الافضل والأنسب ما قدمه سربيل ادريس من قصص تسير الاحداث فيها طبيعية او كالتبعية . . . ولا تخلو قصة من قصصه تناقض هذا الاسلوب الذي يتودنا الى الاحساس بواقعية الحياة التي يحياها أبطال هذه القصص .

### ٤ - الزمن :

والزمن ضابط الفصل ، وبه يتم ، وعلى نبذاته يسجل الحدث وقائمه ، ونحن وان كنا لانستطيع ان نفعل بين الحدث والزمن الا اننا نتبين اثر الزمن عاملا فعلا في كثير من القصص الطويلة والروايات . . . ومن أظهر القصص التي تبرز عنصر الزمن قصة " تولستوى " الحرب والسلام " فقد يبدو عامل الزمن في هذه القصة في انطواء وزوال الاجيال .

والزمن يلعب دورا كبيرا في تنوع القصة . فالقصة القصيرة ، مثلا لا تحتاج الى فترة زمنية محدودة ، عكس الرواية التي تحتاج الى زمن قد يستغرق أسرة كاملة أو شعبا كاملا أو أجيالا متتابعة .

(١) راجع القصة من خلال تجاربي الذاتية ، للسحار ص ( ٣٠ - ٣٣ )

وراجع فن القصة ، لنجم ص : ٧٦

(٢) راجع فن القصة ، لعماد يوسف نجم ، ص : ١٤٣ - ١٤٧ ط ٥

## ٥- شخصيات القصة

إذا أخذنا بعين الاعتبار قصة ما ، فأول ما يصادف الكاتب ، سواء استمد موضوعه من الحياة التي يحيها أو يراقبها ، أو تعدى ذلك إلى عوالم الخيال والخيوط لإيجاد شخصياته ، وتحركاتهم ، من رجال ونساء ، تحركات الأحياء الذين تعرفهم أو نعلم بوجودهم ، وراقبهم حتى نهاية القصة على مسح خائمتها .

ولكن ، من أين يأتي الكاتب بشخصياته ؟ (١) ولا شك فشخصية كل إنسان مشتقة من عناصر أساسية لا تتعدى مولده وبيئته وسلوكه أو الظروف التي تعترض طريقه ، والإنسان بصفة عامة له صورتان لشخصيته : صورة يعرفه الناس من خلالها ، وأخرى خاصة به ولا تظهر إلا للأخصاء ، أو المقربين العارفين ، لذلك نرى أن شخصيات كل كاتب لا تخرج عن ثلاثة مجالات هي :-

١- الملاحظة المباشرة في الحياة المحيطة به ، والاعتماد على إدراكه لامكانيات الشخصية الإنسانية ، ولطاقاتها الكامنة \* وهذا الإدراك يتوقف على فهمه لشخصيته وقدرته على استيطانها والفتنة إلى أحاسيسها الداخلية ، وخصوصاً إن الإنسان مزيج من الخير والشر ، ولا وجود للشخصية الخيرة كلها ، ولا للشخصية الشريرة كلها في واقع الحياة ، لذلك كان تصوير شخصية بيضاء بلا شر ، أو سوداء بلا خير تصويراً يبعد عن المدق ، ويزخر بالزيف والافتعال .

٢- الانتباس من أكثر من شخصية حية ، قد يسمع عنها في أحد مجالسه أو من أحد أصدقائه ، أو حتى يقرأ عنها في صحيفة أو في كتاب ، ويصحب بها ، فيبني لها عمداً قصة يوثقها بالأثاث اللائق من الانفصالات ، والأحداث ، عبر فترة زمنية محددة .

٣- الخيال : حيث تكون شخصية القصة خيالية ، لا وجود لها في الحقيقة ولادة الخيال ، الذي من خلاله يستطيع الكاتب أن يخلق الشخصية التي يريد ، ويستطيع بواسطتها أن يفعل ما يعجب أن يفعله هو عبر الحقيقة ، أي يستطيع من خلال هذه الشخصية أن ينفس عن رغباته الكامنة في أعماقه .

وعلى " العمم " إن الشخصية في القصة تختلف عنها في الحياة . فالفن والحياة شيئان متباينان ، والوجود في أحدهما يختلف عن الوجود في الآخر ، فالحياة تفرض علينا وجوداً مستمراً ، بينما الشخصية في القصة ، لا تتأخر إلا في الأوقات التي ينتظر منها أن تفعل شيئاً بعامل ما ، بينما نحن في حياتنا الواقعية نحيش أياماً ، بل سنين ، دون أن نعمل عملاً .  
دأما يلفت النظر (٢)

(١) ١- راجع فن القصة لمحمد يوسف نجم ، ص: ٩ - ٨ ، ١٠ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٦٦٦ م  
٢- راجع دراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زغلول سلام ص ١٤ - ١٩ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٤ م  
٣- راجع القصة من خلال تجاربي الذاتية للسلام ص ٨٢ - ٨٦ مع د الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٠ م

(٢) نجم ، محمد يوسف ، فن القصة ط ٥ ، ص: ٩٣ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٦٦٦ م

وإذا نظرنا الى القصص الحديثة من حيث الشخصية ، نراها لم تكشف بعض الشخصيات بصورة عامة ، او تركت الاحداث تبين جوانبها ، بل عمدت بتطور الدراسات النفسية ، الى التخلخل في أعماق العقل الانساني ، وتعقب العوامل التي تعمل داخل النفس الانسانية ، لها بالنسبة للحدث في اللحظة والزمن الواحد ، بل بناء على تعقيد ناشئ من الظروف المختلفة . وفي القصص الجيدة نرى شخصية ابداً لها يغلب عليها هذا اللون ، ولكن قد تكون بعض الشخصيات مركبة وان غلبت عليها صفة واحدة تحجب جوانبها .

### ضروب المعالجة الفنية :

إذا نظرنا الى هذا الموضوع بعين يقظة ، نجد ان كل كاتب طريقة خاصة به ، يقدم من خلالها ابطال قصصه على مسنح القصة ، ويكشف جوانبهم شيئاً فشيئاً ، ونراه يعايشهم بالطريقة التي يريد لها لهم ، ولكن عن طريق المراوغة لا التدخل المباشر .

وضروب المعالجة الفنية ، او طريقة عرض الحوادث او تطويرها لم يظهر منها حتى الان الا اربعة انواع ، نلخصها ابعاداً فكرة ايضاحية لبحثنا هذا ، وحتى تكون المعالجة كاملة من جميع نواحيها وان كانت بشكل مرجز بسيط .

١ - طريقة السرد المباشر : وهي الطريقة الملحمية ، وعمل الكاتب هنا كمثل المؤرخ ، وفي هذه الطريقة يسرد القاص الاحداث في تتابع ، ويقدم اشخاصه مفسراً تصرفاتها ، ومحللاً افعالها ، ويسير بالاحداث او الشخصيات السير الطبيعي ، حتى تبلغ الاحداث نهايتها ، وهي اكثر الطرق شيوعاً ، ويغلب فيها التاريخ الظاهر لمجموعة شخصيات القصة ، واكثر ما تعرفه من قصص ينتمي الى هذه الطريقة .

٢ - طريقة الترجمة الذاتية : ويتحدث فيها الكاتب بضمير المتكلم على لسان البطل او البطلة ، او على لسان شخصية ثانوية وهي ايسر طريقة لعرض حوادث القصة وتطورها ، وعيبيها ان القراء - وأحياناً النقاد - غالباً ما يستقروا في ضمائرهم ان القصة المروية ان هي الا ترجمة ذاتية لمؤلفها ، وانها قد وقعت بتفصيلها . وهذا الاتهام الذي وجهه الكثيرون من القراء والنقاد الى سهيل ادريس .

٣ - طريقة الوثائق : او الرسائل المتبادلة ، ومنها يعتمد القاص على الرسائل المتبادلة بين ابطال القصة ، ومن خلال تلك الرسائل يعالج المشكلة ، ويوضح الشخصيات ويرسم الجوال العام للقصة . . . . . ويستطيع القاص ان يجمع بين طريقتين او اكثر من هذه الطرق كما فعل سهيل ادريس في رواية " الحي اللاتيني " .

٤ - طريقة تيار الوعي (١) ، او المنزلق الداخلي ، المعتمد على معطيات علم

(١) هذه الطريقة اوجدها كاتب فرنسي مخمور من الرزميين " ادوار ديباردان " وقد ألف قصة ودعاها " لقد سقطت اشجار الغار " اعدها في باريس ١٨٨٨ وهي قصة شاب باريسى دعا احدهم الممثلة الى العشاء ، وهي تسجل المشوار التي جالت بذهن ذلك الشاب وبذهن تلك الممثلة في ذلك اللقاء .

النفس ، والقول بالاشعور ، وهو عبارة عن شرح ما يدور في أحيلا الشخصيات وعرض الناحية الفكرية لها . وتعتبر هذه الطريقة من أحدث التطورات في فن القصة ، ويعتمد الكاتب فيها على احلام اليقظة وتناد ان تخلو القصة من الحوادث ، فقاما الانكار والذكريات ، دون التبد بالنظام المنطقي للاحداث .

ولكن ، لكل ضرب من هذه الضروب ميذاتها الخاصة :

• طريقة السرد المباشر ، يستطيع الكاتب من خلالها تحريك شخصياته ، ورسم الامكنة والمواقف كما يشاء .

• وطريقة الترجمة الذاتية ، تساعد الكاتب على رسم جوهر الصدق والسذاجة والالفة . وطريقة الرسائل والمذكرات ، فائدتها تتجلى في اثارها للكاتب التعبير عن الاحاسيس والعواطف التي تعتمل في نفوس مختلف الشخصيات بحرية وانطلاق ، كما انها تساعد على الارهاص والذبؤ بالمصائب قبل وقوعها ، وبالنتائج قبل تكفيها .

• وطريقة تيار الوعي " او " المنولوج الداخلي " تتج للكاتب ان يصور لنا الحياة كما تتصورها تلك الشخصية ، وان يكشف لنا عن نظرة الشخصية الى الشخصيات الاخرى ، وبالعكس ، وهذا يرسم بحالم الشخصية من خلال عالمها الشعوري واللاشعوري الخاص ، ومن خلال الانعواء التي تلقينا الشخصيات الاخرى عليها ، وهذا يقدم لنا صورة تنضج بالدارافة والالفة والصدق (١) .

## ٥ - الحوار :

الحوار ركن من اركان الاسلوب في القصة ، يستخدمه الكاتب في تكون الشخصية والتعبير عن آرائها ، ونظرتها الى الحياة ، وفي تصارع الشخصيات بعضها ببعض ، وفي شرح عواطفها ، وهو من أهم الرسائل التي يعتمد عليها الكاتب في رسم شخصياتها ، وعمل الحوار الحقيقي في القصة هو رفع الحجب عن عواطف الشخصية ، وأحاسيسها المختلفة ، وشعورها الباطن تجاه الحوادث او الشخصيات الاخرى ، وهو ما يسمى عادة بالبحج او الاعتراف ، على أن يكون بطريقة تلقائية تخلو من التعمد والصنعة والرهق والإفتعال (٢) .

(١) لمزيد من الاطلاع راجع :

(١) - النند الاتبي الحديث ، لمحمد فنيهي هلال ص : ٥٥٠ و ٥٥١ ط ٤ دار

النهضة العربية بالقاهرة ١٩٦٩ م

٢ - دراسات في القصة العربية الحديثة لمحمد زغلول سلام ص ٢٣ و ٢٤ مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ١٩٦٤ .

٣ - فن القصة ، لمحمد يوسف نجم ط ٥ ص ٧٧ - ٨٢ ط ٥ دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ .

٤ - القصة من خلال تجاربي الذاتية لعبد الحميد السحار ص ٣٤ - ٤٣ معهد الدراسات العالية القاهرة ١٩٦٠ م .

(٢) نجيم ، محمد يوسف ، فن القصة ، ص : ١١٨ دار الثقافة بيروت ١٩٦٦ .

والحوار يجب ان يكتب بلغة عربية تناسب لغة الشخص ، فيها مذاجة ، وفيها  
سخرية ، وفيها عمق ، وفيها خفة ، ويكون سبباً مباشراً في اکتال جو القصة واتمام الانسجام .

### ٦ - الاسلوب :

نعني بالاسلوب : الصورة التعبيرية التي يصوغ بها كاتب القصة قصته ، متضمنة  
اللغة والعبارات ، والصور البيانية ، والحوار ، وما اليامن عناصر الصياغة . وفي الاسلوب  
تتجلى براعة القاص في العرض ، وفي التمهيد ، ولكن للاسلوب مقاييس لا يستدلح القاص ان  
يتطاولها ، فبدانك مقاييس نقد الكلمة ، ونقد الجملة ، والتلاؤم بين اللفظ والمعنى ،  
والمواخاة بين الالفاظ والطبيعة ، والتثقيف ، والتكلف والصنعة ووحدة النسيج ، وضعف  
التأليف ، والايجاز ، والاطناب ، وهذه المقاييس مجتمعة تزدى اغراضها في الشعر وفي  
النثر ، ونقني دراستها التعثر في الطريق التعبيرية (١) .

ويحاول نقاد القصة الربط بين الاسلوب والمضمون في القصة ، شأن غيرهم ممن  
نقاد الشعر ، وهو لا هم الغالب في اتباع الاتجاه المراقبي ، يقول " ليدل " يمكننا  
القول بأن الاسلوب لا ينفصل عن المعنى اذا أردنا بالمعنى المعنى الاجمالي كما ذكره  
رتشاردز عندما حمله الى أربعة أقسام : الادراك والشعور ، والنخبة ، والفرش ، ويذكر ما نقله  
موياسان عن فلوير " ان كل معنى يراد التفسير عنه لا بد له من كلمة الدلالة عليه ، ويغفل لحركة ،  
وينة لبيان ما عنيته ، ولذا فان على الكاتب ان يبحث حتى يصل الى تلك اللفظة ، والتجسس  
والهفة (٢) ولكن شوقي ضيف يقول عن الاسلوب القصصي انه ذو معنيين : معنى عام يشمل نسبياً  
القصة كله بجميع موادها وعناصره ، ومعنى خاص يقف عند التعبير ووسائله اللغوية وخصائصه  
اللافظية وقد مرت القصة بأدوار تميزت فيها أساليبنا وافتقرت من طور الى طور ، ونحن  
نستطيع ان نتبين أصولها في الهلام وفي الاناشيد والترانيم الدينية ، والاقاصيص الشعبية  
المختلفة ، ولكل امة من ذلك أطيافها التي احتفظت بها (٣) من لنا نرى أن التمهيد بأسلوب  
فني يحتاج الى كثير من المران والدرب ، وأن الصور البيانية المشرقة لها خطرهما في تقديم  
العمل الادبي عامة ، ولها فبني القصة شأن آخر وهذه الصور تجمع بين الفائدة القصصية والروعة  
البيانية .

اما عن عناصر القصة الفنية ، وانسجامها مع ما أنتجته العبقرية السهيلية ، فلنا معها وثقة  
طويلة في الباب الثالث ، وسنرى الى أي مدى كان سهيل ادريس متجاوزاً ومنتسجماً مع هذه  
العناصر الفنية ، وذلك من خلال دراستنا وتحليلنا لرواياته الثلاث ، وبعض القصص القصيرة  
التي تمثل مجموعاته القصصية القصيرة الست .

- (١) لمزيد من الاطلاع ، راجع كتاب في المنتجب العاني وعرفان لاسعد علي - الكتاب الثالث  
نقد الاسلوب الفصل الاول من صفحة ٢٦٥ - ٣٥٥ .
- (٢) سلام ، محمد زغلول . دراسات في القصة العربية الحديثة ص ٢٣ مكتبة الانجلو المصرية  
القاهرة ١٩٦٤ م
- (٣) ضيفه شوقي في العنقد الادبي ص ٢٢٥ ط ٢ دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٦ م .

### الخاتمة

=====

رأينا من منطلق دراستنا التي تتعلق بدراسة القصة والرواية عند سهيل ادريس ،  
رأينا أن نعطي القارئ لمحة عامة عن القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ ، وكذلك عن  
فن القصة ، لذلك جعلنا هنا الباب في فصلين :

في الفصل الأول : تناولنا القصة في اللغة وفي الاصطلاح وفي التاريخ ، وخطواتها  
معها خطوات ايضاح عبر هذه المفاهيم .

وفي الفصل الثاني : تناولنا فن القصة ، من خلال الفن في اللغة ، وفي  
الاصطلاح ، وعبر عناصر القصة الفنية ، من وسط أو بيئة ، وحبكة ، وحدث ، وزمن  
وشخصيات وخيال ، وحوار ، وأسلوب ، مارين على ضروب المعالجة الفنية ، حتى  
تتجه دراستنا الوجهة القريبة من المعالجة الفنية التي تفرض على الكاتب القصص  
التزامه بقواعدها .

\* \* \* \*

## المبحث الثالث

### أعمال سهيل ادريس

#### الفصل الأول

- |     |               |   |                               |
|-----|---------------|---|-------------------------------|
| ١ - | المبحث الأول  | : | قصة العمراء                   |
| ٢ - | المبحث الثاني | : | قصة القراءة في العميون المغضة |
| ٣ - | المبحث الثالث | : | قصة اشبوسراق                  |
| ٤ - | المبحث الرابع | : | قصة رحماك ياد شسق             |

#### الفصل الثاني

### روايات سهيل ادريس

- |     |               |   |                                   |
|-----|---------------|---|-----------------------------------|
| ١ - | المبحث الأول  | : | الخدسوق الغميسوق                  |
| ٢ - | المبحث الثاني | : | الخدسي اللاتينيس                  |
| ٣ - | المبحث الثالث | : | اجابنا التي تحتسوق                |
| ٤ - | المبحث الرابع | : | روايات سهيل ادريس في مرايا النقاد |

#### خاتمة

الفصل الأول  
=====

أفانيس ستهيل ادريس

- ١ - المبحث الأول : العراء
  - ٢ - = الثاني : القراءة في السيون المغمضة
  - ٣ - = الثالث : أشواق
  - ٤ - = الرابع : رحماك يادمشق
-



### الباب الثالث

#### اعمال سهيل ادريس

المدخل :  
=====

أعمال سهيل ادريس تدل عليه في حياته الخاصة وفي حياته العامة ، ولطالما عرفت الحياة يحدد من ألوانها من الآثار الأدبية التي يكتبها الوهوبون . (١)

وربما يصح ما قاله المستشرق الأبج . جوميه ، في عدد دراسته لثلاثية نجيب محفوظ ، على ما يتعلق بأعمال سهيل ادريس عموماً ، وبرواياته الثلاث خصوصاً . نالاب جوميه يقول : " وما من شك في أن كل عمل فني فيه نصيب من الخيال ومن الابتداع الذي خلقه الفنان خلقاً ، ولكنه - فيما عدا حالات نادرة جداً - يعكس أيضاً جانباً من الواقع ، حتى ولو لم يكن هذا الجانب سوى الفنان نفسه . . . " (٢)

فالخيال والواقع يدخلان في كل عمل فني ، الواقع يمدّ الفنان بالوقائع ، والخيال يمدّه بالصور التي تنقل الواقع تصويراً وتطويراً . (٣)

وسهيل ادريس ، تأثر بروائع عاشها ونقلها الى الدنيا بأعماله لعلها تحدث أثراً فتشجع على المثل العليا وتتفرني الحياة الدنيا (٤)

ان سهيل ادريس يصور الحياة في " الخندق النميقي " ، وفي " الحي اللاتيني " وفي " أصابعنا التي تحترق " ويعطي للواقع ألواناً من الخيال المصور الذي يهوى به جهاد المنكر العربي ليقرر واقعاً وبغيره .

فسهيل ادريس يقرر " عمق الخندق " العميق بين جيلين : جيل متزمت ، وجيل يتوق الى التحرر (٥) . واين الخندق النميقي التائق الى التحرر لا يجده في وطنه وانحساراً

١ - لاحظ على سبيل المثال :

(١) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ، للدكتور أحمد محمد الحوفي ، القاهرة ،

مكتبة مصر ، ط ٤ ، سنة ١٩٦٧ م .

(٢) ابن الرومي حياته وشعره ، لجناب محمود العقاد ، بيروت ، دار الكتاب العربي ،

ط ٦ ، سنة ١٩٦٥ م .

(٣) الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام ، للدكتور اسعد علي ، بيروت ، دار الكتاب

البناني ، ط ٢ ، سنة ١٩٧٢ م .

٢ - ثلاثية نجيب محفوظ . الأبج جوميه : ترجمة الدكتور نظمي لوقا . القاهرة ، مكتبة مصر ١٩٥٩ م

٣ - تظهر الفكرة جلية في " مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة " للدكتور اسعد علي ،

بيروت ، دار الانسان الجديد ، ص : ٣ ط ١ ١٩٧٤ م فيه درس تلخيصي لاشتراك الواقع

والمثال في كل عمل فني .

٤ - لاحظ الحماسة للمثل العليا وحسن الاستفادة من آثارها في الأدب عموماً في مقدمة :

الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام ، ص : ٣٠

٥ - قرأت تحليلياً مركز المشكلة تركيزاً نقدياً وتربوياً في :

أ - الطلاب وانسان المستقبل ، لاسعد علي ، بيروت ، دار الرائد العربي ط ١ ١٩٧١ م

ب - لأنك حبيبتني أو اسطورة الصحراء ، المقدمة لاسعد علي ، بيروت ، التعاونية اللبنانية ط ١ ، ١٩٧٤ م ، ص ١١ - ١٧

يبعده في "الحي اللاتيني" وهنا يشعر بالغمّة ، لأن الحي "لاتيني وليس عربيا ، هذا هو الواقع لماذا يعطل الانسان العربي الفكر ؟ أيديش لهو "الحي اللاتيني" ، بميسدا عن تزمت الأب والام ، أم أن عليه واجباً آخر ؟

في روايات سهيل ادريس الثالث ،  
وفي قصصه القصيرة الخمسين .

وفي مسرحيته ، ومخاضاته ، ونشاطاته في مجلة الآداب ، واتحاد الكتاب (١) أجوبة مختلفة على مضمون هذا السؤال .

يفهم ، اجمالاً من أعمال سهيل ادريس القصصية ، أن على الفكر العربي الذي عاين في العالمين أن ينجس شيئاً لديه " الخندق الضيق " ليردم جور الأخطاء والتزمت ويسعد به ليكون "الحي العربي" .

في هذه الأعمال صور لهذا التدرج عن " الخندق الضيق " الى "الحي اللاتيني" ثم العودة الى " الخندق الضيق " والكفاح له ليكون الحياة " للحي العربي " . وكل هذه الأعمال تروّج ، بصورة ما ، لحياة مؤلفها المساعدة من " الخندق الضيق " ممثلة بحياة أمته المتأففة لتسعد من خندقها الضيق الى " حياها التوي " المشرق .

ومن هنا أهمية أعمال سهيل ادريس ، فقد تحدث أثراً في نفوس الشباب العرب الذين يثابرون بعضهم أن مذهبهم تنتهي في متأخرة آباءهم وأمهاتهم للتغلب على تزمتهم والتصويبن من كبت التربية الشرقية بانحلال جنسي يعيشونه في "الحي اللاتيني" أو ما يشبهه " إن أعمال سهيل ادريس تبشر بالمرحلة الثالثة : وهي مرحلة العودة الى الأصول واحتضانها لتحيا بنور الثور (٢) فتتفتح جيل الشيخ وجيل الشباب (٣)

لذلك أبسط هذه الأعمال السهيلية ، تحليلاً ونقداً ،

وأشجع بالتحليل خلاصة ملاحظاتنا أمام التاريخ ليرى حركة سهيل الفكرية في حوالسي

رسخ قسرن .

ثم ألفت بالنقد الى قيمتها الفنية والاجتماعية . . وبالتالي أظهر دور الثقافة والفن في

بناء الانسان فرداً وجماعة (٤) .

١ - سأوضح مشاركة سهيل ادريس في الأدب العربي الحديث من خلال مجلته ، واتحاده بعد بسط

آثاره القصصية المنشورة .

٢ - لاحظ ان الأدب انسان المستقبل ، قصة الدوامه ، أو شجرة للحياة ص ٤١ - ٤٤

٣ - لاحظ : لانك حبيبتني ، ص ١٧

٤ - لاحظ : زكي الارسوزي " ودور اللسان في بناء الانسان ، رسالة ماجستير لخليل احمد ،

نوقشت في معهد الآداب العربية سنة ١٩٧٤ م ، فيها ايضاً لدور اللغة والفن في تربية

الانسان ونهضة المجتمع .

وأرجو في هذا التحليل وهذا النقد أن أساعد تراءً سهيل ادريس على حسن التأثر به ، سلبا وإيجابا .

أعني بالتأثر السلبى : الابتعاد بما صوره مبعدا عن جوهره الفعّال في تغيير ذاته وفي تغيير مجتمعه .

وأعني بالتأثر الإيجابى : الاقتراب بما صوره مقربا الى جوهر "الانسان الحق" الذى يجاهد الكاتب لصناعة الحياة له ، فردا ، وفي أسرة ، وفي وطن ، وفي أمة ، وفي كون انساني .

فهل استطعت ذلك في دراستي هذه ؟

حاولت في الباب الأول : دراسة حياة سهيل ادريس معتمدا على نصوصه أولا ، وخصوصا رواياته التى تعتبر نوعا من أنواع الرواية الفنية يسمونه : رواية الترجمة الذاتية ، ولكن هذا لا يعنى أن رواياته لم تأخذ من خصائص الرواية التحليلية ، وهى نوع آخر من أنواع الرواية الفنية ، كما لا يعنى أنها لا تعطى ملامح من الرواية التاريخية ، ولامح من رواية الترفيه والتسلية (١) ، وفي كل ذلك مواد طيبة للتعليم (٢) مستمدا من الواقع (٣) والابتداع (٤) .

وحاولت في هذا الباب دراسة أعمال سهيل ادريس تعبيرا عن تأثراته وموهبته ، ثم الاشارة الى مشاركته في الأدب الحديث بأوجه نشاطه المختلفة التى منها أعماله . وفي أعماله ركزت على النتائج القصصية ، وميّزت فيه بين الروائى والقصصى ، وفي القصصى درست صور الأسلوب المعتمدة توصلا الى المعاني المتأثرة بالواقعية ، واقع الكاتب الفردى ، وواقع الأمة القومى . . وسنرى أن القصص القصيرة ، عند سهيل ادريس لاتعد ووثائق هذين الواقعيين ، كينما جاء لأن المعالجة بصوره : سرد مباشر ، أو ترجمة ذاتية ، أو رسائل ووثائق متبادلة ، أو تيار الوعى أو المونولوج الداخلى (٥) .

(١) لاحظ : تطور الرواية العربية في مصر ( ١٨٧٠ - ١٩٣٨ م ) للدكتور عبدالمحسن بدر

القاهرة - دار المعارف ١٩٦٣ م .

(٢) ملاحظات الأستاذ المشرف .

(٣) لاحظ : الواقعية في الرواية العربية ، للدكتور محمد حسن عبدالله . القاهرة ،

دار المعارف بمصر ١٩٧١ م .

(٤) لاحظ : فكرة الخيال والواقع في خاتمة هذا العرض ، وكذلك فكرة الواقع والمثال .

(٥) لاحظ : دراسات في القصة العربية الحديثة ، لمحمد زغلول سلام ، بعنوان : ضروب

المعالجة الفنية ، فهو يعتبر ضروب المعالجة اربعة هى التى ذكرتها لأتبيين عناصرها في

قصص سهيل ادريس عند التطبيق عليها .

وللتأكد من كل ماتقدم نحمد الى تحليل قصص سهيل ادريس ونقدتها ، ولنتعرف الى عناصرها الفنية (١) وما تحققه من شروط : الوسط والبيئة ، والحبكة ، والحدث ، والشخصيات ، وضروب المعالجة الفنية ، والحوار ، والأسلوب .  
من هنا جعلنا هذا الباب من فصلين ، وكل فصل يتكون من أربعة مباحث ، وهذا التمديد وخاتمة .

في الفصل الأول : تناولنا أقاصيص سهيل ادريس في أربعة مباحث :

- ١ - المبحث الأول : تناولنا قصة الصراة دراسة وتحليلا .
  - ٢ - وفي المبحث الثاني : تناولنا قصة القراءة في العيون المفضضة دراسة وتحليلا .
  - ٣ - وفي المبحث الثالث : تناولنا قصة أشواق دراسة وتحليلا .
  - ٤ - وفي المبحث الرابع : تناولنا قصة رحماك يادمشق أيضا دراسة وتحليلا .
- وخرجنا بنتيجة عامة طبقناها على مجموعات سهيل ادريس القصصية الست .

وفي الفصل الثاني :

تناولنا روايات سهيل ادريس في أربعة مباحث أيضا :

- ١ - المبحث الاول : تناولنا فيه رواية الخندق الضيق دراسة وتحليلا .
- ٢ - وفي المبحث الثاني : تناولنا فيه رواية الحي اللاتيني دراسة وتحليلا .
- ٣ - وفي المبحث الثالث : تناولنا فيه رواية أصابعنا التي تحترق دراسة وتحليلا .
- ٤ - وفي المبحث الرابع : تناولنا روايات سهيل ادريس في مرایا النقاد ، حيث استعرضنا بعض ما قيل في هذه الروايات ، ومن ثم حللنا هذه الآراء ووقفنا على أبعادها الفنية .

(١) بسطت القصة الفنية ، في كتب النقد المختلفة ، منها :

أ - فن القصة ، لمحمد يوسف نجم ط ٥ بيروت ، دار الثقافة سنة ١٩٦٦م

ب - دراسات في القصة العربية الحديثة ، لمحمد زغلول سلام ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٤م .

ج - الأدب الفرنسي الجديد ، لغاتيان بسايكون . ترجمة تيبه صقر وانطون شمالي . بيروت - دار عويدات ط ١ / ١٩٦٣م ، الفصل الثالث ، القصة الفرنسية الجديدة .

في هذا الفصل اعتبار خاص للقصة ، فهي لا تستجيب لحاجة سرد حكاية ، وخلق اشخاص ووصف اخلاق وأوساط اجتماعية . تريد القصة الحالية أن تكون قصة الوضع البشري (ص ١٠٤) .

د - نظرية الأدب طبيعة السرد القصصي . وأنماطه (ص ٢٧٥ - ٢٩٣) أوستن دارين ورنيه بليك ، ترجمة محي الدين مبيحي . دمشق . المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ١٩٧٢م .

## البحث الأول

=====

### أقصوة العراء (١)

هي الاقصوة الثالثة في المجموعة المسماة باسمها .

#### ١- زمانها :

سنة ١٩٦٧ ، وهي سنة الشدة ، فيها تصعد العمل  
الغداي وفيها كانت معركة العرب الخاسرة ، المشهورة بنكسة الخامس  
من حزيران .

#### ٢- مكانها :

رأس مئثفاني بيروت ، يرى سور الاسرى العرب أمام مجننات  
اسرائيليات في صحيفة فرنسية ، فتذهله السور ، ويستثقل المدلول فيفقد وعيه  
ويسقط على حافة الطريق العام فينقله سائق سيارة الى المستشفى فيتصور ، وهو  
فاقد الوعي ، أنه يقوم برحلة عطليات كما يفعل الغدائيون ، فيدخل الصحراء  
الديري ، ويتعرف الى عالم مجهول بعيد غامض ، لم يعرفه الا اركسك  
الذين خرجوا دفاعا عن حق وتوكيدا لكرامة (٢) .

#### ٣- أشخاصها وأحداثها :

المئثف العربي ، وزوجته سلوى ، وصديقه غسان  
وابن عمه عاطف ، وهناك شخصيات عامة : الشعب العربي المخدوع ، الجنود  
المغامرون ، الحكام المتكلمون ، المقاتلات الاسرائيليات ، الصحافنة  
الاجنبية ، والاذاعات العربية .

#### ٤- جوها العام :

هو جوال حياة العربية الذاهلة ، بصورة عامة ، في تلك  
الفترة من الزمان . الكل يحب ان يدافع عن وجوده وأن يغلب على ضعفه  
وأن يخرج من أقبية الظلام الى عرى الحقيقة في وضوح العراء .

---

(١) العراء : ترجمها المستشرق ميرماكوف ، ترجمت الى اللغة الروسية في مجموعة  
صدرت عن دار اجانبول ، وضمت المجموعة معظم قصص العراء ، مع قصص  
اخرى مختارة من مجموعات سنيل ادريس السابقة طبعت منها ١٠٠٠٠ نسخة  
بتاريخ ١٩٧٥/٦/٢ .

(٢) العراء ، ص : ٣٦

٥ - تسميتها: العراء ، ومعناه : "الفضاء" الذي لا يستتر فيه بشي\* (١) . والكاتب في حبكة القصة وتطور أحداثها يدعو "للخروج إلى العراء" (٢) " فلماذا هذه الدعوة ، وما جدواها عند التحليل والنقد ؟ .

سبيل ادريس يدعو للخروج الى العراء ، هذه خلاصة المسيرة التي قام بها المثقف العربي في تصوره ، كما فهم ذلك المثقف من زوجته رضي تروى له الحكاية بعد الوعي .

وبناءً على القصة الفني يجعلها نوعاً من المونولوج الداخلي الذي يقرر العالم الخارجي المؤلف ويحاول التخلص من أثقاله .

### وتبدأ القصة بقمة الحبكة أو العقدة ،

فالعقدة في هذا الصراع الذي يصوره الكاتب بين المثقف والجندي ، فالجندي يمضي في رأس هذا المثقف ، يمضي فوق عينيه ، يكاد حذاره الضخم يسحق أنف المثقف وفمه . . إن قدمي الجندي تملآن المدى كله ، الصحراء والسما . . انبعا تسدان على المثقف كل الآفاق ، وتتحركان في رأسه كطرقات مطرقة حتى ينم ارجافاً راعياً\* (٣) .

تلك هي عقدة القصة ، وقمة تأزمها . وأي تأم أكبر من أن تحتل ساقا جندي بحذائهما الضخم رأس المثقف من داخله ولا تبرحانه ؟ كيف تحل هذه العقدة المتأزمة ، من ينقذ المثقف العربي من هذا الاحتلاق الساحل ؟ .

ان سبيل ادريس لا يعمد الى حل العقدة ، بل يقفز الى ما قبلها ، ويحاول أن ينقلنا الى الوسط الزمني والمكاني الذي توالدت فيه خيوط الحبكة ، وتسببت الأحداث ، وسببت الشخصيات حتى كان مالا بد منه ، وهو تلك العقدة المتأزمة ، عقدة احتلال حذاء الجندي لرأس المثقف العربي ، فكيف تطورت الأحداث حتى حصلت الأزمة .

أذيع أن الحرب قد بدأت ، ففج الناس ، ورقصوا في الشوارع ، تعبيراً عن إيمانهم وتوقهم الى الميدان وحمل السلاح\* (٤) .

لكن الاذاعة لا تكسب حراً ، فقد خسرت الحرب بدون حرب ، لم يكن الحرب فسي المعركة ، ولم تعط لهم فرصة لممارسة شجاعتهم ، لقد كان في الأمر ما فيه ، فهزم الحرب فسي الغامس من حزيران .

(١) المعجمات

(٢) العراء ، ص : ٤٢

(٣) العراء ، ص : ٣١ - ٣٢

(٤) نفسها ، ص : ٣٤

ونقل الاعلام العالمي أنباء الحرب وصورتها ، في اذاعته وصحفه . . . وكان عاطف في فرنسا  
فحمل لابن عمه المشفق صحفا فرنسية فيها صور لجنود من العرب الأسرى ، يسيرون أمام جندييات  
اسرائيليات ، وهم يرفعون أيديهم وراء رؤوسهم ، ويسيرون حفاة الأقدام .

واستلمت سلوى ، زوجة المشفق ، الصحف وقدمتها لزوجها وأرته المنورة المفجعة ، وخطرت  
له صور النساء العرب ، وأوشك أن يصرخ في وجهها : " أيتها القوارير الفائزة المتملظة التي  
لاهم لها الا أن تتلقى ما يقذفه الذكور في أحشائها المعطشى " (١) ثم كف عن ذلك وتذكر أن  
الرجال مسؤولون أيضا ، ثم فكر أن الرجال والنساء من شعبه غير مسؤولين ، انهم فرحسوا  
بإعلان الحرب ، ورفضوا ، وكانوا يتوقرون لحمل السلاح والمشاركة . . . ولكنهم ، لم يتح لهم  
ذلك الشرف العظيم . . . وماذا بعد ؟

ان في عيني سلوى شبح استسلام . وان ضمة من زوجها لها تمنحها القوة ، وتستجيب  
للضمة ، وتبتدل اليه ، كعادتها ، ليرحم نفسه ويرحمها ويرحم الأولاد ويعود الى الواقع والحياة  
وينسى أو يتناسى قضايا الأمة (٢) .

لكن الخيلة تخترع خيالات من الواقع وأشد ايلاما من الحقيقة .

ويخادران المكتب بسيارتهما ، الى شاطي\* البحر فيرى السماء مقلوبة في البحر ، وتذكر  
الصورة والشهداء في الصحراء ، وينكر على نفسه عدوية حياته هنا وشقاء اخوانه هناك . . . ويعودان  
الى المنزل لملاقاتة الأولاد الذين آن دعد عودتهم من المدرسة ، وكان قد نسي أولاده منذ أيام . . .  
ويضطجع في سريره ، ويقلب صفحات المجلة الفرنسية المنوعة فيرى تلك الصورة المزعجة (٣) .

وينسى أنه يرى صورة ، وينسى حسن الاتجاه ، ويسير في المسيرة ليخوض الصحراء  
كما شاذها صديقه غسان ، وكما سيخرضها عشرات الآلاف ومئاتها .

ويبتعد عن عالمه المؤلف ، متقدما نحو الصحراء ليميش نقاءها وعريتها في العراء . . . لكنسه  
يشعر بحرارة الشمس الشديدة في التاسعة . . . وتذكر زوجته سلوى وكيف رافقها الى المكتب في  
الثامنة ، بعد أن ذهب الأولاد الى المدرسة ، وكيف خدعها بزعمه أنه قاعد مكتب البريد  
وتذكر رسالة من أهل غسان ، حملها بريد الاسبوع الماضي . . . ويأمل أن يرى غسان في  
الصحراء ليحدثه عن ابنه وزوجته وأمه . وفجأة خطر له أن صاحب الصورة القليل قد يكون صديقه  
غسانا ، وبهذه المخاطرة ازداد عذابه بالشن الذي أخذ يلمسه كحرارة الشمس (٤) .

وتذكر أنه يحمل مدارة في كفه اليسرى ، وترانزستور في يده اليمنى . . . فشرب جرعة ثم  
جرعتين من المارة . . . وانتبه لاقتيل المجهول في ارض الصحراء الكبرى الذي قيل أنه مات عطشا ،

(١) العراء ص ٣٤

(٢) نفسه ، ص ٣٤

(٣) العراء ، ص ٣٤ - ٣٥

(٤) نفسها ، ص ٣٥ - ٣٧

فرص المطر في الصحراء لعلها تساعد شميد العطش على النهوض والارتواء (١) .

وتذكر الترانزستور الذي يحمله ، " وهم فيه زرا ، وأدار زرا آخر ، فانبعثت أصوات غناء وموسيقى وأنباء وتحليقات ، وفورا شعر بالخيفة والاعجاب على صوت عالمه المؤلف " وتذكر الجارد الذين كانوا يحملون ، اسم أمثال هذا الترانزستور ليربطهم بالعالم البعيد ، لقد كان ارتكك الاصدقاء يريدون من أجهزة تهم أن تدلهم ، غير أنوما أنبأهم بأن طائرات العدو تتساقط كأوراق الغرشي ، بينما كانوا يريدونها تحاق فوق رؤوسهم طيوراً سوداء تحمل في مناقيرها الموت ، وتجبرهم على الانسحاب بخطوة خطوة (٢) .

وهذه عقدة جديدة فما الحل ؟

هذا الترانزستور يضلل ويكذب ولا يمكن أن يكون دليلاً ، وعلى دل جندي أن يبحث عن بيته ، معتمداً فحسب على قدميه وعينه ويديه ، وربما أظافره . . ولكن حتى تحمل الأظافر ينخي أن تتحرر الأيدي . . فكر هكذا ، وتذف الترانزستور بعيداً من غير أن يخذت صوته ، وقال : " سيظل ساعات ، بل ربما أياما ، وهو يطلق زعيقه ، ولكن الصحراء لن تلبس طولاً حتى تخنقه (٣) .

ولما ألقى عنه ما يذكره بالعالم المؤلف ، أحس نفسه خفيفاً مغلق اليدين والروح ، فخلع قميصه ، وألقى قبل بصدرة الشمس المحرقة ، وقال لنفسه : الآن فقط ، قد يبدأ العذاب الحقيقي (٤) .

هنا تلتقي الخيوط كلها لتشكل قمة التأم في عقدة القصة ، ترك المثقف زوجته وأولاده واندفع الى الصحراء في مسيرة يشارك بها البطل غسانا وأماليه " وترك مطرته التي كان يمكن أن يشرب منها عند الظم . . وترك مذياعه الذي كان يمكن أن يمله بعالمه بصورة من المسور . . وما هو يترك قميصه ويستقبل شمس الصحراء بصدرة العاري ليبدأ مواجهة العذاب الحقيقي . . فويل يموت في الصحراء من الظم والحر ؟ أم هو يرى صديق غساناً هناك ؟

عندما تبلغ العقدة قمة التأم تتدن نحو الحل ، فكيف تحل عقدة المثقف ؟ كيف يترك هذا الجندي رأسه ؟ وكيف يتجنب من المرت في حر الصحراء ؟

انه يحس بلسعة في جبينه ، وحين يرفع يده تصطدم بكيس بارد ، ويسمع همس صوت يخبره مبشراً بأنه أفاق . . ويسأل : " ماذا هناك ، وأين أنا ؟ ويسمع صوت ساوي يخبره بأنه مصاب بالحمى ، وأنه سيخرد الى البيت بعد أيام . . ويغض عينيه متذكراً رحلته القصيرة .

(١) نفسها ، ص : ٣٧ - ٣٩

(٢) הרא ، ص : ٣٨

(٣) نفسها ، ص : ٣٨

(٤) نفسها ، ص : ٣٩



وعندما يذمض عينيه يعود الجندي ، لكنه لا يمشي في رأسه هذه المرة ، بل يمشي الى جانبه ، ويشعر أنهما ينبضي أن يشيا معا ، وما ينبضي أن يسقطا أو ينهضا (١) .

ويتنبه الى كلام سلوى ، وهو لا يزال مغمض العينين ، فيفهم من كلامها : أن سائقنا نقله الى المستشفى بعد أن وجده ملقى على حافة الطريق العام ، فاقد الوعي .

ويتحدث الى سلوى بشأن الأولاد ، ولماذا لا يأتون لرؤيته ، فتجيبه أنها لا تريد أن يروا وجهه المحروق . . . وتخبره أن غسانا قد عاد من رحلته كما عاد هو من غيبوته . . . وبدأ يحي موت سلوى وهي تحكي له حكاية تلك المسيرة ، كأننا كانت نقرأها في رسالة . . . لكن الرسالة كانت طويلة وتصيرة :

انها طويلة طول أيام العذاب التي عاشها غسان في الصحراء ، فعلا ، كاشفا صدره للسماء ، يتطهر في الشمس من الأدران .

وهي رسالة قصيرة قصر لحظات الحلم الابوسي التي عاشها المثقف بصورة دلوسة لاشعورية لم يكن فيها شيء تقريبا ، لم يكن الا دعوة للخروج الى الصرا (٢) .

هذه تفاصيل بناء قصة الصرا : البدء بالحبكة المتأزمة ، ثم الصودة الى بدايات الاحداث ومرافقتها ، وهي تتطور وتتشابك - خطوطها في الزمان والمكان لتخلق التأزم المتعدد ثم سحب الخطوط المتشابكة في رأس المثقف ، خيطا خيطا ، لتنجلي الرؤية وتحلل العقدة ، فاذا الأخطار كلها والمخاوف جميعها تنهار دفعة واحدة بالصودة الى اليقظة الواعية . . . فكيف يستفيد النقد من عرض أحداث هذه القصة ؟

ان عدسة النقد تلتقط خيوط الأشعة إلى نقطة التركيز في المشكلة الام . والمشكلة الام في هذه القصة ، كما تنبئ رموزها هي مشكلة القوة والفكر .

فالقوة التي رمز اليها بالجندي تعمي الفكر الذي رمز اليه بالمثقف ، اذا تسلطت عليه تسلطا قوتيا . وهذا التسلط الذي يسحق بحذا الجندي أنف المثقف ونمه فيمنعه من الحياة مرتين : مرة عندما يمنع عن أنفه الهواء ، ومرة عندما يمنع فمه من ارسال الكلمة المنقذة المحيية . . . وفي مثل هذا الموقف تفقد القوة من الفكر تكون النتيجة هزيمة الأمة ، كما حصل في الخامس من حزيران .

والهزيمة ثقل آخر ، يحسه المفكر حذا جندي يسحق أنفه ونمه مرة أخرى بالهزيمة وما تحنيه الهزيمة من عار .

وأمام الثقلين يجد المثقف نفسه فاقد الوعي ، غاضبا على نفسه ، فهو المثقف القدر (٣)

(١) الصرا ، ص: ٤٠

(٢) نفسها ، ص: ٤١ - ٤٢

(٣) نفسها ، ص: ٣٥

وهو "الارستقراطي المتطرف" (١) وهو البعيد عن رحلة المعاناة البطولية التي يعانيها النجـال الشجيمان الاشداء كصديقه غسان ، الا في التصور (٢) .

ان المثقف يجلد نفسه ، ويلارعيه يقم بمحاكات داوولة لنفسه ، فيدع أسرته ويتخفف من كل شي في عالم المألوف ليتخلص من الكذب والخطأ اللذين يؤديان الى مقتل القوة في الشعب المسام وفي الجيش المقاتل . . انه لا يلم الشعب الاعزل ، رجالا ونساء ، ولا يلوم الجنود ، قتلى أو أسرى أو قارين . . انه لا يلم سوى المتكر . على الفكر ان يمشي القسوة ويسير معها ، فبالفكر تهدي القوة والقوة يحى الفكر . واذا اقتربا فانهما يضيعان معا ، تسحق القوة الفكر فتضعه من مدها بما يحميها من توجيه وارثاد ، وتسحقه بما تجره عليه هزائمه من آلام وأحزان وعار . اذا انتقيا فان الفكر يجلد نفسه ويصبح حلوسة لاوعي فيها ، ان علاقة القوة بالفكر توئم عقدة القصة فيمشي الجندي بحذاءه في رأس المثقف ويسحق انفه وذهمه قبيل المعركة ويحدها . . وان علاقة الفكر بالقوة تحل العقدة وتفتح الخمة ، فهل تسمع القوة نداء الفكر .

ان الفكر يدعوا الى العراء ، يدعوا الى الصحراء ، لأن الصحراء العربية رمز الامالة القومية ، فمنها شعت شمس القوة العربية وحضنت العالم بدفتها ، وهدايتها ونورها .  
ان صحراءنا الأصلية تخنق زعاق الترانزستور الثائب ، مهما طال زعاقه . . وتحيا ثبات النقاء العاري في عين السماء ،

انا ، قوة وفكرا ، بحاجة الى العراء الذي يطهرنا من الأدران التي تعمسي المتكر والجندي وتودي بهما معا الى الهلاك والهوان أمام نساء يهوديات .

### هذه قصة العراء " تحليلا ونقدا "

وانها ، في بناها ، ومعناها ، تحطي صورة عن قصص سهيل ادريس القومية .

فالمعنى قوى ، ذوابعاد عميقة شاملة لالوان القوة والفكر ، لا تكاد تغلت اقاصيه الاخرى من أحد هذه الالوان . . ودراستها قصة قصة تؤكد مثل هذا الاستنتاج .

والمبنى ، يصور المعنى بلغة سليمة ، وبطريقة يصح بهما قيل في القصة الفرنسية الجديدة ، انها قصة الوضع البشري (٣) . . كما يصح بهما قيل في القصة الاميركية القصيرة ، وانها . . مرقف وانتراج (٤) . . وان فيها من الخيال والواقع (٥) ، كما قيل في ثلاثية نجيب محفوظ .

لكن هذه التوافقات لاتعني انها لا يمكن أن تكتب بصورة فنية أوضح وأحكم . ولعل هذا

الامكان يتحقق في قصصه الاخرى ، ككاحية وغرامية ، فماذا في قصصه الأخرى ؟

(١) العراء ، ص: ٤١

(٢) نفسها ، ص: ٤١

(٣) الادب الفرنسي الجديد ، ص ١٠٤

(٤) الوان من القصة القصيرة في الادب الامريكي ، ص ١١

(٥) ثلاثية نجيب محفوظ ، ص ٣

## المبحث الثاني

### القراءة في العيون المغففة

١- زمانيا : سنة ١٩٧٣ ، سنة تحطيم اسطورة اسرائيل التي لا تقهر ، وفيها كانت معركة العرب الرابعة ، واشتمرت بحرب رمضان ، عكس ١٩٦٧ . التي حملت معركة العرب الخامسة ، هزيمة الخامس من حزيران .

٢- مكانيا : (١) - مطار بيزا ، ليستقل بدلها الطائرة الى روما في طريق عودته الى بلده ، رآها في قاعة الانتظار \* تنفض شعرها المتدلي ، فينكشف له منبأ وجه أبيض أمل الى الاستقالة منه الى الاستدارة (١) .

٢ - ساحة الحمام ، وفتاة ايدالية ترجوه ان يلتقط لها صورة - مع الحمام ، ففعل ، وكانت جولته الاولى مع أول فتاة في رحلته هذه ، طلب منها أن تكون مرشده على بعض معالم مدينتها ، فوافقت ، ورافقته الى المتحف ، ثم تداورت الامر ، فأقلبت الآية من مرشدة سياحة بالنسبة له الى صحبة عشاء راقص .

رافقته " باتريشا " ، التي هي بعمر ابنته " حنان " الى عشاء راقص كانت نهايته أن تركها وحدها وعاد الى فندقه .

٣ - أشخاصيا وأحداثيا : أديب عربي ، باتريشا الفتاة الصغيرة ، والفتاة السويسرية ، امرأة الاعمال التي التقى بها في قاعة الانتظار في مطار بيزا ، وامرأته سلمى ، وابنته حنان . وهناك شخصيات عامة ، كالسباح والمصورين ، وموظفي الفندق الذي تمده لتناول طعام الغداء ، والراحة لريثما تلتق طائرته .

٤ - جوانا العام : هوجوا الحياة الغربية المتحررة ، ورغبة الشاب العربي في امتلاك الفتاة الغربية ، حيث يجد فيها الشيء الذي افتقده في الفتاة الشرقية ، وخصوصا بعد ان أخذ العرب يستعيدون كراماتهم في انتصارهم في معركة رمضان ، حيث ارنج التفكير - نوعا ما - من الاحساس بالمرارة نتيجة لانتصارات الصهيونية في حزيران ١٩٦٧ التي كانت تسجن الفكر العربي داخل اطارها ، ولكن في هذه الفترة الزمنية أخذ الاحساس العربي يتحول - وبسرعة الى احساس الانتصار والقوة ، عكس الفرق الثاني الذي بات - لأول مرة - يشعر بالمرارة التي كان يشعر بها الشعب العربي . . . ومن هنا نرى الأديب العربي يفكر - خلال عودته من مؤتمر الأدباء - بالحب لا بالحرب .

٥ - تسميتها : التسمية مستوحاة من أحداث القصة ، فعندما " كانت شفتاه ملتصقتين

بشفتي السويسرية الشقراء ، ارتسعت في عينيه مورتيا (١) \* وحين قبل زوجته تلك الليلة ، ظل مغمض العينين ، حتى لا تقرأ فيما شيئاً ، لأن من عاداتها \* بعد عودته من كل رحلة ، كانت تطالب منه شيئاً واحداً ، أن يبقي عينيه مفتوحتين ، لتقرأ فيهما (٢) فكيف يقوى على أن تظل عيناه مفتوحتين بعد حادثتي تلك الليلة ؟ هل يسبح لها أن ترى من خلال عينيه \* باتريشسا \* الفتاة التي لا يزيد عمرها عن عمر ابنته بأكثر من سنتين أو ثلاثة ، والفتاة السويسرية التي لا تتخطى الرابعة والعشرين من العمر ؟؟ اذن ، الشيركله - في هذا الموقف - في ألا يبقي مغمض العينين ، ولن تستطيع امرأته في هذه الحالة أن تقرأ ما فيهما .

يرى سهيل ادرس أن القراءة في العيون المغمضة لاتصل بصاحبها الى نتيجة منطقية ، وخصوصاً اذا ارتكب صاحب العينين خطأ مثل أخطاء أديب قصته ، لأن النظر في عيني مفتوحتين سيفضحه أمام من يصرف القراءة في العيون ، كمثل زوجته هذا الاديب العربي ، التي تعودت أن تقرأ في عينيه كل ما دأب من صور خلال كل رحلة يجرده منها ، وكان لا يمانع ، فيقول لها : \* اقرأ ما شئت . . . اقرأ في أعماقهما . . . اقرأ فيما وراء الأعماق (٣) .

بناءً هذه القصة الفني يجعلنا مشتركة بين المنولوج الداخلي ، والسرد (٤) ، وقد غلب عليها المنولوج الداخلي في القصة الاولى ، لاجسامه بالمقارنة بما كان يحدث معه وأفراد عائلته حتى تكمل الصورة التي يريد الكاتب من وراء هذه المقارنة .

تبدأ القصة في وصف الفتاة السويسرية ، وهي القضية الثانية ، فيؤكد من تجاوبه مسع أوصافها أمنيتها التي يتمناها على أن تكون رفيقة سفره الى روما ، ثم نراه يدفع عقدة القصة دفعا ، فيقف عن وصف الفتاة السويسرية ليؤذف لنا عقدة القصة وعقده ، عن طريق صوت انسانة الداخلي الذي أخذ يذكره بما حدث معه . . . فنراه يستبق الأحداث ويتوقعها في دنياه الغريبة هذه . . . ما عساه يتوقع أن يحدث معه ؟ انه أبدا وراء أوهامه وما يزال يجرى وراء هذه الأوهام . . . لم تعلمه الحياة ، ولا أحداثها الماضية ، خيبة أمل أخرى سيجنينا ، فيضيفها الى الخيبات السابقة كأنما هو جماع خيبات ، شغوف بها شغف صديقه بجمع الطوايح (٥) .

من هنا يوجد سهيل ادرس ذهننا الى أن بطل قصته هو وخيبة الأمل توأمان ، وذلك يمهده لحقيقة قد تظهر في النهاية ، وهذه الحقيقة هي أن هذا الانسان الذي يبحث عن كل شي يريد ، يذهب بحمه عبثاً ، فاعتبره كجامع الطوايح ، بجمع خيبة أمل ليجث عن خيبة أمل أخرى ، كأنه يصيب في الاخفاق لذة يعذب بها نفسه .

ويشير سهيل ادرس الى العقدة اشارة مقبودة ، ليعود من جديد الى عقدة القصة الاولى . .

(١) العراق ، ص ٨٩

(٢) نفسها ، ص ٨٩

(٣) نفسها ، ص ٨٩

(٤) راجع سرور المعالجة الفنية في دراسات في القصة العربية الحديثة ، ل محمد زغلول سلام ، ص ٢٣ و ٢٤ وفي فن القصة عن نجم من ص ٧٧ ولناية ٨٤ .

(٥) العراق ، ص ٦٩

وقصة القراءة في العشرين المغنمة تدور في ملك عقدتين اثنتين مع بطل واحد ، والقصتان تدوران حول تدافع الشاب العربي الى فتاة الغرب ، ولكن أديبنا هذا الذي يرى بتواجده في مطار بيزا\* لوحة تصويرية يرى من خلالها ، مكتبه ، وبيته ، وحاجتهم اليه ، ويرى أعماله المتراكمة التي مضى على عدم انجازها أسابيع نتيجة انجاز طوارئ من الدعوات او الرحلات او الاجتماعات ثم يعترف ان هذه الطوارئ قد يخلقها خلقا بحثا عن المتعة التي لا يجدها هناك بين أهله وفي عمله ولكنه لا يستطيع أن ينسى واجبه تجاه أولاده وبيته ، فيشعر بنزع من التأنيب عن طريق التأمل هذا

و يفسر لنا سزيل ادرس صمت الزوجة أمام أخذ رأينا في مواضيع تهم الزوج ، فيعتبره تشجيعا ، ثم يقول : أليس هو على الأصح ، صمت المضحى ؟ صحيح أنها تدعو الزوج اذا تكلمت الى أخذ قسط من الراحة كلما تلاحظ عليه التعب ، ولكنها لاتدعوها للراحة في البيت . . (١)

ثم يطرح سؤالا : أتكون ملازمة المنزل هي التي تبتدى الاعصاب وترجع الفكر ؟ وذلك ليبر ما يصدر عند من تصرفات في بلد بعيد عن البيت والعمل ، والاولاد ، ليبر تجواله في شوارع هذه المدينة على غير هدى ، ليجث عن أجواء جديدة ، فيها نكهة الاغتراب عن درب جديدة لم تعرفها قدامه . . (٢) ففي البعد عن أجواء العمل والبيت التي الجديد . . لم لا يبحث عن هذه الاشياء الجديدة ، لعله يستطيع أن يحطم أسطورة خيبة الامل التي تلازمه ، وتصبغه بحببتهما " لا بد أن يتحرر ، ويقضي على هذا الوهم . . فالأمة العربية استطاعت أن تتحرك ، وتحطم اسطورة اسرائيل التي لا تقهر ، فلم لا يتحرك هو ، ويحطم اسطورة خيبة الأمل ؟ ولكن ، الى اي مدى تحرك ونجح أو فشل ؟ .

ان سزيل ادرس قد وصف في بداية القصة ، الفتاة السويسرية ولكنه وقف عند حدود الوصف ، ولم يأخذ بيدنا لنمبر معابر القصة ، بل أوقفنا على ممبر مطل على قصته الأولى ، وتركنا نراقبه - في انتظار المستفسر عن حقيقة لا يعرف أبعادها ، ثم وجهنا الى قصته السالفة مع " بارتريشا " ليؤكد أبعاد القصة التالية ، ليؤكد خيبة الأمل التي يعيشها ، وأصبحت - من وجهة نظره - حقيقة ، ذات من جمة ، ومن جمة ثانية ، يرى في صورتأملاته ، صوراً لذكريات ماضيه مع زوجته وابنته الوسطى ، وطريقا الى احياء الماضي الذي يعتبره منسيا . . ثم نراه ينسى او يتناسى جميع الصور التي تعترض تفكيره عندما يلج فتاة شابة ، بسطت له آلة تصويرها ، ورجته بلغة ايطالية أن يلتقط لها صورة ، مع الحمام ، فلم يمانع ، بل اعتبر عملها قضية تممه ، ولا بأس من مقدمات منطقية حتى يصل الى النتيجة المرجوة .

كانت مقدمته الأولى ، أو جولته الاولى معها - كما حب أن يسميها - جملة فرنسية أضحكها . . لقد أضحكها قوله ، فاعتبر ضحكها مقدمة أولى لنتيجة رابحة ، وهو المشغل بخييات الأمل ، فكيف كانت المقدمة الثانية ، ليصل الى النتيجة الايجابية ؟ .

كانت المقدمة الثانية هي عبارة عن الاعلان عن نفسه الى أنه شرقي ، ويرغب ان يطلع على معالم البلد ، ونسي أنه أمام فتاة شابة بعد ابنته " حنان " نسي كل شيء كان ظاهرا على مرسم

(١) السراء ، ص : ٢٠ و ٢١

(٢) نفسها ، ص : ٢١

تفكيره قبل أن يراعا . حسي زوجته ، وابنته ، والمكتب ، والبيت ، و... شي . . . أصبحت صفحة تفكيره بينما ، غير مطبوع عليها الصورة هذه الشابة البريئة ، أنه يرى فيها قنينة الإيجابية ، ونفسها عندما وافقت على أن ترافقه بعض الوقت ، وذلك بعد أن نظرت الى ساعة يدها .

كانت إشارة ذكية من المؤلف أن يجعل من يدها الصغيرة قدرة قادرة على أن تبحث الى

شاشة تفكيره صورة ابنته " حنان " ليبدأ بالمقارنة بها من جديد . . . " انما اذن لا تكبر حنان "

بأكثر من عام او عامين . وماذا في ذلك ؟ انما ستكون له بعمفة دليل (١) انه يخلق الأعداء ليقتنح نفسه ، فهو يرى في هذه الفتاة الشابة راه والد ماضي - في الخندق العميق - بالزوجة الثانية التي كادت أن تغرض على الأسرة . . . انه يمثل نفس الدور الذي مثله ذلك الشيخ ، ولكنه - بلا التزامات الزواج التي التزم بها شيخ الخندق العميق ، لا اختلاف العقليتين . . . ومن هنا نستطيع أن نلح صراع الجيلين الذي لا يزال مستمرا في عقاية الشاب العربي المثقف . . . أنه يشارك في المؤتمرات الثقافية خارج البلاد العربية ، ويتقن لغة أجنبية واحدة على الأقل ، ومطلع على ثقافات تلك اللغة ، وهي اللغة الفرنسية ، ولكنه - مع ذلك - لا يقف عن التفكير في البحث عن المرأة ، ولو كانت مجرد رفيقة درب أو شريكة وجبة طعام .

إذا كان الشاب العربي في " الحى اللاتيني " غير متزوج ، وغير مطلع ، نراه هنا في هذه القصة مثقفا ، أدبيا ، وله رلى في الثقافة والأدب ، والا لما اشترك في المؤتمر الأدبي ، ولكنه ينظر الى المرأة الأجنبية من زاوية واحدة ، لا يخرج عن نطاق التفكير الشرقي بها .

ويظهر الصراع في نفسه عندما يقارن بين هذه الفتاة الشابة ، وبين ابنته التي هي نفس عمرنا ، ولكن ، كيف إذا كانت هذه الفتاة ناخبة وقادرة على أن تكون قريبة منه بالعمروالنوايا ؟ ما موقفه عندئذ من هذه الفتاة ، وهو الذي خشي أن تسرب منه ، فأمسك وضغط على ذراعها ، تعبيرا عما في نفسه من رغبة في استبقائها ، فهو لا يريد أن يرى المتاحف . . . فالمتاحف البشرية في عالمه كثيرة ، يريد أشياء جديدة غير مثقلة بالذكريات والماضي والتاريخ ، يريد عما هي قبل أن تصير متاحف صغيرة من المتاحف البشرية المثقلة بالعبادات والعقد ، والمآسي .

ويتابع سهيل ادرس حبكة قبيته المركبة ، لينقلنا الى صحوة هذا الأديب ، واتخاذ القرار المناسب قبل وقوعه في الخندق العميق ، فيرافقها الى تناول عشاء راقص ، فتطير فرحها ، ويتسم هو على مهل ، ويطلب منها عندما تتلفن للبيت أن تقول لهم انهما ستأخر كثيرا (٢) .

ولماذا تتأخر كثيرا ما دامت هي بعمر ابنته " حنان " ؟؟ انه يعترف بهذا ، بيد أن الصراع في نفسه يفرض عليه أن يكون مترددا بين قبول هذه الفكرة وعدم القبول بها . . . لماذا تتأخر كثيرا ؟ ليس هو تأخيرا من أجل خلوة مشتركة تتحطم فيها الأخلاق والقيم ، وهو الأب والنرج ؟ ؟ .

ان هذه الإشارة الذكية تصف لنا حقيقة هذا الصراع في نفس الشاب العربي ورغبته في

(١) العراء ، ص : ٧٣

(٢) نفسها ، ص : ٧٦

الحصول على الفتاة الغربية حتى ولو كان زرجا وأبا لثلاثة أطفال ؟ ؟ اذن ، فنحن لانزال نصارع آثار الماضي ، وتزمت عاداته وتقاليدته .

ونرى سهيل ادریس ، في نهاية المطاف مع هذه الفتاة الشابة ~~بصحب~~ ، لعنصر الخير ، فيجعله العنصر المنتصر ، وخصوصا ساعة يراها ترقص ، كما كان يرى ابنته حنان ترقص ، فيقول : \* مثلها أنت ترقصين الآن ياباترشيا ، هل أحدثك عنها ، عن ابنتي حنان ؟ هل أحدثك عن جازبيتها وعدوتها . . . لورأنتي الان انظر الى ساقيك الجميلتين ، ياباترشيا \* حين يرتفع عنهما الثوب لذكرتني مرة أخرى بالازدواجية : تمنعني يا بابا من ارتداء التنورة القصيرة ، وتعدق بساقي كل فتاة تلبس الثوب القصير .<sup>(١)</sup> فأدرك الواقع الذي يقدم عليه مع باترشيا \* فأحس بدموع عميقة تفسله عن ابنته ، وعن جيلها ، فشعر بالحزن يستولي عليه . . انه يحزن على نفسه ، ومن أجلها . . لقد دخل جيلا لا يقر ما يفعله الجيل الجديد ، لأنه غير قادر على مجاراة عصر هذا الجيل ، أما ذاك الشاب الذي ينمض لينضم الى باترشيا \* في حلبة الرقص ، يراقصها ، ويحدثها ، ويضحك معها ، فهو من جيلها الذي يفهما . .<sup>(٢)</sup> فحمل جيله ، وانسحب من وجودها . . تركها لجيلها بعد أن استرق نظرة بين الراقصين ، فرآها تكاد تعانق فارسها الجديد . ، مغمضة العينين سحرا وسعادة . .

حمل جيله وهو يقول : أما أنا فسامحيني يا صغيرتي باترشيا ، يارفيقة \* حنان \* الجديدة سامحيني لأنني أردت أن أقتحم عليك عالمك ، وأرجع بك القمقري . .<sup>(٣)</sup>

كانت " باترشيا " آخر دليل ، وهو بعد أحدث عهدا من أن ينسى : أمس فحسب (؟) ، كانت هذه العقدة الرئيسية في القصة ، فهي تحمل معنيين معا : معنى سابقا ، وآخر لاحقا . . فالمعنى السابق هو حدث الأمس ، وملاحظته " لباترشيا " الشابة التي أعادته السى جيله ، وأظلمت فارق الجيلين ؛ جيله وجيل ابنته " حنان " .

والمعنى اللاحق ، هو مفتاح باب مغامرة جديدة ، نشرقها أفضل بأحداثها من أحداثها . قصة الأمس ، ولكن سهيل ادریس يعطي ترقعا لا يشرح على ان هذه المغامرة الجديدة هي مغامرة فاشلة ، وخيبة أمل جديدة ليوكد ما وصفه به في أول القصة على أنه شخوف بخيبات الأمل كشيخ فصديقه بجمع الطوايع . .<sup>(٥)</sup> فهي - من حسن حظه - من المسافرين على طائرته . . وأول عمل يجب القيام به هو رصد تحركاتها داخل الطائرة ، لعله يتمكن من الجلوس الى جوارها ، لا من أجل أن يعرف أية لفة هي لفة الكتاب الذي تقرأه ، بل ليعقد حديثا معها ، او ربما أكثر من حديث<sup>(٦)</sup> فهو خارج من مغامرة فاشلة ، ويتوق الى تغيير أبعاد هذه المغامرة في مغامرة جديدة ناجحة .

(١) الحراء ، ص ٧٨ و ٧٩

(٢) نفسها ، ص ٨٠

(٣) نفسها ، ص : ٨٠ و ٨١

(٤) نفسها ، ص : ٨١

(٥) نفسها ، ص : ٦٩

(٦) نفسها ، ص : ٨٢

كانت جريته الاولى ، أن قدم لها سيكارة من علبة سكايره الاميركية ، فلم تحتذر .. ان سير

الامير جيد حتى الآن .. انه على الاقل يجعل الرجوع بالتطور ، ولكنه لا يحل التطور البطيء .. فالوقت قصير ، لا يزيد عن ساعة حتى يصل مطار روما (١) ، وهي غير مشبوكة أو متزوجة وان كانت تتخطى الخاصة والعشرين .

وكانت الجولة الثانية ، روايتها الفرنسية التي تقرأها هي " مولن الكبير " أجمل رواية قرأها في حياته على الاطلاق ، فشعر باندهاع سريع نحوها .. هذا منطلق رائع للأخذ والخطا ، ويستطيع أن يقدر صفحات الكتاب ، ففعل ، فأكدت له رأيه بالقول : - " أكان من الضروري أن يترك عروسه التي فعل المستحيلات ليصل اليها ، من أجل أن يفني بوعده طفولي ؟ "

- وهل أجمل يا آنسة ، من الرجوع الطفولية ؟؟ انها وحدها الرجوع الصادقة البريئة في عالمنا هذا الملوث ..

- قد تكون على حق يا سيد .. ولعلنا نحن الكبار انما نعود الى قراءة مثل هذه الروايات بحثا عن براءة طفولية أضعناها (٢) .

ونرى سهيل ادريس لا يخرج عن حرمة الصراع القائمة بين الأجيال ، في مغامرته الثانية ، حيث يطلبها بالالتزام القائم في القصة الاولى ، تلك كانت طفلة .. والطفولة بريئة صادقة ، أضعها الكبار .. وهذا هو واقع الحياة التي نحياها ..

والكبار لها منيان : الأول : هو الجيل الماضي الذي يسير ببطء الى الزوال .

والمعنى الثاني : الكبار الذين يتسلطون على رقاب العباد . والعالم ضائع بين هؤلاء

وأولئك الكبار ..

في هذا المعنى والقول ، دعوة الى تحطيم الكبار ، حتى تظل البراءة ، ويبقى الصدق رائد الجميع .

وتسير القصة في اطارها المتتابع ، عن طريق الحوار الذي ينتقل رأى الاثنين في الحياة في الزواج ، فهي في طريق الزواج الذي <sup>ستتناول</sup> صحتزل من أجله عن الاطلاق من حريتها .. ويطلنا زهر وزوجته جميلة ونبيلة ، ولكنها مقطبة (٣) . وقد يكون هذا الصبوس ، احساسا يحبر عن حقيقة الزوجة في تواجد زوجها مع امرأة غيرها .

وتطلب منه هذه الفتاة الشقراء أن يدعوها الى فنان قموة في مقهى المطار ، فأمسك بذراعها ، ودخلا قاعة الانتظار .. (٤) .

وتم التعارف بينهما ..

(١) المرأة ، ص : ٨٣

(٢) نفسها ، ص : ٨٤

(٣) نفسها ، ص : ٨٦ و ٨٧

(٤) نفسها ، ص : ٨٨



وشعر أنه يلتصق بها ، ويود لو يعصرها بين ذراعيه ، فأخذ يقبل باطن يدها ، ورفع رأسه ، ليلاس شعرها الأشقر وجهه ، فشعر بأنفسها على خديه ، فالتصقت شفاه بشفتي السويسرية الشقراء ، لترسم في عينيها صورتهما ، ولكن امرأته تعودت أن تطلب منه شيئا واحدا هو : أن يبقي عينيه مفتوحتين ، لتقرأ فيهما ، كما كانت تقول ، وكان يضحك ويفتح عينيه ، لتقرأ ما تريد . . . وهل سيظل مفتوح العينين عندما يعود إليها ؟ وهل ستقول له : افتح عينيك ؟

ان سبيل ادريس أعادنا الى هذه القضية لعظمة انطلاق الاثنين في القبله اللطيمية ، ولكنه لم يجعل بطل القصة يمتنع عن متابعة سيره في ترقعاته المرتقبة ، فينقلنا الى صورة أخرى نترقب وقوعها . . .

ان أزمة العقدة هذا تصل الى حد فاصل بين الحل وعدمه ، فالفتاة الشقراء قد استجابت

لخايتها ، وهو في طريق تحقيق هذه الخاية حتى يقبل بميعار الفشل وخيبات الأمل التي تلازمه فهي تدعوه الى تناول طعام الخداء في مطعم فندق صغير يقدم الذ طعام ايطالي ، ولا يبعد أكثر من نصف ساعة عن المطار (١) . . . فشعر بالارتباك والضيق . . . ونستطيع أن نفسر هذا الشعور تفسيرين : الاول : شعوره بأنه شرقي ، والشرقي هو الذي يدعو الفتاة ، ارتباطا بالتقاليد والعادات . . . والثاني : يقظته المعتادة ، والتي تدور حول عائلته . . . ففي " باتريشيا رأى صورة ابنته " حنان " وفي صورة الشقراء هذه يرى صورة زوجته التي ستقرأ ما في أعماق عينيه فاندفع يصرخ سبب شعوره بالارتباك والضيق : خوفاً من أن تنوته الطائرة . . . وهنا يظهر لنا هذا الموقف أن احساسه تجاه هذه الفتاة احساساً عرضياً ، لا أصل له في نفسه ، والا لما كانت الطائرة سبباً تحول بينه وبين ما يتخيه نفسه من هذه الشقراء ، فكانت أقدارته على الصراحة ، التي نفسرها في شرقنا العربي بالوقاحة ، لقد كانت صريحة بقولها : افرض أنها - أي الطائرة - فاتت ، ؟ ألا تستحق هذه المغامرة تأخير يوم او بعض يوم ؟ فاعترف بغبائه . . . (٢)

ونرى سبيل ادريس في هذا المشهد يصف تفكير الشاب الشرقي وتفكير الفتاة الخريصة المتناقضين ، تفسيراً واضحاً - وان جعل الخوض - من أجل تحقيق أزمة العقدة - يلف هذا التفسير . فالقارئ عندما يسمع رأى هذه الفتاة ، يتأكد من أن خيبة الأمل التي تلازم بطل القصة السبيلية في طريق الحل ، لان هذه التجربة تشير الى النجاح مئة بالمئة ، وهذا ما يشير الى براعة التحليل عند سبيل ادريس ومحاظته على تسلسل حل عقدة القصة في سلاسة وعدوية وان كانت المفاجأة - أحيانا - رصداً نهائياً غير متوقع في حل قضايا أبطال قصته .

ونلاحظ كاتبنا في انجاز مهمة بطل قصته ، لعله يستطيع أن يتخيل على النفس الذي لازمه ويستحس طويلاً في غرفة الفندق التي تضمها صا . . . (٣)

(١) العراء ، ص : ٩٠

(٢) نفسها ز ص : ٩٠

(٣) نفسها ، ص : ٩٢

وداخل الغرفة ، واعد نفسه على أن يدخن سيارة ، وسيكارتين ، ولكن سمعها تقول :  
انها هابطة لتطلب حقيبتها (١) . فلم يعلق على القول ، تركها تذهب . . .

وعندما تأكد من زهابها ، قرأ أن ينسحب بدوره ، ليجعل نفسه سيد الموقف ، والنتيجة  
هو صاحبها ، ولكنه تفاجأ عندما ذهب الى مكتب الاستعلامات ليسدد الحساب ، على أنها هي  
سددت الحساب ، وتركت له رسالة مكتوبة . . . فنراه يمزق الرسالة قبل أن يقرأها ويعود السي  
بلده .

كانت النهاية في غاية الانسجام مع موضوع الرسالة ، فهذا البطل الذي يتلانم مع خيبات  
الامل ، حاول أن يتدخل في نهاية قضيته ، ليعدل من برنامج خيبات أمله ، ففشل ، وهجز  
عن تخيير مسالك القديمة ، وأصبح نهبا لخيبات أمل جديدة ، لتلك الفتاة الشقراء التي أتت  
معه الى فندق صغير ، وصعدت معه الى الغرفة ، وأعطته شفتيها قبل ذلك ، نراها تنسحب لتزيد  
من خيبات أمله خيبة أمل جديدة .

ونراه عندما قبل زوجته تلك الليلة ، ظل مغمض العينين ، خوفا من أن ترى في أعماقها  
صورة شقراء التي خذته ، وصورة صغيرته التي انسحب من أمامها لابقاظ مشاعر الأبوة في  
نفسه .

وزوجه في هذه المرة لم تطلب منه أن يفتح عينيه لعلها استطاعت أن ترى من ملامح وجهه  
مدى الألم الذي أصابه من خيبات أمله ، فأرادت أن تتجاهل القراءة في العيون حتى لا تزيد من  
رصيده خيبة أمل أخرى ، فلم تطلب منه أن يفتح عينيه ، لأنها أصبحت تقرأ في السي  
المنمضة .

هذه هي قصة القراءة في العيون المنمضة ، وقد تنازلت فكرتين منفصلتين في — ياق

واحد ، استطاع سهيل ادريس من خلال الفكرة الاولى أن يعالج الصراع القائم بين جيل ماضي  
وجيل قادم ، وجعل الانتصار للجيل القادم ، لعدم استطاعة الجيل الماضي على مجاراة الجيل  
القادم بالحركة والانطلاق عبر كل شي\* جديد ، فرواسب الماضي تثقله . وتحول دون اللحاق  
بهذا الجيل الجديد .

وجعل الفكرة الثانية لتفسير الامور عند الشاب الشرقي وعند الفتاة الغربية ، كما فسّر معنى  
الحرية عند كليهما . . . فالحرية بنظر الشاب الشرقي هي العلاقة بين الفتاة والشاب في مجتمع الناس ،  
أما أن ينزوى معها في غرفة منفردة بعيدة ، فهذا يعني التمهد لعمل يتنافى مع الاخلاق . . .  
والحرية يجب أن تكون حامية وداعية للأخلاق . . .

أما مفهوم الحرية عند الفتاة الغربية ، فعكس مفهومها عند الشاب الشرقي . . . فهي  
لاتقيم وزنا للناس بقدر ماتقيم وزنا لرأيها . . . فهي حرة في أن تفعل ما تشاء مادامت هي لاتؤثر  
على الغير في تصرفاتها . . . فهي حرة بجسدها . . . كما هي حرة في كل شي\* يصدر عنها .

ومن خلال فكرة القصة الثانية أيضا ، نرى ان الفتاة الخريبة عندما تفكر بالزواج ، فالزواج يعني الحد من حريتها المدلقة ، وهي على أهمية الاستعداد للحد من هذه الحرية مقابل زواج ناجح . . . أما أن يكون الزواج فاشلا فمن حقها أن تستعيد ما فقدته من حريتها ، أي ما تنازلت عنه من حريتها ، عكس الفتاة الحربية التي ترى في الزواج غايتها كيفما كانت النتيجة . . . وإذا كانت النتيجة فاشلة ، نراها تظل زوجة - وفية أو غير وفية - مرتبطة بالزواج خوفا من المجتمع الذي ينظر اليها نظرة ظالمة ، فيها اذابة لشخصيتها ولارادتها أمام ارادة زوجها ،

وفي هذه القصة أيضا دعوة الى كل من يفكر بالزواج ، عليه أن يدرس أبنائه ، ويصرف كمية الحرية التي يستطيع أن يتنازل عنها من أجل زواج ناجح . . . اذا لم يكن عند الفرد العربي استعداد للتنازل عن بعض معطيات حريته ، فلا شك أن زواجه فاشل ، ويصبح كبطول القصة السهلية : جامع خيبات أمل .

وإذا أردنا أن نصنّف هذه القصة ، فهي من نوع قصص النرام . . . ولكن ، الى أي مدى تختلف المرأة هنا عنها في قصص الكفاح ؟

إذا نظرنا الى دور المرأة في قصة العراء ، التي تناولناها من قبل ، نراها كانت ذاعية لزوجها المثقف ، وتحاول أن تخفف عنه المصائب ، ولكنها هنا زوجة تحاسبه على كمال أعماله ، تقرأ في عينيه لتفهم من خلالها كل شيء حدث معه .

فالمرأة هم سهيل ادريس الباطني في النرام . . . وهو هم المرأة في قصص الكفاح ،

ومن هنا نستطيع أن نطلق رأيا حول سهيل ادريس ، فنقول : ان المرأة ظاهر سهيل

ادريس وباطنه .

أشواق : (١)

هي الاقصوصة الاولى في المجموعة القصصية الأولى والمسماة باسمها .. وهي أول مجموعة قصصية كتبها سميل ادريس .

١ - زمنها : ١٩٤٧ ، وهي السنة التي تسبق سنة اغتصاب الأرض الفلسطينية ، كانت فلسطين وقتذاك تحت الانتداب البريطاني ، وفيها وعد بلفور<sup>(٢)</sup> المسؤول عن تشيقت شعب فلسطين بأكمله .

٢ - مكانها : احساس فتاة مراهقة في بيروت ، تجلس الى الراديو في الصباح الباكر ، تستمع الى نغمات الموسيقى الناعمة ، فتوقظ في نفسها شعور الطمح والحركة والانطلاق ، ورغبة البلوغ العاجل الى ما تنزع اليه من لذة الحب ودنيا الأمان .  
وأم ، تحول بين ابنتها ولقاء الشبان ، الذين هم في عمرها ، خوفا عليهما من الحب دونما أي سبب يذكر .

وعقل شاب يعلم العزف على الكمان ، يعزف أعذب الا لحن ، محرم البصر ، قوى البصيرة التي استطاع من خلالها أن يتحسس رثاء تلميذته لا حينها .

٣ - أشخاصها وأحداثها : الفتاة المراهقة ، وأما التي تحمل على تجنبها الاختلاط بالشباب ، والشاب الأعمى الذي أحضرته الوالدة لتلقيها بعض الدروس الموسيقية لتملأ فراغها حتى تشغل تفكيرها بالموسيقى بدلا من الفراغ الذي يشدها الى التأمل ، ويقودها في طريق الحياة الطبيعية ، فتخسرهما ، وهي حريصة جدا على التمسك بها بدافع الأنانية ، والحرص الفاضل ، لذلك كان أول شاب تلتقي به فتاتها هو معلم الكمان الأعمى والذي هو - باعتقادها - عاجز عن اعطاء القليل الذي يفتح براعم القلب الندية .

٤ - جوها العام : هو جو الحياة الحربية في الاربعينيات ، الحياة التي تتحكم فيها التقاليد والعادات ، وتحول بين لقاء الفتى بالفتاة من قريب او بعيد ، لان ارادة الشباب كانت مسلوبة .. فالأم هي التي تختار رفيق درب ابنتها او ابنتها .. أما الاختلاط ، فكان من عمل الشيطان المرفوض ، لذلك كانت رواسب الدين هي التي تتحكم بالنفوس ، ومضائر الأبناء المرتبطة بارادة الآباء ، أي أن عملية الالتزام الموجه كانت العملية المسيطرة التي ترفض الحب وتحرم وجرده قبل الزواج .

(١) ترجمتها الى اللغة البرازيلية الاستاذ ابراهيم طنوس ، ونشرتها مجلة

"Graca e Bella" في عددها الخاص بمدينة "أراشا"

(٢) راجع جهاد شمع فلسطين خلال نصف قرن "لصالح مسعود ابوميصير" - دار الفتح للطباعة

والنشر ط ٣ لفصل الأول ١٩٧٠ بيروت

٥ - تسميتها: أشواق " مفردتها : شوق ؛ وهي نزوع النفس وحرارة الهوى .. (١)

ولكنها هنا تسمية لمقطوعة موسيقية ألفها المعلم الاعشى لتلميذته ، يعبر بها عن مكونات نفسه وحسب  
السيق الذي أبت عليه كرامته أن يستجديه من هذه الفتاة ، الامر الذي دفعه الى اذابة عواطفه  
وسبكها في نوتة موسيقية كانت أقدر من لسانه بالتعبير عما كان يحتمل في نفسه التي تعيش على  
الحرمان .

وسايل ادريس في حبكة القصة وتطور احداثها يخرج في قطعة موسيقية ، يولفها عاشق  
أعشى الى فتاة جميلة مراهقة ، يطلق عليها اسم " اشواق " فلماذا هذه التسمية وما جدواها عند  
التحليل ؟ .

بناء القصة يجعلها نوعا من السرد المباشر ، وهي أكثر الطرق شيوعا . . والراوى ينقلنا  
عبر تفكير مصميه من جهة ، وعبر تفكير معلما من جهة ثانية عن طريق الوصف والحوار الذي لم  
يكن له مجالا واسعا بين البطالين ، ولكن نهاية القصة عبارة عن رسالة موجهة الى البطلة يعبر بها  
البطل عن حقيقة حبه ، وحقيقة عماه ، لذلك نرى بناء القصة قائما على أساسين . السرد  
المباشر ، والرسائل ، ضربان من ضرب المعالجة الفنية (٢) .

تبدأ القصة بالتمهيد الموسيقي الذي ينقلنا الى قمة الحكمة ، فالفتاة تحب الاستماع الى

الموسيقى سواء كانت عن طريق المذياع وعن طريق الآلات الموسيقية مباشرة ، لأن احساسها  
الموسيقى ينقلها عبر عالم الم لذيذ لم تذوقه في حقيقتها ، فتسرق احساسها في نشوة الودود  
والاطمئنان ، والاخلاد الى تلك الخمرة المائلة من صيوات الفؤاد العالم ، وتشعرها بأنها تتم  
شيئا حبيبيا الى نفسها ؛ تستأنف حلما لذيذا راودها في كل ليلة فائتة ، تكمل الموسيقى فضول  
الحلم ، ويتم . . (٣) وكانت أشرا عجابا وأشد ميلا الى الموسيقى المفردة الوترية كأنغام القيثارة  
و " التولتسيل " و " البيانو " ولشما نانت أعنف حيننا الى نغمات " الاكورديون " و " الكمان " .  
وقد سبق لها أن رغبت الى والدتها أن تتعلم العزف على احدى هذه الآلات ، فتناوت والدتها  
في تلبية رغبتها .

وتسمع " سميه " عزفا منفردا على النان ، ملك عليها لبها ، قالت على أمها أن تستدعي  
معلما يعلمها العزف على هذه الآلة (٤)

ووقفت الوالدة أمام ارادة ابنتها موقف الطاجزة فانها تحبها ، وتدللها ، وتحمينا من  
الشباب ، كيف تسمح لها أن تجتمع مع الشاب الذي هي ترفضه ، وفي بيتنا بالذات ؟؟ كيف  
تستطيع هذه الأم أن تتغلب على هذه المشكلة ؟؟ ان ابنتها ماهرة ، وليست هذه المرة الأولى  
التي تعبر بها عن رغبتها في تعلم الموسيقى ، ولكنها في هذه المرة حددت نوعية الآلة التي ترغب  
التعلم عليها .

- (١) المعجمات  
(٢) راجع ضرب المعالجة الفنية في : النقد الأدبي الحديث لمحمد نجمي هلال ، ودراساتي القصة  
(٣) أشواق ، ص : ٧ الصبغة الحديثه لمحمد زقزل  
(٤) نفسها ، ص : ٨

هنا تبدأ عقدة الأم تتأزم . انما نحب ابنتنا ، وهي على أهمية الاستعداد لتقديم كل شيء الا الحب ، فهي تخافه ، لعل التجربة التي عاشتها هي السبب في رأيها هذا . ان الحب يشقي ابنتنا ، فرضت الأم الموافقة على مخالطة ابنتها للشباب ، وعملت على حمايتها بكل طاقتها لكن ، هل استطاعت هذه الأم ان تحمي ابنتها وتحول بين عواطفها وحرارة الحب ؟ وهل التجربة التي خاضتها الام - بالضرورة - يجب أن تكون مقياس يقاس به ، ونتائجها عامة ؟ ؟ لعلها أساءت الاختيار ، وهذا لا يعني أن ابنتها قد تسيء الاختيار مثاماً ، اللهم الا اذا بقيت تعاصرها ، وتحول بينهما وبين نور الحقيقة والحياة ؟ .

اذن كيف استطاعت الام ان تتخلص من اصرار ابنتها بطريقة ترضيها بها ، وفي نفس الوقت أرضت هي نفسها ، واطمأنت على ابنتها من الوقوع في تجربة الحب التي لاتقرها الام عليها ؟ هنا تتأزم عقدة القصة ، وتدور في اتجاهين متضادين . كيف استطاع سهيل ادريس أن يوفق بين هذين الاتجاهين المتضادين ؟ وما الحل ؟ .

ان معلم الموسيقى " الأعمى " هو الحل لهذين الاتجاهين المختلفين : فالعمى يرى الجمال ، ويلحظ الانوثة - ان كان يستطيع التخيل - فالتخيل شيء والحقيقة شيء آخر . ومن السهل جدا تعطيل حواس ابنتها ان فكرت بالحب لهذا العمى .

ونرى من الناحية الثانية ان الام تستجيب لطلب ابنتها ، فهذا معلم موسيقى رائع ، ويستطيع أن يتقن ابنتها موسيقيا بالتدر الذي هي تريد ، دون خوف أو وجل علينا . وهذا نستطيع أن نستخلص أمرين اثنين :

الامر الاول : ان البحث عن معلم موسيقى يؤكد حقيقة واضحة ، وهي عدم وجود معاهد خاصة لتعليم الموسيقى ، وان وجدت ، فالفتاة في تلك الفترة الزمنية لم تحصل على حرية الاختلاط في المدرسة ، فكيف تحصل عليها في معهد موسيقى ، ومفهوم الموسيقى العام أنها تميز النفوس وتطربها ، وتجول بنا عبر عوالم اللذة التي تجعل الواقع خال من سحر هذه العوالم ، ما لم تكن مبطنه بالحب ، لأن الحب هو القدرة القادرة على تغيير الأشياء . والامر الثاني : هو أن الرجل العمى غير قادر على الحب ، وهذا منتهى ظلم الانسان لأخيه الانسان .

ونستطيع أن نستخلص أيضا أن الحب أمر مرفوض ، فالفتاة برأي والدتها غير قادرة على حسن الاختيار ، وان اختارت ، فهي متهمه ، يصبح غير جدية بالاحترام ، احترام الامهات والآباء الذين يبحثون عن الزوجات لأولادهم . . . اذن ، ما الحل ؟ الحل في ايجاد معلم أعمى . لان الرجل العمى - برأى الظالمين من بني الانسان - مجرد من العواطف الانسانية ، والرجولة ، ولكنه - بعين الواقع - قد يكون أندر الناس على هذه العواطف ، لأن الله سبحانه وتعالى ، عندما يحرم انسانا نعمة البصر ، يوزع طاقتها على بقية حواسه الأخرى ، ليكون أقدر على البصيرة من غيره .

ومن جهة ثانية ، بالحب تتغير الأشياء ، ويصبح مسحره نورا يتوحد صاحبه بدل ناظره ، كما

وتخبر الوالدة ابنتها أن معلم الموسيقى بانتظارها في الصالون ، فأيقظ هذا الخبر شعورها المتطلع الى معرفة الشاب الذي ما فتى يراود أحلامها ، ويبحث بأمانيتها (١) ودون أن تدري اندفعت "سمية" الى دواب ثيابها لترتدي ثوبها الحريري الأخضر ، وتهندم نفسها على أحسن هندام وصورة .. ان قلبها يدق سريعا ، ولكن بلذة لم تشعر بها من قبل .. انها لأول مرة تكون قريبة من شاب ، وداخل بيتها ؟ هذا الذي لم تصدقه ، ولكن والدتها أكدته اذن ، ستبدأ حياتها من جديد ، مع ذلك الشاب الذي يرافق خيالها كأبيسة فتاة تحلم وتترامى .. ترى هل ستحقق حلمها وترى طيف أحلامها حقيقة واضحة في معلم الموسيقى ، انه ينتظرها في قاعة الاستقبال . يجب أن تسرع لرويته .. انها المرة الأولى التي تبطي في ارتداد ثيابها .. انها قلقة ، تخاف ألا تحوز على اعجابه وهي الفتاة الذواقة (٢) وتفاجأ "سمية"

انها لم تكن تنتظر أن ترى شابا ، أطفئت عيناه ، فهو لا يبصر النور .. انها لم تكن تتوقع أن يكون معلمها ضريبا ، اذن ، فان هاتين النظارتين انما وضعتا لتسترعاه .. ولهذا لم تر والدتها حاجة في أن تصحبها ، لتقدمها اليه ، ونحو الأعمى (٣) .

لقد عرفت والدتها كيف تقدم لها هذا الشاب ، ولكن ، هل تستطيع هذه الوالدة أن تحول بين قلب سمية وأشاعاته ؟ هنا تكمن حبكة القصة . كيف تتطور أحداث هذه القصص في نفس سمية ، انها شابة مراهقة ، تغفوعلى الأحلام ، وتستيقظ على الأمل ، ولكن متى يتجسد حلمها فيصبح حقيقة ملموسة ؟ متى تمنح نفسها للحبيب المنتظر الذي تراه مع كل غفوة ليلة تغفوها بعد الصراع المؤرق ؟ تريده شابا قويا يخطفها عبيد أحلامها الى حيث هو يشاء ، لا تريده ضعيفا لا يقوى على الحركة .. بيد أن جماع عواطفها يستهدف الآن هذا الشخص الجالس أمامها ، المطبق العينين الى الأبد . بالرتاء والشفقة والعطف ، لقد كان بודהا منذ لحظات أن تبكي لتمزي من خيبة الأمل أما الآن فان بודהا أن تبكي لترثي لمعلمها (٤) .

ونرى أن الصراع أخذ يتجه في نفسها اتجاها آخر .. كانت بالأمس القريب تفكر وتحلم في دائرة ذاتها ، أما الآن ، فهي تذكر وترثي لحال معلمها .. انه شاب ، وعازف كمان بارع ، ولم لا تكون صديقة ومعينة ، وحامية الى الأبد ؟ ولكنها كانت تشعر ان في قلبها فراغا كبيرا فراغا مؤلما تقاسي منه وتعاني ، وتصبوا الى أن يميتلي منه جانب بما يدعونه "الحب" ، هذا الشيء الجميل الرائع الذي تتداول به لداتها في المدرسة في غمرة من الآهات والشروك (٥) .. لقد استطاعت الأم في احضار هذا المعلم أن تحول بين ابنتها وبين الحب الذي تلاحظه على لسان زميلات الطالبات ، الحب الذي يحدث من النظرة الأولى ، ولكن ، هل تستطيع

(١)	أشواق ،	ص	٨
(٢)	نفسها ،	ص	٩
(٣)	نفسها ،	ص	١٠
(٤)	نفسها ،	ص	١١
(٥)	نفسها ،	ص	١٢

هذه الام أن تتأكد من حقيقة رأيها اذا طالت " العشرة " بين الطالبة والاساتذ ، هل تستطيع أن تحول - على الاقل - بين ابنتها ومناقشتها الحب والرأى فيه ؟؟ لقد شجعها اللقاء بالجنس الآخر على طرح أسئلة كثيرة ، عرفت من خلالها ما تريد أن تعرفه الا الحب الذى طلبت منه أن يحدثها عنه ، اذن ، " سمية " أصبحت قادرة على التساؤل ، والامتنع عن أمور تتعلق بالحياة ، عن غير طريق والدتها التي كانت قبل تقدم المدرس " منبع حكمتها رتدايتها ، وأحب حياتها .

ان الحياة التي ابتدأت تعيشها " سمية " مستعلم فيها العزف على " الكمان " أدخلت على قلبها الجرأة ، وجعلتها قادرة على التخيل المنطقي ، بشكل لا يبعدها عن الحقيقة التي كانت تحلم بها .

ونرى أن شعور " شفيق " المعلم الاعلى أندر على الحب من شعور سمية . . وهذا شيء واقعي ، ففي الحب ، لانه الوحيد الذى يتبع عشرات الزمان . . صحيح أنه مخلق الحنين ، ولكن قلبه قادر على ارتشاف الحب بقدر لا يستطيع عليه أصحاب العيون الرائية . . فالحب هو نور عينيه ، يرى من خلاله كل شيء ، لذلك نراه يكن لهذه الفتاة حبا عميقا أعجزه عن الافصاح به ، ولكنه يصف الحب بالجمال من جهة ، وبالخداع من جهة ثانية . . ولعله في هذا الوصف يعبر عن رأينا من ناحية الجمال ، أما فيما يختص نحوه ، فالحب من وجهة نظره خداع قائم على الشفقة ، عكس حبه الجميل الذى لا يؤمن به ، لأن منطقة كان منطوق عماء .

ونرى " سمية " تؤكد هذه القضية بقولها : " أنا مثلك يا أستاذ ، لا أعرض على الرسم من أنى أرى وأبصر " (١)

وهنا نعمة تأم الحكمة . . فمولم يسألها الا ليفهم شعورها ، فاذا بدا تصعقه بقولها ، اذن ، هي لا تحبه رغم أنها ترى وتبصر وكيف الحل اذن؟

وهنا ترى الكاتب - كعادته في حل الأزمت - يتدرج الى الحل عبر المسالك التي طريقا . . فهذا المدرس الاعلى أدرك أن حبه لهذه الفتاة عبثا ، ومرفوضا ، فألف قلدعة موسيقية تعبر عن مكونات نفسه . وأطلق عليها اسم " أشواق " وبالمنها أن تتقن عزفها ، فشعرت أنها تحبه ، لعل شعورها استجاب الى نداءات نوتته التي خرجت من أعماق نفسه ، انها تحبه - - - " أشواق أعماقها ، وأن كل عرق فيها ينبض بنواه ، وكل احساس يمر بحبه " (٢) ولكن الى أي مدى ترد هذا الحب في نفسها وانصر ؟ .

بالصمت ان المعلم قد أخبرها أنه سيخيب ثلاثة أيام عن اعداءه المدرس لشيء هام يشغله ، واعتصم بالصمت عندما حاولت أن تسأل (٣) ونراه يخيب أربعة أيام ، أحست " سمية " ان هذه الأيام لم تنقضي الا لتزيد ما شوقا اليه وحبا به ، الأمر الذى يغير مفاهيم أمها للحب . .

فالظمى لا يحول بين قلب انسان وقلب آخر ، واذا كان الله قد حرره نعمة النظر فقط - - - عوضه بالبهيرة ، والعزف الرائع الذى يشد الأسماع والقلوب اليه . . ولكن الكاتب ، يأبى على

(١) أشواق ، ص : ١٤

(٢) نفسها ، ص : ١٤

(٣) نفسها ، ص : ١٧



هذا الاعى الا أن يحمل حبه وينزوي بعيداً عن "سمية" يريد ذكرى جميلة ، الأمر الذي دفعه الى الانسحاب ، وهو على أمل أن تلحق به لتمسك ذراعه ، وتغلق الباب ، وتحدثه عن لواعجها ولكنها لم تفعل ، تركه يتخبط في الحثور على طريقته تاركاً لها رسالة على المقعد الذي غادره ، وكانت رسالة وصفية وصف بها الاسباب التي دفعت الى تأليف مقطوعته "أشواق" وكان ملخص ما تناه ، لو أن يوماً تنكشف عن عينيه غشاوة الصم ، وينفذ اليهما بعض النور لتبين حبيبت ما تتر به عيناه من حب لها وصبابة بها . . . يتناه مرة واحدة في عمره ، ثم يعود إلى عناءه . . . ولكن . . . (١)

ليس كل ما يتخفى المرء يدلّكه " . . . فيودّع حبه إلى الأبد ، بعيداً عن الناس أجمعين .

هذه قصة أشواق في ميناها ومعناها ، تحطينا صورة واضحة عن قصص سهيل ادريس العاطفي . . .

فالمعنى ذو أبعاد صادقة للعاطفة عند الشبان ، ومحدودة أو تكون ضيقة عند الفتيات ، لا اعتقاد المؤلف ، من خلال قصصه الغرامية ، أن بطل القصة أقدر على الوفاء والصدق من البطلة في كثير من انتاجه القصصي والروائي ، لارتباط ذلك بالبيئة العربية الاجتماعية في زمن هذه القصة فالشاب هو المسموح له بالتعبير عن عواطفه ، أما الفتاة فمحروم عليها - حتى التأخر والتضييق ، لأن العزف والعادة والتقاليد تفرض على الفتاة . . . ككل . . . كبت عواطفها ، بانتظار الفارس المرتقب الذي تختاره الاسرة لها . . . وفي هذا صورة هادئة للحياة الاجتماعية التي لاتزال روايتها قائمة حتى الآن ، في بعض الأسر العربية ، ولكن في نطاق ضيق إذا لم يست بما كانت عليه الأسرة عموماً في الأربعينات قرن هذه القصة . . .

إذا نظرنا الى المعنى ، نراه يصور المعنى ، فهذا المعلم الاعى لا يستطيع أن يتحرر من الاحساس بعاهته ، ويرى أن ما تكنه الفتاة له ما هو الا مجرد اشفاق ، فيهرب من حبيبها ، ويحتذر عن الاستمرار في تعليمها الموسيقي .

أسلوب القصة ، ومكونات فنّها تصبغ الرومانسية ، الحركة التي كانت تسيطر على العروسة الأدبية التي أخذت تتجه اتجاه واقعي على دعائم الرومانسية (٢) ونستطيع أن نقول : إن قصة "أشواق" مخرقة في الرومانسية ، فبطلاهما : فتاة مراهقة ، تبحث عن تجربة عاطفية وهي مهيمنة لها بحكم عمرها وجمالها ، ومعلم الموسيقي الاعى الذي تصدم به أولاً ، ثم تشفق عليه ، فيتحول هذا الاشفاق الى حب ، ولكن المعلم الاعى لا يستطيع ان يتحرر من إحساسه بعاهته ، فيختفى عن حياتها ليعيش على ذكرى هذا الحب ، لا يعلم العزف أحداً . . . سيعيش هناك . . . بعيداً . . . في كرن صغير لا يلبق به الا أعى مسكين مثله (٣) .

ترتكز هذه المأساة العاطفية إذا جاز هذا التعبير - على دعائين من الظروف النفسية

الزراعية ، ومن ظروف المجتمع والطبقية ، وليس من قبيل المصادفة ان يغفل مثل هذا النوع من الحب

بل دعائم الحياة الاجتماعية التي تفرض الغفل غرضاً .

- (١) أشواق ، ص : ١٩  
 (٢) راجع الرومانسية نشأتها ، وفنستها قضاياها ، وأثارها لغان تينجم - ترجمة  
 بهيج عثمان مطبوعة الرسالة - مصدر  
 (٣) أشواق ، ص : ٢١

رحماك يادمشق :

• انتموصة "رحماك يادمشق" هي الأفرصة الثالثة في المجموعة المسماة باسمها .

١- زمانها : سنة ١٩٦١ ، وهي سنة انفصال الوحدة بين سوريا ومصر ، تلك الوحدة التي كانت أمل الشباب الناضج ، وفيها القوة ، والمناعة ، والنهوض بالأمة العربية من كبوتها ، وفيها النصر الاكيد على أعداء الأمة ، وتحرير الأرض ، وطرد المستعمر الخاشم الذي يكن وراء كل انفصال ليضعف القوة العربية ، ويجعلها غير قادرة على تحديات الرجعية والاستعمار فقد اشتهرت هذه السنة بسنة الانفصال . . . والانفصال يحمل أكثر من معنى ، ومفاده الضعف والاذلال والسقوط أمام قوى الغدر والخيانة . ومهما كانت صفة القائمين على هذا الانفصال ، فهي لا تخرج عن صفات الغدر والخيانة في حق الأمة العربية التي تعيش لتتعدد للتوزع أحزابا وشيخا عبر دولات هزيلة لا حول لها ولا قوة .

٢- مكانها : آ - من الناحية المكانية : في عقل المفكر العربي ، فيرى العقيدة يطرح بها ، وتعلن قدسيها بهذا الاستخفاف الذي يطلق عليه اسم الانفصال الذي أعاد الأمة العربية الى ما هي العداوة والبغضاء والتفرقة ، وجعلها لقمة سائغة في فم الرجعية وتجسار العبادي .

ب- ومن الناحية المادية ، مكانها الأرض السورية ، وفي دمشق ، قلب الأمة العربية ، تعلن عن طريق الاذاعة ثورتها على الوحدة العربية ، وهي التي تدعو - منذ أن وجدت - الى الوحدة والحرية والاشتراكية والعدالة الاجتماعية ، نراها اليوم تعلن العكس ، الانفصال من اجل تصحيح الاخطاء التي كانت الوحدة سببا فيها ، ونرى أن صوت الانفصال أخذ يدوي في جميع اذاعات العالم ، ففيه عودة القوة الخادرة للسيطرة على الأمة العربية بعد أن فشلت تجربة الوحدة بين مصر وسوريا نتيجة مطامع شخصية وأخطاء - مهما كانت - لاتدعو الى هذا الانفصال مالم تكن زمام نفوس مريضة ، همها السيطرة والاستغلال ، والعودة الى أبواق الوحدة الفارغة ، لتنفخ كغيرها من النفوس الحاقدة على الأمة العربية .

٣- أشخاصها وأحداثها : المثقف العربي ، المؤمن بقضية أمته ، الداعي الى وحدتها ، لأن الوحدة هي القوة الفاصلة بين الحق والباطل ، وهي القوة القادرة على أن تدور عن حياض الأمة ، وتعيد بناءها من جديد ، بناء قادر على الصمود أمام هزات الغدر والخيانة ، والقوى الناشئة .

نزوة المثقف العربي التي رأته في هذا الانفصال معكوسا على ملاح وجه زوجها وعلى لسانه وعلى تفكيره ، في دموع عادة تكاد تحرق دعاة الانفصال لتسقط عليهم . . .  
والصديق السوري الانفصالي ، والفتاتان ، والعديل الوجدوي .

و هناك شخصيات عامة : الشعب العربي المخدوع ، ودعاة الانفصال من حكاهم سوريا ، وأبطال الحرب الكلامية كثيرهم من القادة العرب ، والاذاعات العربية والاجنبية .

٤ - جسوها العام : هو جو الحياة العربية المناضلة ، الباعية الى الوحدة في تلك الفترة من الزمان ، وفي كل فترة زمنية ، وأفراد الشعب العربي يتدلجون الى الوحدة الكبرى المحبرة عن وجوههم وأرادتهم ، حيث كانوا يرون في الجمهورية العربية المتحدة نواة مباركة للوحدة الشاملة ، لذلك تقبلها الشعب العربي بدموع الفرح والفخر والاعتزاز ، الا الأنظمة الملكية الفاسدة التي تتل الرعية في الأردن والعراق ، فأقاموا اتحادا بينهما ، لامن أجل الأمة ووحدتها ، بل من أجل تفتيت وحدة الأمة ، وضرب مصالحها ارضاء لمصالحهم الشخصية ، وحرارة لأربابهم من القوى الاستعمارية التي تتحك بهم كحكام يضررون الشعب فسي ماالكهم بالحديد والنار ، ويلقون كل صاحب صوت حربي غياهب السجن .

وتتناول هذه القصة ايمان الأديب العربي بوحدته العربية ، وتعبر عن كرهه للانفصال ، ونرى أن شعور بطل هذه القصة متناقض كل التناقض مع شعوره في قصة (الدمع الحذب) (١) ولا شك الفرق واضح ، فذاك شعور نحو الحياة ، وهذا شعور نحو الموت .

٥ - تسميتها : دعاء الى الله ، ويرحم دمشق : لأن في الانفصال موتها ، والقضاء على نواة الوحدة العربية ، والعودة بالامة الى تخبطها السياسي والقومي ، والالتزام بقضايا الرجعية والاستعمار . "رحماك يادمشق .. رحماك يا حلب .. رحماك بالاذقية" (٢) فلماذا هذا الدعاء ، وما معناه عند التحليل والتدقيق ؟

بناء القصة الفني يجعلها نرها من السرد المباشر ، أو الطريقة الملحمية وهي أكثر الطرق شيوعا (٣) فزوجة المثقف العربي هي الرابطة التي تنقل الينا مشاهداتها ، وتصف لنا أُنسرها هذا النبا - نبا الانفصال - على نفسها وعلى نفس زوجها .

تبدأ القصة في دخول الزوجة على زوجها في مكتبه ، فلم يرفع رأسه الا حين أصيبت قبالة ، ووضعت يدها على طاولته ، وهي تحس بأنما ترتجف ، فرأى وجهها منتفعا ، فهالك الامر ، ونهض عن كرسيه ، واستدار حول طاولته ليأخذ بيدها ، ظاننا زوجته موشكة على الوضع ، وامتناعها واضطرابها من علاماته .. (٤) .

في هذا التمديد من الكاتب ، تمديد منطقي ، يقدمه لنا حتى يكون وقع نسا الانفصال قائما على قاعدة من الخسوف والاضطراب الذي اكتسبه من العلامات التي رآها على وجه

(١) القصة الثانية في مجرمة "رحماك يادمشق" قصة يستقبل بالمواعيل اعلان "الجمهورية العربية المتحدة" بدموع حزبية ، ان هذا الاعلان عن طريق الاذاعة قد حل الدمع الحذب . في الوحدة القوة والحياة لهذه الامة .  
 (٢) رحماك يادمشق ص: ٥٣  
 (٣) راجع ضروب المحاكمة الفنية في دراسات في القصة العربية الحديثة ، لمحمد زغلول سلام ، ص ٢٣ و ٢٤ . وفي القصة عند نجم ص ٢٧ ولغاية ٨٤ .  
 (٤) رحماك يادمشق ص ٢٧

زوجته .. وهذه لفظة جيدة من الكاتب كعادته في كل قصة بالكاتب هنا لا يجعل المفاجأة تتحرك بسير أحداث قصته ، بل يقدم لها بنوع من التمهيد يترك اثرا من نوع الاثر المثير ، وذلك حتى تسبح الحبكة متماسكة ، وان كانت تشير الى ان هذه العبكة من النوع المنكك ، فهو يشغل هذه المقدمات التي تقود الى النتيجة المقصودة ، لذلك ، نراه يعالج القضية بالحلاج ذاته حتى لا يتمرد فيؤدى بساحبه ، وتموت القصة قبل ولادتها .-

وتحاول زوجة الكاتب ان توجهه الى النقاط ما ترفب ان تتلفظ به من الاذاعة مباشرة ، فهي تعرف جيدا ان زوجها من دعاة الوحدة العربية ، ويعيش على أمل ان يراه قائما بالشكل الذي يحفظ ماء الربيه ، وتذى في عين دعاة التفرقة والانفصال ، فخافت ان تصحقه بالنبا الذي سمعته ولكن اعتراره في سماعه منها جعلها ان تتداعى للسقوط ، ولكنها تماسكت ، وقالت دون أن تنظر اليه :

\* لقد وقع انقلاب في دمشق \* (١)

والعقدة هنا هي عقدة السراع في هذا الانقلاب ، كيف وقع ، ولماذا ؟ وما اردافه ؟ وفي هذا القول ، قصة تأمن العقدة وانطلاقها ، وأى تأمن أكبر من أن يقع انقلاب في دمشق بعد وحدتها مع مصر ؟ كيف تحل هذه العقدة ، ومن ينقذ هذا الانقلاب من الانفصال ؟ قد يكون الانقلاب في بادى الامر وحدويا ، غايته اصلاح ، ومحاكمة العاشق من يدافع الشعب بمقدراته ، او محاكمة المتسلطين على رقاب الشعب ان وجدوا .

ان سنيل ادريس يجعل من جملة زوجة البطل \* لقد وقع انقلاب في دمشق \* (١) قصة العقدة ، ولكنه لا يحدد الى حلها ، بل يضعها في مكان وزمان القضية ، فرادير دمشق بالذات هو الذى أذاع النبا ، ففرح ناس ، وحزن آخرون ، فرح العاشقون الآخرون بمقدرات المحبوب ، الراسخون في قاعدة الاستعمار الغربي الذين يرون من خلال قاعدتهم سيطرتهم وسيطرتهم ، وهو لاء لن يتفوا مكنوفي الايدي امام دعاة الوحدة ، ففي الانفصال سلاح يضاف الى أسلحتهم ، وحقيقة تضاف الى حقائقهم في الزيف والخذراء ، ولا شك أن موقفهم مرفق المؤيد المشجع ، وهم قريبون من الحدود السورية ، الامر الذى دفع قادة الانشقاب الى اعلان نبا حركة انفالهم ليحملوا على تأييد دعاة الانفصال ، وشاركوا في معركة حربية اذا اقتضت الظروف ذلك الى جانب أبناء طينتهم من القادة السوريين المسؤولين عن هذه الحركة الانشائية .

وحزن دعاة الوحدة والقومية العربية .. حزن أصحاب المبادئ الانسانية الحققة ، حزن كل فرد عربي يرى في وحدة أمته القوة والمناعة .. ولكن ، ما قيمة الشعب هنا ؟ وما اذا يستطيع ان يخل امام ثورة مسلحة وهو أعزل ؟ ان حزن دعاة الوحدة من ابناء الشعب لا يكسبهم الا الدموع والدم ، وخصوصا في عصر يتمرد فيه الباطل وينتصر على الحق الذى يلتف بالدمت ما دامت أسلحته غير قادرة رأ ساليه قديحة .

وسأل " زياد " زوجته ليتأكد من الحقيقة .. انه يشك في حقيقة هذا الخبر الذي يحطم النفس ، ويدمي الافئدة ، ولكن زوجته تلقي اللب على اذاعة دمشق .. وهذا ما أعلنه راديو دمشق بالذات (١) فيصرف عنها بخطى سريعة ولكنه رغم ذلك ، كان بطيء السير كما لو أن اعباء ثقيلة تد ألقيت على كتفيه ، كأنه يحمل دمشق بما فيها على رأسه وكتفيه ، فاذا به يرتقي على الرصيف وأفكاره شاردة بين ان يصدق زوجته التي لم تكذبه قط ، وبين ان يصدق احساسه الناجم من اعماق نفسه المؤمنة بالوحدة العربية ، كيف يصدق الانفصال والوحدة غاية كل فرد عربي ، لعله نسي ان الامة العربية ملأى بالعناصر الفاسدة الهدامة الداعية الى الانفصال والتفرقة " وما الهبة أن نهض ، وهو يستحرق دمه بما أصبحه ، وأدار مفتاح الراديو الى اذاعة القاهرة ، فاذا بموسيقى عسكرية تنبعث منها كذلك ، ثم اذا بصوت المذيع يعلن أن الرئيس سيلقي بيانا هاما عما قليل (٢) وهنا يتأكد من قول زوجته .. لماذا " النارشات " العسكرية في القاهرة أيضا ؟ انه غير مصدق من ان الشعب السوري يؤيد حركة الانفصال هذه .. ان الشعب السوري ابا الوحدة يقتل ابنته ؟ (٣) انه لا يصدق هذا ، لا يصدق هذا ، ولكن صوت رجل قناة السويس أكد له ما يحارعه في نفسه .

كان من الممكن ان تقف عقدة القصة عند هذا الحد من الاحداث ، لولا ان سهيل ادريس تدارك الامر ، فجعل الامل يعود الى نفس البطل من جديد ، نتيجة سماعه صوت اذاعة دمشق يعلن " اذاعة الجمهورية العربية المتحدة من دمشق " (٤) فأحيا العقدة من جديد اذن ، لم تكن انتفاضة دمشق انتفاضة انفصال ، بل هي انتفاضة تصحيح وصيرة الى الأفضل .. ان الكابوس الذي تملك " زياد " لساعات طويلة قد انتهى ، فأخذ يتصل بأصدقائه ، يخبرهم ان دمشق ستظل كعبة الوحدة والعروة ، وان سحابة الصيف قد انجلت ، وخيل اليه أن سماعة التلفزيون ستدوب في يده من غرط الحرارة التي كان يحملها صوته اللاهث في تعبير الفرحانة والابتهاج والطلاقة ... (٥)

ويقلنا سهيل ادريس في قصته هذه الى ردة الفعل لهذه الانتفاضة في نفوس أفراد عامة الشعب الذين تجمهروا في الحي يصفقون ويمننون وينتفون بحياة الجمهورية العربية المتحدة ، وحياة رئيسها وحياة الشام ، ويشعر الكاتب الى أن أبا احمد ، بائع السوس ، وكان سوري الأصيل ، وأن باعة الحي أحاطوا به كأنما يقصدونه الى غاية اويوحون الى رمز (٦) . هذه لفظة جميلة من سهيل ادريس ، ففي هذا تفسير صادق عن النفس الانسانية فالالتفاف حول بائع السوس السوري الامل ، حقيقة الفرد العربي ، فهم - يجمهرون حوله لا اعتقادهم انه يفهم اكثر منهم ، لان الاحداث في بلده ، وابن البلد أعرف الناس بشؤونها ، ونسوا أن هذا السوري

(١) رحماك يا دمشق ، ص : ٣٨

(٢) نفسها ، ص : ٤٠

(٣) نفسها ، ص : ٤١

(٤) نفسها ، ص : ٤٢

(٥) نفسها ، ص : ٤٢

(٦) نفسها ، ص : ٤٢

يحمل في بلدهم ، وقد لا يفهم في شؤون بلده بقدر ما يفهم في شؤون لبنان الذي يعيش على أرضه . . . وهناك لفظة أخرى يمكن ان نفسرها على ان عامة الشعب السوري يؤيد الوحدة ويكره الانفصال ، بدليل ان مجرد اعلان الاذاعة باذاعة الجمهورية العربية المتحدة من دمشق ، اندفع الناس يهللون للجمهورية ولرئيسها ولسوريا معا .

ويتابع سهيل ادريس معنا عقدة قديمة ، فيسمع لبطل القصة أن يتخذ لنفسه فترة راحة ، يرائق فيها زوجته الى الصيف ، حيث شوقه الى البنيتين قد بلغ ذأيته ، وسيشعر بمذاق هذه النعمة شعورا عميقا حين يضمهما الى صدره (١) . . . ونرى ان صدى صوت " اذاعة الجمهورية العربية المتحدة من دمشق انساء واجبه تجاه زوجته ، فالطبيبة قد نهجتها بعدم ركوب السيارة في رحلة طويلة كهدية ، ولكنها ألححت عليه بأنها تحس براحة وهدوء كبيرين ، ويوسعه ان يسير ببطء . ونرى سهيل ادريس يذكر الطبيبة ، لا الطبيب ، ولا ندرى اذا كانت كلمة الطبيبة مصادفة ، لا الطبيب - وهي التي تشرف على ولادة زوجة بطل قصتنا هذه ، او كانت لفظة الطبيبة مقصودة . لان زمان القصة تتحكم به الرواسب الاجتماعية ، والنظرة التشريحية لاتزال تدور في افهام الضيق ، فيكون اشرف الطبيب على المرأة فيه نوع من الرفض تحت اسم الحلال والحرام ، والا لنا أكد لنا في سياق كلامه ان الطبيبة هي التي نهجتها بعدم ركوب السيارة وليس هو الطبيب .

لم تكن نصيحة الطبيبة لزوجته بعدم ركوب السيارة قادر على ان تلهيه عن التفكير بالقضية الكبرى ، فهو يحدث زوجته بحديث ينفض بأطراف المستقبل المشرق ، ويناقش الشكاري التي وردت في البلاغات ، ويعبر عن أمه بأن تغيد جميعا من ذلك الحدث درسا وعبرة (٢) .

وتذكره زوجته بالقصة التي تشبهها اثر الوحدة ، وتقارن بين دمعه التي ذرفها حين صنع البلاغ التاسع شبيهة بتلك الدمعة ، وكأنها تؤكد الاساس الانفعالي العاطفي الذي يعيش عليه العرب ، فهم غير جديرين في معالجة قضاياهم ، فوافقها على رأيها وأكد لها أن النجاح مرتبط بتقبل افراحنا بغير الدمع العذب ، وتقبل مصائبنا بغير الدمع المر ، فالعرب يتقبلون افراحهم بالدمع العذب ، ومصائبهم بالدمع المر ، وما نفع هذا . فالدموع سواء كانت عذبة أو مرة فلا تغير من الواقع شيئا . . . وليس الا السلاح ، سلاح العصر القادر على تغيير الواقع ، والعزيمة والتخطيط السليم . . . أما ما بيني على التخطيط العاطفي ، فأقل زويدة هوا خفيفة قادرة على ان تطلع به ، فكيف يصمد امام الغرائف الحاتية ؟ اما اذا كان الاساس قويا ، وقائما على التخطيط السليم ، لن تقوى عليه الحواصيف والاعاصير مهما انفعلت وتمردت . . .

ويستقبل " زياد " الفاتنين بشوق وحنان ، وقد حمل كلا منهما على ذراع ، فراحتا تنجعا . وتلوحان لامنا وتناديان علينا بصوتيهما الثاقبين ، لان والدهما قد تفر السلم تقفزا والام لازالت تخزن الامتعة من السيارة ، بانتظار وصول الطائرة (٣) . ولكن هذا الشوق المندفع لم يحل بينه وبين مراقبة أخبار الانفصال ، فأسع الى جهاز الراديو يتوصل اليه ، لعله

(١) رحماك يا دمشق ، ص : ٤٣

(٢) نفسها ، ص : ٤٣

(٣) نفسها ، ص : ٤٥

ينقل اخبارا تؤيد حقيقة بقاء الجمهورية العربية المتحدة ، فاذا به يتلقى الماء البلاغ التاسع لتعود الانذاعة السورية ، وتعود دمشق عاصمة الجمهورية العربية السورية . . . فالانفصال وقع فعلا الامر الذي أفقده الاحساس بوجود فتاويه . وشعر لو أنه يتحول الى قنبلة يفجرها بين دعاة الانفصال حتى تعود دمشق الى الوحدة العربية التي بدأتها مع مصر .

كانت ملاحظة جيدة من الكاتب أطلقوا علي لسان ثيقيق زوجة البطل الذي بات لا يعي شيئا

ما يدور حوله ، وتلك الملاحظة هي مراقبة سكان الصيف الذين بدأوا يطلقون الاسم النارية ، وشعلون الحرائق ابتجا . . . (١) وهذه الملاحظة تؤكد لنا ان فئة كبيرة من فئات لبنان تكره

وحدة الأمة العربية ، لاعتقادها انها ستذوب في كيان الوحدة العربية ، وسيذوب شوقهم في

تحقيق مطالبهم السياسية او الدينية . . . فالوحدة برأى عناصر هذه الفئة تشكل اكبر فطر على . . . ويعودهم العنصر في لبنان ، لان لبنان - برأيهم - ليس منتما الى المجموعة العربية ، وكل انفصال وعدم تقارب بين دولة عربية وأخرى يساعدهم على البقاء والمسير قدما في مخططات مستقبلية لنزل لبنان وشعبه عن الوحدة العربية والقومية العربية ، ولكن ، لم يكن الكاتب مبرحا في تحديد دلائف هذه الجماعة ، كما أنه لم يحدد منطقة الصيف وان كان القارئ قادرا على أن يتعرف على دلائف أعضاء تلك الفئة .

ويحاول سهيل ادريس في قصته - رحماك يا دمشق - ان يبرر ساحة بطل الوحدة

من منطلق اعترافه بالاطلاق التي ارتكبت ، ويحسب هذا الموقف هو موقف الشرفاء من الرجال ، ولكن (٢) . فهذه الكلمة ذكية للغاية ، ويستطيع من خلالها ان يتخلص من أي اتهام مولاة أو معارضة لو لم يحدد هذه " المكن " فتحدده لها ادانة لرجل الوحدة " مهادنة الرجعية التي اعترف بها الرجل ، ان الثوار لا يهادنون الرجعية (٣) . . . ويؤكد هذه الادانة باطلاق حكمه على ان الثوار لا يهادنون الرجعية ، فمهادنة رجل الوحدة للرجعية حكم عليه بمسؤولية الانفصال التي تمت . . .

وهناك تأكيد اخر لاتهام رجل الوحدة بالمسؤولية ، قول يالقه " زياد " يصف فيه الشعب عمرا ، فيقول : لا يستطيع أحد أن يدين شعبا ، برمته ، وان ضل الشعب ، لن ينزل طويلا ، ولكنه يخضع للحديد والنار ، ومع ذلك فلن يطول صمته على حكم الحديد والنار ونستطيع ان نفسر ثورة الانفصال من هذا المنطلق أيضا .

اذن ، القضية في عالمنا العربي قضية حاكم وشعب محكم ، والشعب آخر من يحلم ، ولا حيلة بيده . . . لو ان الشعب العربي فعلا هو الحاكم بأمره لما وجدت الدول العربية مزقسمة . . . لكانت دولة عربية واحدة . . . وما دام الشعب باق على انفصاله الناطقي فلن يمثل حاكم يمثل

(١) رحماك يا دمشق ، ص : ٤٧

(٢) نفسها ، ص : ٤٨

(٣) نفسها ، ص : ٤٨

(٤) نفسها ، ص : ٤٩

ارادته ، ستظل الامة مشتتة ، وسيحدث انفصال وآخر . بعد اعلان الوحدة او الاتحاد ما لم تتم على التخطيط السليم ، وبناءً على ارادة الشعب لا ارادة الحاكم ، لان الحاكم قابل للتغيير والتبدل في كل حركة انفصالية .

ان سـبـيـل ادریس یـدین حزب البعث الحزبي الاشتراكي في حركة الانفصال بالاشارة الى ان زعيمين من زعماء الحزب الذي يعتقد انه الحزب العقائدي الوحيد - الذي يؤمن ايماناً مخلصاً بالوحدة والاشتراكية بين الموقعين على بيان الانفصال الذي زعزع ايمانه بهذا الحزب ، ولم يكن ينتظر منهما ان يسلكا طريق الانتهازية التي كُنن يعيها بدأ على حزب آخر ، ويشتمه أنه هنا يبيع الغاية كسباً للوسيلة (١)

ولم يكف الكاتب بادانة الحزب ، بل يأخذ بيدنا ليعرفنا على صديق " زياد" السوري ف يعرف ان القضية القومية لا تشكل بأي حال هما من همومه الرئيسية ، ولهذا لم يكن يتوقع أن يصيب من هذه المقابلة أية راحة نفسية هو بأشد الحاجة اليها (٢) . وقد صدق حدثه ، فسمير " يستقبله والبشر يطفع من وجهه ، وهذه الملاحظة تؤكد حقيقة الراحة النفسية والرضى الذي يتحلم في نفس سمير وشقيق الناجر الذي حبسته سركة الانفصال دون عودته الى مقر عمله في دمشق ، واخذ الاثنان معا يتحدثان عما كان يعانيه السوريون من تضيق على الحريات والارزاق ، وربما الحركة الانفصالية على أنها " ثورة غبر" (٣) .

اذن ، ليس أعضاء الحزب فقط دعاة انفصال ، بل وكثيرون من أفراد الشعب ونستطيع ان نتأكد من حقيقة واتسعة هي ان الوحدة بين مصر وسوريا لم تكن قائمة على اساس من الدرس والتطبيق ، بل كانت نتيجة انفجالات عاطفية ، وعندما خمدت تلك الانفجالات وقع الانفصال وخموصاً اذا كانت القضية قضية وحدة شعب عاش في بيئتين مختلفتين وتحت ظروف وقيادات مختلفة .

ولم يقف الكاتب عند هذين المثليين ؛ الحزب ، وصديقه البطل سمير وشقيقه ، بل أخبرنا أن مدرس الادب الذي كان استاذ " زياد " في المعهد الديني ، وعرف من المعهد لسلوك مشبوه ، عاد الى دمشق ليصبح قاضياً شرعياً (٤) . وهنا يؤكد لنا من هذه الحقيقة ان الانفصال زان وقصير ، فهو غير شرعي ، وأشبه بهذا القاضي الذي عرف من المعهد ليصبح قاضياً شرعياً في دمشق ، وحكومة كهداه تحتاج الى قاضي كهذا القاضي .

ولم يكف الكاتب بهذا المثل ايضاً ، بل يؤكد ان عدداً من الادباء السوريين الذين يحترمونهم يتحدثون من اذاعة دمشق أحاديث زلفي وتطلق للمعهد الجديد (٥) . ان ، القضية ليست قضية مثل أو مبادئ ، القضية قضية مصالح شخصية عند الحاكم والمحكم ، كل ينظر الى الوحدة نظرة استغلال ، قائمة على عدم الثقة والمحبة ومصصلحة الوطن . وهذا الاتجاه محكم عليه

(١) رحماك يا دمشق ، ص : ٥٥ و ٥٦

(٢) نفسها ، ص : ٥٧ و ٥٨

(٣) نفسها ، ص : ٥٨

(٤) نفسها ، ص : ٦٣

(٥) نفسها ، ص : ٦٣



بالنخير في يوم من الايام .. فالامة العربية بحاجة الى تضيير جذرى يرد لها الثقة المفقودة بين الحاكم ، والمحكوم ، ويمدها بقوة جديدة لاستئناف النزال .. وحركة الانفصال هذه هي بداية نضال طويل من اجل وحدة طبيعية ، مبنية على اساس من المصلحة المشتركة وقائمة على العدل بين جميع افراد الشعب العربي .

وتم الانفصال .. وانتهت عقدة القصة ، ولكن سبيل ادريس لم يتركنا في تساؤل عما حدث مع زوجة " زياد " فقد كنا نتوقع من ان مدممة الانفصال التي تمت يكرن لها اثر عكسي على زوجه الحامل ، ولا تستطيع ان تواصل السير .. وهنا تلتقي جميع الخيوط والابعاد لتشكل قمة الصراع في عقدة القصة ، ونراه يتدرج بنا نحو الحل .. كيف تحل عقدة الزوجة الحامل ؟ وكيف يتخلص هو من شعور القلق والحيرة والعذاب نتيجة هذا الانفصال ؟

يوازن سبيل ادريس بين عقدتي قصته : عقدة الانفصال من جهة ، وعقدة الزوجة الحامل من جهة ثانية .. فالانفصال قد تم فعلا ، والحزب ، والتاجر ، والشيخ ، والأديب يوافق أو يوافق من أجل هذه الحركة الانفصالية ، ويرحب بها كبديل للوحدة ، من اجل دعوة جديدة الى وحدة الامة تنزع صادمشق لا القاهرة . ونرى كاتب القصة يتألم ويرثي لحال الامة العربية من خلال بطل القصة " زياد " كيف يدخل الردء والاستقرار على نفسه ؟ نراه يضع مقابل هذا الانفصال ، تلك الزوجة الحامل ، فيجعلها تتألم من أجل أن تخفف عنه ألم الاحساس بالانفصال ونعده لقبول النبا بلا أبعاد نفسية ، لان من الطبيعة البشرية ان يخاف الانسان على ما يخصه بالذات قبل ان يخاف على ما يخص الامة بأسرها ، لذلك نرى أن مدى وقوع نبا الانفصال وان كان شديدا - الا أنه أخف من وقوعه على انسان يتقيد بالمبادئ القومية ، ولا زوجة تتألم عنده

ونرى الزوجة تلد مولودا ذكرا ، وهو أب لفتاتين ، فيستقبل المولود الجديد ، بوصفه انه اجمل مولود رآه في حياته <sup>(١)</sup> وهذا صحيح ، لانه يرى من خلاله وجوده ، وهذا ما يؤكد أنانية الانسان الطبيعية ، ولكن الانانية هنا تختلف عن الانانية عند الكبار الذين تزعموا حركة الانفصال - فهذه انانية عياء ، تقم على الحنوء والمصالح الفردية ، اما تلك ، فأنانية غريزية لا يخالو منها اى انسان ، ان اختلفت ابعادها حتى لا يفسد السخسر .

الانفصال قد أصبح حقيقة ، والشعب الذى يمثله التاجر ، والأديب والقاضي بارك هذه الحركة تملقا او حقيقة ، وفي هذا تنحل العقدة ، والزوجة الحامل قد ولدت ولدا ذكرا ، وهي أم لفتاتين ، فحققت رغبتها ورغبة الأب ، وأصبح للفتاتين أخ يتعكران عليه .. وهنا الحل لعقدة الام الحامل .

ولكن السؤال الذى نطرحه: لماذا اعتبر هذا المولود الجديد - وبعد حركة الانفصال مباشرة - هو اجمل مولود رآه في حياته .. هل الدولة المنفصلة هي هذا الطفل المنفصل الجديد الجميل ؟ أو هو الامل في المستقبل ؟ او هو توقع الخير من باطن النظم .. ؟ ؟

الفصل الثاني

روايات سهيل ادريس

- ١ - الخندق العميق
- ٢ - الحي اللاتيني
- ٣ - أصابعنا التي تحترق
- ٤ - روايات سهيل ادريس في مآيا النقاد

## المبحث الأول

## "رواية الخندق النمسوي" (١)

هي الرواية الثانية التي كتبها سهيل ادريس .

١ - زمانها : بين سنة ١٩٢٦ و سنة ١٩٤٩ ، زمان الاستعمار الفرنسي (٢) ، على

أنقاض الاستعمار التركي الذي سيطر على العالم العربي أكثر من اربعمئة سنة ، باسم الديسن ،  
والخلافة الاسلامية (٣) . استطاع الاستعمار التركي أن يعزل الأمة العربية عن الحضارة الاوروبية  
التي ابتدأت تباشيرها تدل عليها ، بعد الثورة الصناعية التي قلبت مفاهيم الناس هناك ،  
وضيقت حلقة الصراع الديني الذي كان يتحكم بالنفوس ، وخصوصا بعد اعلان الثورة الفرنسية على  
على الكنيسة ، وفصل الدين عن الدولة (٤) .

استطاعت أوروبا أن تتخلص من سيطرة الكنيسة ، وتحدد موقفها من الدين ، واتجهت  
تصنح نفسها لرفع مستوى الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، والأمة العربية تترج تحت الاستعمار  
التركي الذي عزلها عن نور الحضارة والعلم ، واستعيد بها باسم الدين الذي بقي أثره قائما حتى  
بعد انتهاء هذا الاستعمار .

ونرى ، ان فترة الاستعمار الفرنسي في لبنان كان لها أثر معاكس على الأمة العربية  
فقوي عند أبنائها الاحساس الديني ، لمواجهة صادراته الثقافية والاجتماعية ، ولم يكن للمغرب  
غير اللغة والدين مقابل الثورة الصناعية والثقافية التي جعلت من فرنسا دولة قوية مستعمرة ، فأنكسر  
العالم العربي حول ذاته وسيطرت القيم الدينية في النفوس ، وعلى السلوك ، فرفض معظم العرب  
- ان لم يكن جميعهم - النظريات الاجتماعية التي باتت تغزو الحياة العربية في عقودها ، من  
طريق الرسائل الأجنبية التي أخذت تؤسس المدارس والمعاهد في جميع أنحاء لبنان والعالم  
العربي .

وساهمت الحرب العالمية الاولى ، والحرب العالمية الثانية في اضعاف الاحساس  
بالدين عند الشباب ، وخصوصا بعد أن صور الاستعمار الغربي تركيا صورا بشعة وربط تخلفها  
الصناعي والثقافي والاجتماعي بروح الدين التي لا تلائم العصر ، لذلك نرى ان الزمان الممتد بين  
سنتي ١٩٢٦ و ١٩٤٩ وهو زمان احداث هذه الرواية ، زمان صراع بين جيل متدين ، وآخر  
يستقبل النظريات المستورده بقبول واستحسان ، فأخذت هذه الفئة من الناس تنظر النمسوي  
الثقافة الغربية نظرة اعجاب ، وعلى انها قادرة على أن تخلصنا من عبودية النظريات القديمة التي  
تعرض علينا طاعة كل ذي لغة وجبة " ، بالاضافة الى انها الجسر الوحيد الذي يصلنا بالعلوم -  
الحديثة ويالعنا على قضايا تلك الأمم ، لنأخذ منها الجيد ، ونترك الردي الذي يتنافس  
والأخلاق العربية .

١ - نشرتها دار الآداب طبعه اولي سنة ١٩٥٨ وطبعه ثانيه سنة ١٩٧٢ بيروت - لبنان .  
وترجمها المستشرق الامركي : مارك جريث الى اللغة الانكليزية ، مع الدراسة ، نال بها شهادة

الماجستير من الجامعة الاميركية ببيروت سنة ١٩٧٤ .

٢ - راجع جهاد شعب ، لمطابقين خلال نصف قرن ، لصالح مسعود ابويصير ، دار الفتح للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٠

٣ - تاريخ الشرق العربي والذلة لها لشمانيه ، لمحمد ضياء الدين الريس ، مطبعة نجفك ايمان العربي ١٩٥٥ م

٤ - تاريخ الثورة الفرنسية ، لألبير سوبول ، ترجمة جورج كذس ، دار عويدات طاب بيروت ١٩٧٠ م

ومقابل هذه الفئة التي استجابت الى معطيات الغرب ، وقف جيل الآباء وقفة تحسد ورفض . . . وهناك الصراع على أشده بين الجيلين : جيل الآباء الذي يبحث عن كل شي جديد ، وجيل الآباء الذي يرفض الجديد ويتمسك بالقديم .

## ٢ - مكانها : من الناحية المعنوية ، والناحية المادية .

من الناحية المعنوية ، في عقل الآباء ، الذين يرون في آباءهم جيلا يعرقل ركب حضارة الأمم العربية ، ويعملون على بقائها جامدة ، غير قابلة لنظريات العصر التي باتت تهدد الأمة العربية تهديدا مباشرا ، يحول بينها وبين وحدتها التي قضى عليها الاستعمار الغربي في معاهدة سايكس بيكو (١)

ومن الناحية المادية ، كان مكانها في حي الخندق الغميق ، ببيروت ، وكذلك المعهد الديني ، وفي كل بلد عربي ، لأن بيروت في تلك الحقبة التاريخية كانت لا تختلف عن بقية المدن العربية بشي ، اللهم الا بأسبقية اطلاع أهلها على العلوم الحديثة نتيجة اتصالها العكس بالغرب ، وموقعها الجغرافي الممتاز الذي جذب إليها الارطاليات الدينية المسيحية المختلفة ، وكان من نتيجة هذه الارطاليات وجود الجامعة اليسوعية ، والجامعة الأميركية .

وما توصف به العائلة اللبنانية في هذه الفترة من الأحداث ينطبق على العائلة العربية في كل مكان .

## ٣ - أشخاصها وأحداثها : عائلة بيروتية مؤلفة من أب ، وأم وثلاثة أطفال ، وفتاة ،

الأب رجل دين ، وأمام جامع ، يمثل الجيل القديم بنزعة القديمة ، والابن " سامي " يمثل الجيل الجديد المناهض للجيل القديم . . . وهناك شخصيات عامة ، مثل : الجماعة الدينية والخطاط ومدرس الأدب السوري ، وأساتذة المعهد الديني ، وعزيز ، وأبو محمود ، صاحب دكان السعنة ، وسميا ، ابنة صاحب الدار الذي نزل بها سامي وعائلته في المصيف .

هذه الشخصيات تشترك معا في تكوين عقدة هذه الرواية ، وأن كان دور كل واحد منهم يختلف من حيث الأهمية في الرواية ، ونستطيع أن نستغني عن عدة شخصيات ، ونلتزم بشخصيتين أو ثلاثة دون أن تتأثر العقدة الرئيسية في الرواية ، لو أخذنا سامي ووالده ، وسميا ، ورفيق يمكننا أن نستغني عن الشخصيات الأخرى ، ولكن لغاية تفصي الحقائق أوجد الكاتب هذا القدر من الشخصيات الثانوية ، حتى يصف لنا قطعه من الحياة وصفا دقيقا بكامل معطياته الانسانية والاجتماعية والثقافية ، فاختلفت المواقف ، والقيم وأثبت منطق العلم وجوده الممثل في شخصية سامي الذي كسب المعركة في النهاية .

١ - راجع جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، النصل الاول ، لصالح مسعود ابو بصير ،

دار الفتح للطباعة والنشر ط ٣ بيروت ١٩٧٠ م

٤ - جوها العام : جو الحياة العربية التي ترتبط بالقيم الدينية ، وتعيش على نظريات تعسفيه قديمه ، بعيده عن العلم والمنطق والدين الحق ، لأن نظريات الدين الاسلامي وجدت لتلائم كل زمان ومكان ، أما عقليات الناس ، فقايله للتغيير والتعديل نتيجة العلم والمعرفة ، لذلك نرى التفسيرات الخاطئه لبعض نظريات الدين التي لا يقرها الدين بجوهره وحقائقه ، ولكنها ترضي أنانية رجال الدين ، لأنها تستخدم مصالحهم الشخصية ، وتلبسهم ثوبا من المبالغة والعظمة . والشباب الواعي يقف عاجزا عن الاصلاح ، ولا يستطيع التمرد على هذه القيم الزائفة ، فالمعارضه شديده ، والاتهام بالزندقة وارد ، لذلك يقف أمام تحديات الرجعيه موقف حصر مترصد . . . ولكن " سامي " ابن رجل الدين ، صاحب حلقات " ذكر أسبوعيه " ، يبسط بساط الطعام أمام جماعته مرة في كل شهر ، وجد في نفسه الشجاعة على التمرد ، لأنه يعيش فسي جو الدين الذي لم يعيشه غيره من أبناء جيله الذين يؤمنون بهجوع التمرد على القديم لارتباطه بهجولة الرجعية التي تجعل من الرعية قطيع ماعز يهشه رجل الدين بعصاه .

ليس بالأمر السهل على " سامي " انه يتخذ موقفا معارضا لجيل والده ، ولكنه جرى ، ومؤمن بالعصر وأساليبه ، فأصبحت الثورة عنده أقرب بكثير من حياة الجمود التي تعود الناس عليها ، لذلك نراه اختار طريق الثورة وطريق الصراع بغية الاصلاح ، وإذا لم يصل فتكون ثورته بداية ثورات أعم وأشمل ، ثغرى متطوعين جدد على متابعة مسيرته التي بدأها ، وسيصلون بها إلى الغايه المنشوده .

ان قيمة الاعمال في بداياتها . . . والهداية الصادقه لها نهاية قادرة على التأثير في النفوس ، التأثير الذي يثمر ثمرا يكون قادرا على أن يذهب المرض ، ويصح العقول ، ويدفع إلى التحرر من جميع القيود على اختلاف مفاهيمها وإبطال دعائمها .

٥ - تسميتها : الخندق العميق ، الوادي ، والخندق : الحفير ،

وخندق حوله : حفر خندقا . والخندق المحفور .

وأصل الكلمة فارسي ، تعني الحفرة ( ١ )

٢ - اسم حي من أحياء مدينة بيروت ، يقع بالقرب من وسطها ، في الجهة -

الجنوبية الغربية من أحياء بيروت القديمة ، مكتظ بالسكان الذين يعيشون على نظريات الدين القديمه ، ويرتبطون بالأخلاق المتعارف عليها من خلال تلك النظريات التي تجعل رجل الدين صاحب رأى وكلمة مسموعة بين الناس .

في هذا الحي بالذات ، كان أهله يميلون إلى النزعة الدينية ، ويرفضون النظريات العلمية الحديثه التي تجعل الدين على ضوءها أكثر عمقا وإفادة ، وتحد من نشاطات العقليه الرجعيه التي تستعبد الأجساد والنفوس باسم الدين والعرف والعادة ، يدلل أن الحلقات

الدينيه كانت تقام كل ليلة جمعه ، يقرأ منها أحدهم جزءاً من القرآن ، ثم يتلو آخر بعض السيرة النبوية ، ويشترك الجميع بعد ذلك بالقراءة في كتاب صغير مذهب الحواشي ، يوزع نسخه على الجماعة رجل كان يحمله في صندوق خاص ، يخرج منه ويعيدده اليه بكل توءمة ورفق (١) . . .  
من هذه الحلقات الدينيه التي كانت تقدم كل ليلة جمعه ، ومن هذا الأسلوب نستطيع ان نتصرف على الحياة الاجتماعيه والثقافيه في الحي "حي الخندق الغميق" الذي كان مسرحاً لأبطال جيلين في أسرة واحدة ، عايشاها منذ نعومة اظفارهما ولا يزالان يعايشانها جنباً الى جنب ، جيل ثائر أصبح يمثل الجيل الذي انهزم أمامه لما تركه من رياسب في نفوس أبطاله رغم انتصار جيلهم على جيل آبائهم .

٢- الخندق الغميق ، هو الفجوة العميقه التي تفصل جيلين بعضهم عن بعض ، جيل عاش خلف سجن كثيفه من العادات والتقاليد المتحجره ، يمثله والد "سامي" ، رجسب دين ، وامام جامع ، وجيل آخره ، انسلخ من هذا الجيل . نراه ينفثح بغتة على العالم الأوسع ، فيتمرد بزعامه سامي الذي أدرك أن ما من مقدسات في الأرض يقف امامها الانسان غير أشواقه الى المعرفة الحقة التي تنفذ صاحبها من ظلام هذا الخندق الى نور الحياة ، والانطلاق والحرية . . .

ان الجيل الأب ، وقد سية هذه الأبوّة ، وجميع المقدسات تغدو عقبات في وجه جيل الابن اذا هي حاولت أن تقف في وجه أشواقه الى الحياة عبر المعرفة والانطلاق والحرية ، وتجهله قادراً على أن يتخطاها عقبه تلو عقبه حتى ينشرها أشلاءً على صخرة ارادة الأجيال القادمة التوسبي تعشق المعرفة والحرية ، والانطلاق .

ان هذا الصراع الذي مثله الأبناء ضد الآباء في هذه الفترة التاريخيه من الزمن كان قادراً على أن يثشق هذا الخندق الغميق ، ليردم فيه عقلية الآباء القديمه التي تتمسك بقشور القنايا وتتخلى عن لبائها ، وهي ذاتها التي حفرت هذا الخندق لتردم فيه تمرد الجيل الجديد ، ولكن العلم الذي أقام هذا الجيل نفسه عليه ، الارادة القوية ، والانطلاق نحو الحرية اودى بالجيل القديم في الحفرة ذاتها ، والتي صنعها من أجل معارضيه ، فوقع فيها ، وعجز عن الصعود منها . . . وقع الجيل القديم في الخندق الغميق ، فأصابه شلل قاتل اودى بحياة أصحابه ، وترك الجيل الجديد يواجه أشواقه بلا معارضه أو مقاومه .

يناء الروايه الفني نوع من السرد المباشر ، وهي الطريقة القادرة على وصف حياة أسرة ، وحياة بلد ، وتاريخ مقاطعه ، ولكن ، هذا لا يعني أن ضروب المعالجه الفنيه الأخرى غير قادرة على التعبير عن هذا النوع من القصص ، بل هي أقل وصفاً وعطاءً من طريقة السرد المباشر لأنها الطريقة القادرة على الحركة مع جميع أبطال القصة مهما ازداد عددهم ، لذلك نرى سببيل ادريس قد اختار طريقة السرد المباشر للتعبير عن أحداث قصته في "الخندق الغميق" ليصف

لنا حياة شعب كامل من خلال حياة أسرة الخندق الغميق التي اختارها نموذجاً للشعب العربي ، فرافق أبطالها فرداً فرداً ، ووصل مع كل فرد منهم الى حيث انتهت أشواقه على مسرح الخندق الغميق . . . فالى أى مدى وفق سهيل ادريس في التعبير عن أفراد هذه الأسرة من الأب والأم الى الأخ الأكبر " فوزى " ، والى " سامي " . العنصر الرئيسي ، الذى يمثل وجهة النظر التقدمية ، مقابل وجهة نظر والده الرجعية ، وهدى ، ووسيم الأخ الأصغر ؟

قسم الكاتب روايته الى قسمين ، دون أن يقدمها بمقدمة ، أو يختمها بخاتمة .

القسم الأول في واحد وتسعين صفحة ، تناول فيه وصفاً لحياة أسرة معينة تسمى في " الخندق الغميق " وركز على طفولة سامي ، كيف دخل المعهد الديني ، وما إذا حصل معه داخل المعهد ، ثم البسه الجيبه والعمامة ، ووصف لنا مشاعره نحوها ونحو الحب والحياة ، الحب الذى دخل نفسه من مقابلته لسميا أول فتاة يصادفها في حياته غير اخته هدى .

والقسم الثاني ، جعله في واحد وسبعين صفحة ، أخبرنا فيه عن لقاءات سميا ، ومراسلاته ، ثم لقاءه بعد عودتها من القاعة زوجة دون علمه ، ووصف لنا الصراع الذى شده الى التمرد على القيم والعادات ، فخلع الجبّة والعمّة ، وتدخل في مستقبل اخته هدى ، كما تدخل في سير دراسته الأديبه التي أهلته للدراسة الجامعية ، كما وصف لنا حقيقة علاقاته مع جميع أفراد أسرته ، الذى مثل كل منهم وجهة نظر مختلفه عن الآخر ، فجمع بذلك عدة تناقضات كانت موجودة في المجتمع . . .

تبدأ الرواية " السهبية " بتسليط الأضواء على " سامي " الابن الثاني في الأسرة ، فيختاره بطلاً لروايته " الخندق الغميق " ، بعد أن أظهره ذكياً وتمدداً منذ حداثة ، الأمر الذى جعل الوالد ينظر اليه نظرة مختلفة عن نظرتة لشقيقه الأكبر " فوزى " . كيف كان هذا ، وما هي المقدمات التي شدت الوالد الى هذا الاختيار ؟ ولماذا كانت هذه الأسرة مختبراً لحياة هذا الخندق الغميق ؟

من هذا المنطلق تنطلق عقدة الرواية الرئيسية ، وان كانت تنفتت الى عقد فرعية ، تتناول بعض الحيات التي يسير أصحابها في طريق مختلفه عن طريق بطل الرواية الرئيسي ، الذى تدور حوله العقده الرئيسية ، التي تأخذ في طريق تأزمها خطوة خطوة ، في تسلسل منطقي ، لا يقف في طريق تدرجها الى الحل عائق ، واذا وجد فلتفسر ظاهرة معينة لا تخرج عن خط سير العقده الرئيسية .

" والد سامي " رجل دين ، وامام جامع ، وصاحب جماعه ، يدعوهم الى حلقات دينيه كل ليلة جمعه ، ليقروا القرآن ، وبعضاً من الأحاديث النبوية الشريفة ويدعوهم لتناول طعام العشاء مرة كل شهر . . . (١) وسامي يراقب تلك الحلقات الأسبوعيه والأمسيات الشهرية التي تعطى والده صفة خاصة ، وتجعله صاحب كلمة مسموعة عند أفراد جماعته ، وكانت الصبب المباشر الذى دفعه الى التمرد على التقاليد المفروضة على أفراد أسرته ، بعدم الانتظار حتى

يقوم أفراد الجماعة عن المائدة ، بل اندس بين رجلين منهم ، وراح يأكل كما يأكل الجميع ، غير عابئ<sup>١</sup> بأنظار أبيه ٠٠ (١)

كان عمله هذا أول تمرد يصدر عن " سامي " ، ومن هنا نفهم ان كاتب القصة أخذ يوجه بطله إلى الحياة التي يريد لها . فإلى أي مدى نجح سهيل ادريس في هذا التوجيه؟؟ وهل تقبل الوالد تصرف ابنه دون وعظه وانتقاده ؟ لم يذكر لنا الكاتب شيئاً عن نتيجة هذا التحدي ، لعنه اعتبره هفوة طفيل لا يستحق عليها العقاب أو اللوم ، أو لعنه لاحظ كل شيء<sup>٢</sup> وأكفوى بالنظر لفاية ما في نفسه ٠٠ ولكن ، ما هي هذه الغاية التي رضى الصمت مقابل التحدي من أجلها؟؟ هذا ما سيكون واضحاً عبر مسالك عقدة الرواية ، وسنرى أكله عند تأزمها ٠٠

ترك الأب ابنه يجالس الكبار ، ويقرأ معهم الى ان فاجأ يوماً في غرفته بترنم ببعض كلمات من " دلائل الخيرات " فوصف صوته بالجمال ، ثم أجلسه الى قريه وجعل يقرأ بعض الآيات بصوته الخافت الرقيق ، حتى اذا انتهى ، أعطاه الصحف ، وطلب اليه أن يعيد تلاوة ما قرأ ، وأخذ يتابعه ويشجعه ويصحح له قراءته ٠٠ (٢)

من هنا . ابتدأت فاتحة القول والعمل ٠٠

ومن هنا ، ابتدا توجيه " سامي " توجيهاً دينياً حسبما خطط له والده ٠٠ ودعم هذا التخطيط قريب والده الثري الذي طلب منه أن يحفظ أربعين حديثاً جمعها النووي<sup>(٣)</sup> ، مقابل هدية لم يعلن عنها ، وكانت قام جهر حصل عليه عن طريق القرعة بين الساعة والقام والمحافظة<sup>(٤)</sup> . الأمر الذي دفع هذا الطفل ، الذي لا يعي شيئاً من واقع الحياة ، أن ينظر الى الدين ورجاله نظرة الإعجاب والتقدير ، التي دفعته الى اتخاذ القرار الذي وجهه والده الى اتخاذه ٠٠ انه يريد أن يصبح شيخاً ٠٠ (٥)

وعارضت الأم قرار طفلها ، فهو لا يعي ما قاله ٠٠ انها تعرف حياة رجال الدين ، لأنها تعايش أحدهم ، وتفهم حقيقته ، لذلك هي رفضت بشدة ان يكون ابنها خلفاً لأبيه ٠٠ وأصر " سامي " على موقفه ، بتشجيع من والده ، فأشرق وجهه الأب فرحاً ، وشده الى صدره بحنو وعطف شديدين ، يدعم ارادته بالقول المأثور : " العناءه تاج العرب " (٦)

اذن ، لم يكن قرار سامي محض صدفة ، بل كانت هناك مقدمات اذن الى هذه النتيجة ٠٠ فهو يراقب تحركات والده وجماعته ، كما يراقب موقف الجماعة من والده ٠٠ انهم يحترمونه ، ويجلوونه ، وكذلك يحترمه الآخرون ، لأن كلمة " شيخ " تعني الاحترام والتقدير فكيف اذا كان هذا الشيخ هو والده الذي يفتح بيته للناس كل اسبوع مرة . وبطعمهم كل شهر مرة؟؟ ولم لا يتمثل بالده؟؟ ان من البديهي أن يتمثل الابن بأبيه ، " وسامي " فسي

١ - الخندق العميق ، ص : ٨

٢ - نفسها ، ص : ٩

٣ - نفسها ، ص : ١٠

٤ - = ، ص : ١١

٥ - = ، ص : ١٨

٦ - = ، ص : ٢٠



الحادية عشرة من عمره ، العمر الذي يرى فيه صاحبه نقطة الانطلاق من مآثر والده .. وإذا لم يكن فأنطلق سهل القيادة والتوجيه في مستقبل طاقه، ولته . وذلك عن طريق الهدايا ، والأقوال المأثورة ، والمواقف التي تصور له .. ولماذا لا يكون " سامي " شيخاً ؟؟ لماذا لا يحصل هدوء أيضاً على تاج العرب ويعتبر به ؟؟

أدخل سامي المعهد الديني .. ولكن ، هل بقي شعور الرضى والاحساس بالسعادة هو المتحكم في نفسه ، أو كانت السعادة مجرد وهم جناه نتيجة تضليله ؟ وما موقفه في النهاية ؟ هل استطاع أن يعدّل من مسيرته أو يرضى بالواقع الذي وافق على اختياره ؟؟

في دخول سامي المعهد الديني أول منطلق للحبكة الرئيسية ، لانهاية المنطوق بل كان بداية الواقع الذي يفتح آفاقاً جديدة نحو حياة ينظر إليها البسطاء من عامة الشعب ، والقلة من المثقفين ، نظرة تقدير واحترام ، يكفي ان هذه الحياة تقود صاحبها الى خاتمة سعيدة عند الله .. حسب اعتقادهم .. هذا اذا كانت هذه الحياة .. هي فسلماً .. حياة الدين التي تتلاءم مع كل زمان ومكان ، لاحياة تعقيد واتهام وتفسير خاطئ .

الدين والدنيا يجتمعان ولا يفترقان ، والا لما وجد دين الدنيا ، ولكن نصوص بعض رجال الدين الصادرة عن تفسيرات مخرضة ، تكون ضيقه وسطحيه ، بعيدة عن الدنيا ، الأمر الذي ينفر الشباب ويقلقهم ، ويدعوهم الى الثورة ، ولكن الى أي مدى استطاع أن يجسد ما يبطل به ويمناه ؟ هل عرف الله من خلال هذه الدراسة الدينية ، فعرف الناس والحياة ؟ وما موقفه من المؤيدين والمعارضين ؟؟ فسلمي قد اختار الدراسة الدينية نتيجة مقدمات وأعطيات الدين والعرف والتقاليد ، أم استطاع أن يرى آفاقاً جديدة فحدد موقفه ؟ وهل كان موقفه سليماً أو إيجابياً ؟

كل هذه الأمور وأجوبتها تدور في ثنايا حبكة الرواية ، ولكن كيف استطاع أن يتدبّر بها نحو الحل والاجابة ؟

إذا نظرنا الى حياة سامي في " المعهد الديني " وحاولنا ان نقارنها بحياته فسلمي البيت وجدنا أن الفرق بين الحياتين شاسع جداً ، وليس من السهل تقبل هذا الاختلاف، بالسهولة التي تصورها والد .. ففي المعهد كان عليه ان يعتمد على نفسه ، فلم يكن هناك من يهني به بشؤونه ، ورتب حوائجه ، ويضع خطة مسلكه .. (١) كما انه لم يتخذ من مجموعة طلاب المعهد صديقاً سوى " رفيق " . أما حياة الدروشه ، فقد اعتاد عليها في البيت مسلاً كل جمعه ، ولكنها ليست هي الحياة التي تلهي الطفل في طفولته ، فهو يحتاج الى رفقة لهو ولعب ، يحتاج الى الانطلاق ، الى الحرية التي افتقدها داخل المعهد .

من هنا نلاحظ أن سهيل ادريس أخذ بهي بطل روايته للثورة ، فأنطلق من البداية وكانت وصف مدرس التفسير له " بأنه شيخ مدحوس " ، سيكون شيخاً مدحوساً ، لأن اللغة انقرضت

مرتين من على الطروش دون سبب يفهمه هو ولا المدرس أيضا . . (١) . وكان للجنة والعمدة دور كبير ، غير من عاداته ، حيث حالت بينه وبين الأعمال التي كان يعملها الفتية في عمره ، وأوقعته في مضايقات خلال الطريق ، وحتى في نظراته إلى النساء . . (٢) . وأصبح يشعر أنه موضع فرجة لأعماله الحي ، وبالغربة إذ يدنو من الخندق الغميق ، وخصوصاً أمام الضبية الذين كان يلعب معهم . . لقد انتصب بينهم وبينه حاجز ضيق ، فهو ينتهي إلى عالم غير عالمهم ، عالم الأحداث العايت الالهية ، وهذا سيسخر كل أصدقاء الحي ، سيسخر الحي كلهم ، وسيعيش بعد الآن وعييدا . . (٣)

كانت هذه البدايات التي أطلقها الكاتب قادرة على أن توقظ مشاعر سامي الداخلية ، وتجاهه قلقاً في حلقة من الصراع الذي لم يستطع الخروج منه . . ان حياته بالأمس ، تختلف اختلافاً كلياً عن حياته بالحمامة واللفة التي شددت إليه أنظار الآخرين ومضايقاتهم .

وكانت لهذه البدايات ملحقات أخرى عززت نفوره من دراسة الدين ورجال الدين ، والدراسة في المعهد عموماً : فمدرس الأدب الذي أحضره المعهد خصيصاً من دمشق لم يكن الا مجرد نجار . . (٤) فأعني من تدريس الأدب العربي ، وأنيطت به مهمة المحافظة على خزائن المؤمن ، وقال عنه أحد الطلاب في ذلك " كان شيئاً قيماً على غذاء عقولنا ، فأصبح الآن قيماً على غذاء بطوننا " (٥)

كانت لفته جميلة من الكاتب ، إذ جعل سامي يقضي معظم ساعات فراغه في مكتبة المعهد التي كانت ترد بها عشرات الكتب : عربية وأجنبية ، وأن هذه المكتبة ستثقفه أكثر مما سيتقنه المعلمون ، كما جعل صديقه " رفوق " يلازمه في المكتبة ، ويكاد لا يفصل عنه ، فيتبادلان الرأي فيما يقرآن . . (٦) ولم تكن هذه اللفتة عبثاً ، فهي عبارة عن مقدمات النتيجة حتمية . . ما هي هذه النتيجة ؟ وإلى أي مدى وفق بالتعبير عنها ؟ هذا ما سنراه في طريق الحكمة إلى الحل .

لم يكنف الكاتب بسرد الأحداث المتعلقة بسامي ، بل تناول كذلك حياة الطلاب في المعهد الديني ، فوصف لنا حياتهم الداخلية ، وما يمكن أن يحدث بينهم من شذوذ جنسي (٧) ورغبة ملحة في مشاهدة الفتاة من خلال نافذة المعهد ، والذخاب إلى السينما بعد خلع الجبة والعمدة ، بالإضافة إلى استغلال الكذب من أجل كل هذه الأمور . . (٨)

كان هذا التمهيد المنهجي لإعلان التمرد والعصيان طريقاً إلى تعميق هوة الخلاف بين سامي ووالده ، وطريقاً أكيدا إلى اتخاذ القرار المناسب الذي لا يتلائم ورغبات الوالد ، الذي لم

١	الخندق الغميق ، ص : ٢٨
٢	نفسها ص : ٣٥ و ٣٦ و ٣٧
٣	ص : ٣٥ =
٤	ص : ٤٣ =
٥	ص : ٤٤ =
٦	ص : ٤٠ =
٧	ص : ٤٨ =
٨	ص : ٤٧ و ٥٢ =

ينس أن يهينه ويتهمه بالدخول وراء القرآن منه ، عندما يعلم أنه خلع العجة والعمه من أجل مرافقته بعض الفتية من طلاب المعهد الى السجناء . (١) الأمر الذي جعل " سامي " أن يتحرك في قناعة تامه ، ويعمل بصمت وعزم على أن يخلع تاج العرب - برأى والده - عن رأسه . لم يترك الكاتب " سامي " وحيدا في منطلقاته ، بل أوجد له صديقا يأنس اليه ، ويلزمه في المعهد وخارجه . ولكن ، الى متى ستظل هذه الملازمة قائمة بينهما ، وما هو الدور الذي سيلعبه رفيق في حياة سامي ان وجد ؟

لم يكن رفيق الصديق الوحيد الذي تعرف عليه سامي ، بل استطاع أن يتعرف على " عزيز " حيث قرأ اسمه في مجلة مصرية تحت عنوان قصه مترجمة عن الفرنسيه . (٢) وسامسي يعرف الفرنسيه - وان كان الكاتب لم يذكر لنا كيف تعلمها ، حيث ادخله المعهد الديني بدون مقدمات تفسيريه لهذا الأمر - لذلك نرى ان اختيار سامي لأصدقائه كان مبنيا على أسس متينه مرتبطة بترجماته الشخصية . فهو يحب الترجمة عن اللغة الفرنسيه بالذات ، ولا شك ان صداقة عزيز تفوده في هذا المعنى ، وهذا ما حدث فعلا ، لقد شجعه عزيز على أن يترجم بعض القصص ، ووعده بأن يتوسط له كي ينشرها في تلك المجلة المصريه .

وعلى الرغم من أن عزيز هذا كان يكبره بعشر سنوات على الأقل ، فقد جعله حب الأثر الذي يجمع بينهما يشعر بأنه ينتمي الى جيل صديقه ، أو أن صديقه ينتمي الى جيله هو . (٣) من هنا نرى أن حبكة القصة تتجه اتجاها آخر ، بالإضافة الى اتجاهاتها السابقه ، التي تجتمع مما فتكون نهرا واحدا من مجموعة هذه الفروع التي تنتهي في مصب واحد يتمثل في حبكة الرواية الرئيسييه . وهذا الاتجاه لا يقلل من قيمة هذه الروايه أو يعتبر ضعفا فسي في بنائها الفني ، فالعكس هو الصحيح ، لأن هذه الاتجاهات المتغيرة ، والتي تلتقي معا في مسلك رئيسي ، تعطي الكاتب القدرة على طرح مجموعة قضايا ومعالجتها ، لا تقيد به بقضييه واحده . وهذا ما قصده سهيل ادرسر ، من كتابة رواية " الخندق العميق " الذي يعالج فيها قضية شعب كامل ما يظالها أفراد أسرة الخندق العميق ، وأصداقا البطل ، لأن كل فرد منهم يمثل اتجاها معينا ، لذلك نرى أن الشخصيات في هذه الرواية مدروسة دراسة منطقية حتى تؤدي ادوارها المطالوية منها خير تأدية ، لذلك نرى بعض الأدوار قصيره جدا ، وأدوارا أخرى تستد امتداد الزمن التاريخي لهذه الرواية . صداقة " عزيز " مثلا لم تطل ، فقد اختصر دوره بالمرض الذي لم يتركه الا جثه عامدة ، بينما بقي دور " رفيق " حتى المرحلة الأخيره من مراحل الحكه القصصيه .

ان الكاتب قد أنهى عقدة الصداقة بين عزيز وسامي بكتابة قطعه رثاء صداقة بعث بها سامي الى المجلة التي كانت تنشر ترجمات صديقه الراحل ، ولكن أثر الصداقه لم ينته ، بل

١ - الخندق العميق ، ص : ٥١  
٢ - نفسها ، ص : ٥٤  
٣ - ، ص : ٥٥

لازم سامي في قراراته وترجماته الفرنسية ، وخصوصا بعد زيارة سامي الأخير له ، حيث طلب منه أن يقرأ له بعض الصفحات من رواية فرنسية كانت الى جانب سيره ، وكان عنوانها " مولن الكبير " ومؤلفها " آلان - فورنيه " الأمر الذي دفع سامي الى ترجمة هذه القصة استجابة لرغبة صديقه الراحل . . (١)

كانت حياة سامي في المعهد الديني حياة صراع مستمر بين الجديد من الأدب

والقديم من العلوم الدينية ، فكان يدرس القديم ويرضى به ولكنه ينتصر على هذا الصراع ، الذي كان يعايشه ، بالمطالعات الأدبية من عربية وفرنسية ، وباختيار زمالة الأدب على زمالة الدين لمواجهة الحياة الحقة التي يتوق اليها الفكر الواعي حتى تكتمل جوانب الصورة للمجتمع الذي نشأ فيه ، لذلك نرى ان الكاتب دفع بطل روايته في تجربة الحياة خارج المعهد الديني ، ليختبر أثر دراسة الدين على نفسه ، هل استطاعت دراسة الدين أن تجنبه المزالق العاطفية التي يفتقد فيها الشباب في بداية تفهمهم للحياة ؟ كيف أوجد له الكاتب هذه التجربة ؟؟ هنا تبدأ قمة الحكمة الرئيسية في الرواية . . كيف تدرج اليها وكيف حلها ؟؟

تبدأ قمة حكمة الرواية مع بداية العطلة الصيفية التي استغرقت ثلاثة أشهر ، متى النفس بأن ينصرف فيها الى المطالعة والى الماضي في ترجمة الرواية الفرنسية التي كان يأمل أن ينجزها في آخر الصيف . . (٢) ، ولكن الى أى مدى صدق حدسه هذا ؟

ان والده قد استأجر بيتا في قرية " المريجيات " بدلا من قرية " عيناب " (٣) لصعوبة المواصلات فيها ، ولا بد من التعرف على أهل تلك القرية ، فهل هناك من مفاجآت أو هي كغيرها من القرى اللبنانية ؟؟ ان قرية عيناب " لم تترك أثرا في نفوس أفراد الأسرة ، ولم يتصالحوا أحدهم مع قضايا جديدة !

وحين بلغوا المصيف الجديد وقف " سامي " على شرفة البيت الجديد ليبري أمام

ناظره سهل البقاع بساطا في مئة لون تشبهها العين فلا ترتوى ، فتشعر بندأوة منعشه بعثت في نفسه حينما الى الانطلاق في حياة لا تحددها قيود الزمان والمكان . . (٤)

وسمع صوتها . . صوت فتاة ، ورأها قريبة منه ، على شرفة الطابق الأعلى ، رأى

عشرين كبيرتين سوداوين تنظران اليه ، ولا يلبث رأس صاحبتهم ذو الشعر الطويل الأسود أن ينحني انحناءة يسيره ، كأنما ليحييه ، فرد التحية ، وهو يشعر بأن صدره بدأ يخفق ، وبأن

وجنتيه تلتهبان بالدم . . (٥) فكان صوتها أشبه بالمغناطيس ، جذب ناظره عن مشاهد الطبيعة التي تزين وادي البقاع ، وشغل قلبه بالتفكير بصاحبة هذا الوجه الجميل ، وذات الشعر الأسود

الطويل . . انه لأول مرة بعد عام - على الأقل - يجد نفسه قريبا من الفتاة ، من تكون همسه

الفتاة ؟

- |     |                        |
|-----|------------------------|
| ١ - | الخندق العميق ، ص : ٥٩ |
| ٢ - | نفسها ، ص : ٦٠         |
| ٣ - | = ، ص : ٦٠             |
| ٤ - | = ، ص : ٦١             |
| ٥ - | = ، ص : ٦١             |

وابتداً خياله يتلاعب بهواطفه .. انه يتمنى أن يعرف كل شيء عنها ، لقد نسسي  
 "مولن الكبير" ولم ير من جمال وادء، الإقاع شيئاً ، انها هي التي تملك عليه كل تفكيره ...  
 ولكن الجبة والعممة .. ماذا يصنع بهما ؟؟ وماذا سيكون موقفها منه ومن مشيخته ؟؟

وفي اليوم الثاني عرف ما كان يتوق أن يعرفه عنها .. انها ابنة صاحب الملك الذى  
 تشغله عائلته ، وقد حازت أخيراً على شهادة الكفاءة الذى هو كان صفتها لولم  
 يصبح شيخاً (١) ولكن كلمة شيخ هذه آثمة ، ماذا عساها أن تقول عنه وهو يرتدى الجبة والعممة؟  
 لا بد من معرفة رأيها ، وهذا جل ما تبتغيه نفسه .. (٢)

وبكر في النهوض صباح اليوم التالي ، وهبط الى الغابة القريبة ، واختار شجرة  
 ظليلة تجرى على مقربة منها ساقية صغيرة ، وجلس تحتها يستعرض أحداث الأمس قبل أن يشرح  
 في الترجمة اذا هو استطاع .. (٣) لأن تفكيره غارق بالوصول الى أعماق تلك "السميا" التي  
 ملكت عليه مسالك تفكيره .. ماذا يصنع ؟ هل ستسمح له الظروف بلقاء ؟؟ ان شقيقته هدى  
 لا تستطيع أن تخرج من البيت وحدها ، فهل تستطيع "سميا" أن تفعل ذلك ؟ ولم لا ؟  
 فتاة القرية لا تأبى الخروج ولا تخافه ، ومن الطبيعي جداً أن تخرج وتتنزه ؟

وانتبه من تفكيره على وجودها أمامه ، برفقة أخيها سميح ، الذى يصغرها بثلاث  
 سنوات ، فأحس بأنه ينهض واقفاً على غير ما اراده ويرد على تحيتها ، وكانت سميا تمسك  
 بهندقية عيد ، وترتدى بنظالا أزرق تحت قميص أحمر ، وكان شعرها الأسود الطويل مضموماً  
 في جديد واحد استرسلت الى خلف ، ورأها في وجه جديد لا يعرفه .. (٤)

كانت لفتة جيدة من الكاتب في وصفه زى سميا الذى يشير الى تحررها ، ويعطياً  
 فكرة واضحة عن مدى الحرية التي تتمتع بها هذه الفئة من أصحاب الاملاك والاطيان ، لأن المادة  
 قادرة على أن تدفع صاحبها في حركة التطور والتقدم السريعين .. فسميا فتاة تختلف عن هدى ،  
 التي لا يسمح لها بمغادرة البيت ، فكيف يسمح لها ان ترتدى زى الرجال ؟

ان سميا لم تخف أن تحدث سامي ، أو تقف الى جانبه .. انها لم تفقد شقيقتها  
 في الغابة ، بل هي تعمدت هذا القول حتى يكون فاتحة حديث بينهما ، ولكنها أصرت بعدم  
 مراقبته لها ، لأنه شيخ .. والشيخ لا يليق به أن يسير مع الفتاة ؟

الجبة ، العممة ، شيخ ، كلها الفاظ كان يهواها ويحترمها ، ولكنه الآن يشعر  
 .. وللغرة الاولى منذ ارتداهما - بالكره والنفور منها .. ان سميا تخافه .. لان بل هي تخاف  
 جيبته وعمامته .. (٥)

- |   |    |                       |
|---|----|-----------------------|
| ١ | -- | الخدق الغميق ، ص : ٦٢ |
| ٢ | -- | نفسها ، ص : ٦٣        |
| ٣ | -- | = ، ص : ٦٣ و ٦٤       |
| ٤ | -- | = ، ص : ٦٤            |
| ٥ | -- | = ، ص : ٦٥            |

وتتأزم العقده ، وتمير في طريقها الى الحل ، وحلها لا يكون الا عن طريق لقاء حب دائم ، يجمع القلبين في بوتقة واحدة ، هل كان لهما هذا اللقاء ، أو اتجهت العقدة كعادتها الى كل منطلق ؟؟ الى اتجاه آخر ؟؟ ان الصفحات التالية من القصة تلقي ضوءاً واضحاً على معالمها وتتدرج بها الى الحل . ان احسامه الآن يختلف عما كان عليه بالأمس الفريب . ان سحر الحب الذي ابتدأ ينساب عبر قلبه أخذ يغير مفاهيم الاشياء امامه ، وجعله قابلاً للثورة ضد جميع القوى الخارجية التي تحاول أن تفرض عليه السجن في ظلم التقاليد والعادات ، ومن أجل رضا أب لا يهيمه من الدنيا سوى جماعة الدروايش الذين لا يفقهون من أمور الدين والدنيا شيئاً ، لا لن يرضى أن يكون لعبة يتلهى بها هذا الوالد .

استناداً الى منطلقات الرواية ، نجد أن سامي انطلق من نقطة ترضي والده ، ونراه بعد فترة تجربة عملية في المعهد ، ينقلب ضد والده وقيم والده . وبدلاً من المحبة التي كانت تربط بينهما في بداية المشوار، أصبح التباعد أساس العلاقة بينهما ، كما أصبح الضيق والقلق أساس حياته داخل العمارة وتحت الجبهة . وزاده هذا التحول نفورا من الدروس التي كان يتلقاها داخل المعهد بشكل لا يستسيغها الطالب ولا المدرس . ومن هنا نجد أن سامي انطلق الى مشاهل الثقافة العربية عن طريق مصادرها المطبوعة ، كما انطلق الى ثقافته الفرنسية ليشبع نهمه الذي كان في أشد الثورة والاشمئزاز من الدروس الدينية والأدبية التي كان يتلقاها في المعهد، فرجال الدين في المعهد ، ملتزمون ، لا يخرجون عن نطاق التقليد قيد شعره ؛ وأستاذ الأدب لا يخرج عن كونه نجاراً يأتي من دمشق ليمتهن صنعة الأدب بدلاً من صنعة النجارة . ولولا استبداله بأستاذ آخر - من دمشق أيضاً - لكنت الظامه الكبرى ، ولما اندفع الطلاب الا لكراعية الأدب العربي ، ولكن الظروف سمحت بإيجاد مدرس أدب عربي له أسلوب رائع ، حجب الكثير من الطلاب بدرس الأدب واللغة بعد أن كان يهتفون ويهلمنون مدرسه .

ولنا وقفه هنا ، ولعل في هذه الوقفة نستطيع ان نفهم ظاهرة "دمشق" التي ذكرت في الرواية أكثر من مرة . وكالخياط (٢) كان من دمشق ، ومدرس الأدب الأول الذي يمتهن النجارة ، من دمشق أيضاً (٣) . ومدرس الأدب البديل كان من دمشق كذلك . (٤) الا يعني هذا ان لبنان في تلك الحقبة من التاريخ كان يفتقر الى الخياطين والمدرسين ؟؟ وربما يكون هذا الافتراض خاطئاً ، لأن لبنان كان سبق البلاد العربية الى ثقافته الغربية والحضارة ، ولا يمكن أن يكون متأخراً من هذه النواحي الفنية والأدبية ، انما الافتراض الأرجح ان المعهد الديني كان مرتبطاً ارتباطاً مباشراً بالأمور الدينية ، ودمشق كانت وما زالت محسوبة على الاسلام ، لأن نظام

٢ - الخندق العميق ص : ٢٥

٣ - نفسها ص : ٤٣

٤ - " ص : ٤٤

لبنان نظام دائمي ، والمفروض ان يكون مدرس الأدب في المعهد الديني مسلما أولا وشيخا ثانيا ، ولبنان لا يزال حتى الآن يستورد المشايخ من دمشق والقاهرة ، لأن للدروشه أصول في تاسك العاصمةين العريتين ،

أصبح سامي يكره الدروشه " وتاج العرب " ٠٠ فالتاج يضيق على رأسه ، ويكاد يحطم هذا الرأس بعدم القناعة والأمل التي تدرس في المعهد ٠٠ لذلك نراه يبحث عن متنفس لهذا الضيق ، ليجده في الثقافة الغربية ، ومشاهدة الأفلام السينمائية من جهة ، وبالحب الذي سقط عليه فجأة ، من الطابق العلوي الكائن فوق شقتهم التي شغلها ذويه في المصيف ، من جهة ثانية .

جميع هذه الأمور ؛ من ثقافته الغربية ، وأفلام سينمائية ، والحب ، يرفضها وضعه الديني الذي يرتدى زيّه ، ولا يقره عليها والده ، رجل الدين ، المتمسك بتقاليد الاسلام الموروثة ، والتي لا تتعدى الحلقات الأسبوعية ، ودعوة العشاء الشهيرة لجماعة الدروشه التي تقابلها بالاحترام والتقدير ٠٠ ولعل هذه الجماعة وهذه الدروشه لها أصل في حياة والد سامي ، كما هي الحال في حياته الآن ٠ وقد يكون والد سامي يمثل الدور الذي مثله والده معه في طفولته فأحب أن يكون سامي البديل الوحيد له من اولاده ، مثلما هو مثل والده ، وأصبح امام دروشه وجماعة ، لذلك هو رفض الحب في حياة ابنه ، فكان موقفه الموثب والثائر ، لاعتباره أن الحب عار عليه علي عمته أن يحب ٠٠ (١) انه يحكم عليه من خلال الجبة والعمه ، ونسي انه انسان ، بعمس الورود ، يحتاج الى الحنان والعطف والتوجيه السليم ، لا الى التهديد والوعيد اللذان زادا من ارادته وتصميمه بغية التحدي الذي بات همه الوحيد في هذه الدنيا ٠٠ لن يتخلى عن حبه ولكنه قد يتخلى عن جيته وعمامته

بدافع الحب الذي أثار ظلام وجود سامي ، تفجرت الثورة في نفسه على كل من يحاول أن يحد من انطلاقه نحو المعرفة والحرية ، والحياة الانسانية السوية ٠٠ ان حب سميا شده الى الحياة التي يتمناها كل مراهق في عمره ٠٠ ولن يسمع نداً والده وامانته من أجل ضياع هذا الحب اذن بما موقف سامي من هذه الأمور ؟ هل سيستجيب الى نداً والده أو الى نداً عقله وقلبه ؟؟ وما مدى تأثير الحب على حياته المستقبلية ؟ هل سيكون " نوزي " بوشايتها قادرا على أن يبند سامي عن سميا ؟ وما موقفه مقابل موقف أخيه المعارض ؟؟

كانت الرسائل وسيلة أخذ وعطاء بين سامي وسميا ٠٠ وكانت الغابة مكان سرّ لقاؤهما ٠٠ وليس فيها شيء بالغ الأهمية ، ومشاهدة شاب وشابة في الغابة ، وفي القرية شيء لا يسترعي الانتباه وان كان فيه نوع من الجدل ، وهذا لا يعني اعلان الثورة الحقيقية في نفس سامي على التقاليد والعرف والعاده ، بل نجد أن سهيل ادريس قد صور لنا هذه الثورة العارمة بان دفاع سامي نحو " درابزين الشرفه " يتخطى الارتفاع الذي يحجز عنه سميا ، وما هي الالحظه حتى اجتاز حاجز الشرفه العليا ، وكان واقفا أمامها ، داخل بيتها ٠٠ (٢)

والتقيا عن كعب ، وفي غرفة واحدة ، بعيدين عن انظار المارة من أعمال القرية ، لا رقيب كهوزي ، ولا أي فرد من أفراد الأستريون ، لقد ذهبوا جميعا في رحله مقترحه الاسامي الذي رفض مرافقة ذويه ، وسميا التي بقيت وحدهما في البيت ..

انهما معا ، وزال احسا سهما بالخوف ، فاذا بسامي يضم سميا الى صدره ويشدها بين ذراعيه بكل ما في جسمه من شوق اليها ولهفة ، وأحس نهديها الصغيرين القاسيين على صدره .. (١) ولم تكن الجبهة والعممة بقادرتين على منع حدوث مثل هذا اللقاء ، الذي قلب مفاهيم سامي رأيا على عقب .. ان الحب أقوى من الجبهة والعممة ، وأقوى من امانة والد موتهديده .. انه بالحب يتحدى الأشياء كلها .. ولن يكون ضعيفا في اتخاذ القرار الذي يتوقف عليه مصير مستقبله ، ولن ينثني عن رأيه مهما كانت النتائج ..

ومضى الوقت سريعا بين الحبيبين .. دون أن يشعرا به ، ولم ينتبها الا ساعة معما صوت سياره تقف في الخارج ، فاستطلع سامي الخبر فاذا به يرى عبر زجاج السيارة عمامة أبيه .. انه اليوم هو يوم السبت ، وأباه يصعد الى الجبل ظهرا ، فارتبك وأسقط من يده ، فقفز الحاجز الخشبي ليهبط الأرض قبل أن يبلغ والده البيت ، فانكسرت تحت قدمه الخشبه ليهوى الى الأرض وجرح بليغ في رأسه (٢) فافتضح أمره ، وثار تائثره والده الأمر الذي دفعه الى أن يأخذه معه الى حلب ، حتى يحول بينه وبين سميا ..

هنا نرى الأئمة بين الأب وابنه على أشدها ، ولولا الحب لما كان الدين قادرا على هذا التحدي الذي أسقط بيد الوالد ، ولم يستطع أن يفعل شيئا الا ان يعدده عن سميا - ان قدر على هذا - ويحول بين لقاءهما ..

وهنا أيضا نرى موقف فوزي قد تغير ، ومال الى العطف والحنان ، كما نرى أن - شقيقته عدى " تتدخل لأول مرة ، فتهمس في اذنه على أن سميا قد سألت عنه ، وتؤكد حبها له ..

ولم يشر الكاتب هنا الى هدى الا ليجعل الصراع ذا شعبتين ، فسامي يمثل المنطلق الرئيسي ، وهدى تمثل دورا فيه اضافته اضاءة على دور سامي في حلقة صراعه مع التقاليد والعادات البالية ، فيكون الصراع كاملا من ناحيته: في ناحية الابن والابنسة ..

ان الكاتب قد أدخل هدى في معترك هذا الصراع في الوقت المناسب ، وفي الموضوع المناسب .. فهي تخبر سامي ان سميا تحبه وتسال عن صحته ، وكأنه ربط دور الفتاة في الحب ، فجعل جملة شقيقته التي اطلقتها بداية عقدة فرعيه جديدة ، لها جانبها السلبي والايجابي الذي ستظهره أحداث الرواية المستقبلية ..

ويخبرنا الكاتب ان الأب فعلا أجبر سامي على مرافقته الى حلب ، وأثناء تواجدهما في حلب تعلن الحرب العالمية الثانية ، فبتأخر بالعودة الى لبنان يومين ، يرجع ليجد منزل حبيبته سميا مغلقا ، ولم يدر مكان بيتها في بيروت ، فشعر بالحسرة والام ، ولكنه لم يشعر باليأس ،

١ - الخندق العميق ، ص : ٧٨

٢ - نفسها ، ص : ٨٠



فقد منى النفس على أمل اللقاء بها من جديد . . انه لأول مرة يفكر بان هذا الحب الذى يملأ عليه نفسه قد غدا عنصرا عاما من عناصر حياته ، لا يقل أهمية عن درسه ومستقبله . . (١)

وعاد سامي الى المعهد . . عاد الى جو الدرس والرفاق ، واستغرق في المطالعة والترجمه وهو يحس وحشة كبيرة ، ويعيش في شبه عزلة ، فأستوى عليه ذلك الخوف الذى غشي الناس جديدا من الحرب ، فوفقد الطمأنينة ، وغرق في جو من القلق المستمر . .

وحين رجع الى البيت لقضاء نهاية الأسبوع ، شعر أنه بات يكرهه ولا يجد ما كان يجده من الشورى لرؤية أبويه واخوته ، وأصبح لا يتحدث الا بالحديث الضرورى الجاد الاخته هدى التي تقرب منه وتتودد اليه . . (٢)

وابتدأت حبكة الرواية تدور في حلقات مستمرة حول سامي ، وسميا ، والمعهد ، والثورة التي تختزن في نفسه . . ماذا يصنع حتى يخفف من هذا الصراع ؟ ان المشيخة باتت شيئا مقرفا للغاية ، والدراسة في المعهد مملة ، فأستدته من الشيوخ الذين درسوا في الكنائس ، وتلقوا العلم على مشايخ الطرى ، كوالده ، واخترنوا رصيذا كبيرا من الخرافات والأساطير استقوها من الكتب الصفراء (٣) القديمة ، التي كاثت السبب في فصله عن جو الدروس ليخلق لنفسه جوا خاصا يعيش فيه الأدب والمطالعة ، كما أخذ يكتب بعض الأناصيص يستمد احداثها من معين قلبه ، ويجسد حبه في بطالته ، حتى بات يستفد ان يوسع المرء اذا نزل عليه الواقع بتحقيق أحلامه أن يخلق دنيا من الأمانى تحمل له العزاء كله والسأوى . .

لقد تحول سامي الى دراسة الأدب الحقيقي ، بعيدا عن المناهج القديمة التي يتناول بها المعهد ومدرسه . . وكانت من نتيجة هذه المطالعات أن نشرت له تلك المجلد المصرية التي كانت تنشر لصديقه الراحل بعض أناصيصه ، وسهيا تكب اليه معجزة أبعد حدود الاعجاب ، وهي تتيقب رسائله ، وأدرك بعد روح من الزمن أنه سيكون مدينا لها في انطلاقة الأدب التي كان ينشدها . . (٤)

ونرى الكاتب يظهر لنا دور رفيق في حياة سامي ، لأنه الصديق الوحيد الذى التزم بصداقته ، فدوره الآن دور ساعي البريد الذى يحمل اليه رسائل سميا بعد ان أنذره ناظر المعهد على أن مثل هذه الرسائل محرمة هنا ، ولا تسلّم الى أصحابها . .

ان رفيق يعرف حبه وقصته ، ولكنه لم يحمل اليه الرسائل الكثيرة ، فقد انقطعت جوالي ستة أسابيع اشعلت النار في قلب سامي ، الذى بات على لوعة الانتظار . . ولكنها أخيرا كتبت ، ولكنها كتبت من القاهرة ، لأنها تمكث هناك برفقة أبنائها حيث وردهم نيا نعي عمها . . (٥) ولم

- |   |   |                        |
|---|---|------------------------|
| ١ | — | الخندق الغميق ، ص : ٨٩ |
| ٢ | — | نفسها ، ص : ٨٧         |
| ٣ | — | = ، ص : ٩١             |
| ٤ | — | = ، ص : ٩١             |
| ٥ | — | = ، ص : ٩٤             |

تذكر في رسالتها الأخيرة موعد عودتها ، كما انها لم ترد على رسائله الثماني بعد ذلك ، فغرق من جديد في الكتاب ، واتسع أفق مطالباته الأديبية .

كان نفوره من الدراسة المفروضة عليه يشتد ما اشتد ميله الى المطالعة الحرة . . ولكنه عنى على ان يستعد لتقديم امتحان الشهادة الثانوية الحكومية الى جانب دراسته الدينية . . (١) لانها الوسيلة الوحيدة التي تنقذه من الجبلة والعمامة ، وتفتح أمامه باب التزود الفعلي من العلوم الحديثه ، ونجاحه في امتحان هذه الشهادة يعني اول تفرغ فعلي على المشيخة التي عايشها أربع سنوات ، وتفتح أمامه أيضا آفاق عالم جديد يراه في تصوّره ، ويحصل على تجسده حتى يشترك فيه بانطلاق وحرية ، وهذا العالم لن يتجسد الا بالعلم الذي بات يذشده في كل كتاب يفتح نظره عليه في مكتبة المعهد .

وتقف حكمة الرواية عند هذا القدر من السرد القصصي مع نهاية القسم الأول من الرواية حيث كانت تصل الى مرحلة الحل ، فاذا بالكاتب يقرعها الى عقد أخرى تخدم العقده الرئيسي التي تسمى بـ " حياة " سامي " وترافقه في تنقلاته حقيقة كانت أو خيالا .

ونرى أن العقده الرئيسي التي تتحكم بأحداث الرواية جسيمها تنطلق من جديد ، عبر أجواء جديدة ، وأحداث جديدة ، تختلف عن أحداث وأجواء القسم الأول من الرواية ، السدى يحتج تمهيدا لانطلاق العقده الرئيسي نحو الحل . . ففي القسم الأول ، الصراع الصامت الذي كان يتحكم به العرف ، وتتلاعب به أهواء الدين عبر رجاله الذين يؤمنون بحياة التقليد والجمود الذي يبعد أنظار الانسان المتطلع الى الخير والحياة الفاضله الى أفق ضيق أرضه جبلة الشيخ وسماؤه عامته ، وما عدا ذلك مرفوض ، ومخالف للشرع والدين . . ففي هذا القسم بالذات نرى تمسود العادات والتقاليد هي التي تتحكم بإرادة " سامي " وان كانت ميوله الثورية قد ظهرت في سنة ١٩٠٤ ، منذ انطلاقة الأولى ، يوم تحدى نظرات والده ، وتناول الطعام مع أعضاء الجماعة الدينية الذين يحملون بطونهم - مرة كل شهر - الى بيت والده الشيخ الوقور ، فتمسلا بطونهم التي تتحكم بالسنتهم ، وتحول بينهم وبين التفكير في الحياة أفضل واكمل .

ه ه ه

بدأ الكاتب القسم الثاني من رواية الخندق الغميق بنجاح سامي في الشهادة الحكومية . . واعتبر هذا النجاح سقوط الجبلة عن جسده ، والعمة عن رأسه الى الأبد . . (٢) وهذا يتخطى أول عقبة تقف في طريق مستقبله بعد أن التزم بها طوال أربع سنوات ، عسرى خلالها معنى عبودية الالتزام الخاطى بالدين وأهله .

لم يكثر لتحدى والده والحي كله . . لن يكون عبدا لمباركتهم له حين ارتدى الجبلة واعتبر العمة ، أو لثقتهم به واطمئنانهم اليه على حداثة سنة ، وقلة تجربته . . ومهما كان قرار بعض رجال الحي ، فهو يتحدا عم ، ويتحدى جميع القوى الرجعية التي تحاول أن تربطه بمساض دفع ثمنه من راحته الشيء الكثير .

١ - الخندق الغميق ، ص : ٩٥  
٢ - نفسها ، ص : ١٠٩

جعل الكاتب من نجاح سامي اذقة جميلة الى حبيته التي مضى على وجودها في القاهرة ثلاث سنوات ، ولا يعرف عنها الا الشيء القليل ، وكان نجاحه اعاد الى نفسه ذكرى الحبيبة ، فشدته هذه الذكرى للاستغفار عنها ، فهو يعرف بيتها الكائن في منطقة المنارة ببيروت ، وهو أفضل مكان يبدأ فيه السؤال ، ولا بد من العثور على بقايا أخبارها .

ونرى في بداية القسم الثاني ، العودة الى المقدمات في القسم الأول ، لتبسيط الأشواق على النتائج ، حتى تظهر المسالك واضحة بعد أن كان يضلها بعض الغموض ، وتدخل القضايا الغربية لتتحد جسيمها في خدمة القضية الرئيسية ، قضية الصراع بين جيلين : جيل الأبناء ، وجيل الأيتام ، وما يدور في كلهما من القضايا الغربية التي لا تخرج عن نطاق الصراع على اختلاف أنواعه . ويبدأ الصراع الحقيقي بين سامي ووالده ، وهنا تبدأ الحكمة في غاية تأزمها ، وتبدأ في الاستعداد نحو الحل المرجو لها ، وهو النتيجة الحتمية لهذا الصراع . . . فسامي يجد ويجتهد من أجل نجاحه في الشهادة الحكومية ، وسيلة وغاية معا ، وسيلة لتزج الحجة والعملة ، وغاية لانظام دراسته الجامعية التي يتوق اليها .

ان الأب يرفض فكرة ابنه " خلع الحجة والعملة " ، فكيف يوافق على تنفيذ هذه الفكرة ؟ فنثار ، وصفح سامي مرتين ، كان مقابل ذلك القاء العملة على الأرض وحل قماشها ، فوقف الأب . مذهولا ولم يخطر بباله أن يتجرأ هذا الابن العقوق على فعلته . . (١)

ولاحظ سامي الذهول على والده ، فشمع بلحظة ضعف وان دفاع نحوه ، يعتذر عن فعلته ، ولكن الأب لم يستجب لاعتذاره ، فتدخل " فزى " الأخ الأكبر ، ليمسك ذراع أخيه يعطف وحنان . بعد أن كان هو أول من وشى بسامي ، وسبب هذا الأثم بال الذي تخلله الصفع والذهاب .

ان قرار سامي نهائي ، لا رجعة عنه . . ان يعود الى اللغة والعملة ، لذلك فشمس قريته في التدخل ، وعداياه غير مقنعة بهذه المرة ، وسامي صر على دخول إحدى الكليات لانها دراسته الجامعية ، غير أنه لا يرى قراره يتخذ الأب في حرمانه من دفع أقساط الكلية ، الأثر الذي دفعه الى العمل في الجريدة ليوفر بعض ما يكسبه من أجل أقساط الكلية .

وأخذ سامي يكتب بعض القصص ، الأمر الذي شجعه على كتابة قصة عاطفه وانفقت الاذاعة اللبنانية على اذاعتها بصوته الذي سمعته سميا ، ونزلت من الجبل بنا على موعد ضيقه مع سامي عن طريق هاتف الاذاعة وهناك عرف قصة زواجها ، فنثار لكرامته الجريحه ، وبحركة انفعالية تركها ومشى (٢) ولكنه خذل الطريق شعر بخطأ صنيمه . . لماذا لا يحصل منها على الشيء الذي كان يراوده ؟ ثم حال الى بيت من بيوت الدخارة ليعود بعد نصف ساعة ، حيث لفظ حلقه بصحة كبيرة على قارعة الطريق . . (٢)

١ - الخندق الضيق ، ص : ١١١  
٢ - نفسها ، ص : ١١٨ او ١١٩  
٣ - = ، ص : ١٢٠ و ١٢١

لقد وصل الصراع في نفس سامي ، الشيخ " ، الى حد لم يصله من قبل ، ان اندفاعه في طريقه الى بيت من بيوت الدعارة ، اندفاع غير متزن ، ولكنه وصف حقيقي لاندفاعه فسيطي طريق التمرد على كل القيم المتعارف عليها بين الناس ، ولن يعود الى ارتداء الجبة والعممة ، وسيكون له رأى آخر في الحب الذي أخلاص له ، وكانت نهاية هذا الاخلاص الانحراف غير المتوقع ، وكأنه بذلك يقتل الوفاء في نفسه ، ليهوئ حياة الآخرين الذين يرون في الحب جسدا يتوهج ، أو يختبرونه جسدا فقط .

هنا خطأ بالحب خطوة مادية ، لعله ربط بين تقاليد الحياة جميعها ربطا محكما فأخذ ينظر اليه من هذه الزاوية ، فشعر بتمرده على الحب الرخيص . . أين الوفاء الذي تعامدا عليه ؟ انه مجرد الألفاظ ، والحقيقة عكس الألفاظ . . انها تزوجت وتركته يعيش على الأمل ثلاث سنوات طوال ، ولماذا ؟؟ لعلها أدركت أن الجبة والعممة قادرتان على أن تصبغ صاحبهما ببساطه تجعله كسبا هيئا . . فاحساسه بالوفاء جعله ينسحب من حياتها دون أن يحصل على الشيء الذي كان يراوده . . انه يطعن الوفاء لو فعل . . انه لا يختلف عن غيره من دعاة التفضيل والاستفلال وهو الذي بشعر في أعماقه ضد جميع هذه الأمور ، ويثور من أجلها .

وتنتهي قصة حبه ، ويضمها الى صفحات النسيان التي يحاول أن يرصدها لبناء مستقبل أفضل ، فشعر من خلال هذا المنطلق ان شقيقته " هدى " هي التي تحتاج الى عاطفته ، ليقودها في طريق الحب والوفاء .

وتتأزم عقدة القصة من جديد ، ويخبره صديقه " الشيخ رفيع " ان دائرة الأوقاف عينته اماما لمسجد في حيهم ، وانه لم يطاق هذا العمل ، ويود أن يتحرر منه ليجث عن عمل آخر يتباعد به وأسرته بعد موت أبيه . . (١) فاستطاع سامي - عن طريق قريب ثرى - أن يجد له عملا في متجره ، جعله قادرا على أن يتنفس الصداقة ، ويترك زيه الديني وماذنة مسجد الحي ، الأمر الذي شد وأصر الصداقة القديمة ، وضاعفها . . انهما يستشعران لونا من السعادة ، منشأ انهما تحررا معا من ثقل زيهما الديني .

وصلت الصداقة بين رفيع وسامي الى حد لا انفصام بعده . . فرفيع صديق المعهد ، ورسول الغرام ، ورفيع الالتزام ، ومدرس " هدى " درس الرياضيات حيث كان بارعا فيه . (٢) رغم ممارسة والدها طبعا .

وسنا يتجه الصراع ناحية جديدة تتحدى التقاليد والعادات ، وتعطي الفتاة الحريسة في القول والحمل ، ما دام هذا القول ، وهذا العمل لا يتنافيان مع الدين والأخلاق ، والتقاليد شيء ، والدين شيء آخر .

وأخذ الصراع لونا جديدا . . فالجبة والعممة قد انتهى امرهما . . والصراع الآن حول تحرير " هدى " من التقاليد التي تحول بينها وبين رأيتها في حياتها المستقبلية ، (٣) وتحرم عليها

١ - الخندق الحقيقي ، ص : ١٢٢

٢ - نفسها ، ص : ١٢٤

٣ - ص : ١٢٠

أن تكشف عن وجهها أمام أي شاب من غير الأهل ، أشبه بالسلعة النادرة المحفوظة في صناديق الأمان التي لا يقوى على فتحها اللصوص ، وهي كذلك ، تنتظر مصيرها الذي يقرره والدها ، ولكنها تغلبت على هذا المصير بالتفافها حول أخيها " سامي " وتنفيذ ما يطالبه منها ، وهو بذلك يشجعها على الثورة والتفرد حتى يوجه للوالد لعنة ثانية ، تؤكد له حقيقة عمق رأيه في الحياة الحاضرة .

بعد أن وصلت العقدة الرئيسية إلى أولى تازمها ، ابتداء الكاتب يحتمها حلا منطقيًا حيث حصرها في الأب ، والأم ، والأخ ، والأخت ، وسامي تاركًا الأخ الصغير " وسيم " يراقب أحداث هذا الصراع الذي لا بد أن يترك في نفسه أثرًا ما . . . إذن ، كيف استطاع سهيل ادريس أن يحل مشاكل أفراد هذه الأسرة حلا يميل إلى التجدد ، بعيدًا عن العرف والعادة التي اعتادت عليهما هذه الأسرة ، التي تمثل مجموعة الأسر في كل البلاد العربية في تلك الفترة الزمنية ؟

إن الكاتب ينبئنا من سرد الرواية أن سامي مرتبطًا مستقبلاً بالدراسة الجامعية ، فمهبط لذلك أكثر من مرة ، وهو بانتظار أن ينجح في الشهادة الحكومية التي تخوله حق الانتخاب في الخارج ليخطو خطوة جديدة ، بعيدة كل البعد عن الحياة والثقافة التي عايشها .

وفوزي ، نتيجة لوشاياته المتكررة على سامي ، ثم على سامي وهدي ، نراه ينصرف في دارين لا أخلاقية ، فيقتضي معظم أوقاته في البارات يحتسي المشروبات الروحية ، برفقة بنات الهوى ، ويعود أكثر من مرة إلى البيت في حالة سكر شديد ، ثم يدخله التجربة من أجل راقصه ، فيبيت في المخفر ، فيأتي " سامي " ويرافقه إلى البيت ليضمد جرحه بحطاف وحنان . . . وهنا يشعر فوزي بالندم ، فيعائق أخاه ، ويعتذر عما سبب للجديع من متاهب وهموم . . . (١)

وتنتهي عقدة فوزي بعودته إلى الطريق السوي ، واستجابته إلى آراء أخيه ، وإقلاعه عن دعايته ومخازيه ، أي انتصر عنصر الخير على عنصر الشر . . . (٢)

وقد حرص سهيل ادريس على إبراز القيم التي كان يؤمن بها من خلال الإطار الأسري وهو ينجح فيها ، حين لا ينص صراحة على ذلك ، مع كثرة حرصه على تحديد مقاصده ، ولكنها يتيح لنا الفهم والاستنتاج حين يصور لنا شخصية فؤاد الذي نشأ معه في بيت واحد ، إلا أنه استقل بحياته مبكرًا ، حيث أقبل على الحياة بمتعها المادية .

وتحل عقدة الأب الرجعي المتمتت بزواجه من امرأة ثانية من حلب ، وتدخل أفراد الأسرة ، والأم خصوصًا (٣) ، الأمر الذي دفعهم إلى عدم احترامه ولومه ، والوقوف ضده . . . وهنا لفحة جريته من سهيل ادريس بالنسبة لرجال الدين ، حيث يصورهم لنا صورًا تنبع من واقعهم . . . لهم مطلق الحرية فيما يفعلون . . . مزاجون ، فهذا رجل كبير السن وزوجته فتاة صغيرة يعمر

١ - الخندق العميق ، ص : ١٥١

٢ - المصدر نفسه ، ص : ١٥١

٣ - الخندق العميق ، ص : ١٥٢

ابنته ، وهناك من يتزوج والده ورابعه بحجة الشرح الذي يبيح لهم هذا الزواج ، ناسين أو متناسين أن الشرع يقيد هذا الزواج بالعدل الذي لا يستطيعون عليه .

وتنتصر ثورة افراد الأسرة على الأب ، فيستجيب لرأيهم ، ويطلق زوجته الجديدة ، ويعود الى أسرته من جديد ، ولكن بهمة ضعيفة بعد هذه النكسة ، والتشجيع ، يصاب بمرض الفالج ، ثم يموت . (١)

أما عقدة هدى ، فهي تصب "فريق" وسلمي ينشئ هذا الحب ، ويرعاه ، بعد أن تعلن تمردها على الحجاب ، وهناك أمام المدرسة رفعت عن رأسها الحجاب ، تذكرت سامي بخماته . . . وتنتهي عقدة هدى بالزواج من رفوسق . . .

وسلمي ، نقله الكاتب من جوه العربي الى الجوالفريقي ، (٢) ليمارس حرياته هناك ، ليبدأ من جديد . . . ولنا عودة اليه عندما نلحق به الى باريس من خلال الحي الذي اختاره هناك "الحي اللاتيني" .

لقد اتجه سهيل ادريس في كتابة هذه الرواية لدراسة الانسان بوصفه نموذجاً لطبقة من الطبقات الاجتماعية على اختلافها ، فنصّر لنا جيلاً من أجيال الماضي الذي عاش على التزمت والتقاليد التي لم تستطع أن تؤثر في أبناء الجيل الجديد ، جيل الأبناء ، حيث أعطى الصراع دوراً كبيراً ، فتناول جميع الأفكار والخواطر في صراع خير الانسان مع شره بوحى من الايمان الصحيح ومستقبل هذه الأمة ، الذي حرص الأبناء عليه ، فكان نصراً لهم وانهمزما لجيل آبائهم .

ان سهيل ادريس لا يسوق أفكاره وقضاياها سوقاً منفصلاً عن محيط بيئته ، بل ممثلاً في الأشخاص الذين عاشوا في "الخدق الغميق" وعاشوه ، لأن الأفكار تحيا في الأشخاص ، أو تحيا الأشخاص بها وسط مجموعة من القيم الانسانية التي يظهر فيها الوعي الفردي الذي مثله "سلمي" متفاعلاً مع مبادئه التي حفرت هذا الخندق الغميق ، وردت فيه كل ما اعترض سير الانسان في تطلعاته المستقبلية .

واستطاع سهيل ادريس أيضاً ، أن يكشف النقاب عن الرواسب الخسيسة في نفس الرجال من نوعية والد سامي ، رجل الدين ، الذي يخاف الله ويعمل على رضائه الى حد التزمت عندما جعله وبيته في غليان بعودته من حلب ليفاجي زوجته وأولاده بخبر زواجه من امرأة ثانية في حلب ، فأقام الدنيا وأقعدها في نفس الزوجه ، كما كان لهذا الخبر أثره على نفوس اولاده ، فوقفوا ضده وتوعدوه ، فانعكست الثورة على الأب وانتهت بتراجعها ، ثم باصابتها بمرض الفالج الذي أقدمه وسبب وفاته . (٣)

وإذا نظرنا الى الحب في هذه الرواية ، نراه لم يكن ذا فائدة ، ويمكن الاستغناء عنه ، ولكن كان من الممكن ان يستغل هذا الموضوع في معالجة مشاكل الزواج بين الطوائف في لبنان ،

١ -- الخندق الغميق ، ص : ١٦٣

٢ -- نفسها ، ص : ١٧٠

٣ -- مثل هذه الحوادث ، وردت تصويراً لنقله اجتماعية واضحة في إحدى مدن الريفي المصري في مستهل هذا القرن ، فقد صور طه حسين في رواية شجرة البؤس مثل تلك العلاقة المشوّهة بين جيل الآباء الذي يمثل الماضي وجيل الأبناء الذي يحاول أن يتكيف مع الحاضر في مستهل هذا القرن العشرين .  
لزيد من التفاصيل راجع الرواية . . .

ولكن الكاتب اكتفى بالعواطف والانفعالات الشخصية التي لم يكن لها أى أثر على أحداث القصة اللهم الا اذا كانت قصة حب عمدي مرتبطاً بتلك القضية ، حيث جعل لحب شقيقه " سامي " نهاية منطقية ، عكس النهاية التي كانت عليه قصة حب سامي ، فيخرج بذلك على التقاليد التي تحدّر على الزناة المسلمة مجالسة أو مكالمة أى فتى لا يمت إليها بصلة القرى ، وكان هذا الحب نوعاً مسنن التحدى الذى ينسجم مع موضوع الرواية القائم على التحدى في جميع مراحلها .

وإذا نظرنا الى اسلوب العرض ، نرى الكاتب في القسم الثاني يختلف عما كان عليه في القسم الأول .

ففي القسم الأول كان السرد منطقياً ، والكاتب الذى يؤديه ، الا أننا نراه في القسم الثاني ينتقل السرد من لسانه الى لسان هدى دون تبرير لهذا الانتقال ، كما انه لم يصف لنا الغاية التي كان يقصدها من وراءه " ويخيّل للقارىء ان بقية القسم الثاني سيكون بلسان هدى ، ولكنه يفاجأ بعودة الكاتب الى سرد الأحداث من جديد .

ان الحياة الكامنه في فكر الانسان وفي عقله ، وحتى في خياله وأرادته لا تعرف الحدود المرسومة ، لأنها قادرة على أن تتخطى كل شيء أمامها ، تتخطى المجهول الى المعلوم ، وتتحدى الانغلاق الى الانطلاق الذى لا يقيم أى وزن لائى عمل لا يتفق وارادة الحياة ، ولا تهتم بأية قداسة غير قداستها ، لذلك تأبى الحياة علينا السكون والاستكان ، وتفرض علينا الصراع فرضاً ما دمننا لاعمين عن جوهر حقائقها بالقشور التي تقود الى سجن النفس وعذاب الضمير ، وتمرد العادات والتقاليد التي حفرت خندقاً واسعاً في وجه تقدم الأمم ، ولكن الحياة الحققة ، والعلم الواعي ، والانسان المتشوق الى الحرية والانطلاق قد تجمعوا جميعاً في نفس وذات " سامي " فانتصر في مسيرته ، وردم الخندق العميق ، ليعيش في حي جديد ، هو الحي اللاتيني في باريس ، ولكن الى أى مدى لامته الحياة هناك وما أثر الخندق العميق في نفسه على الحي اللاتيني ؟ هذا ما سنراه في روايته الثانية : الحي اللاتيني .

البحث الثاني

الحسي اللاتيني (١)

هي الرواية الاولى التي كتبها سهيل ادريس بعد عودته من فرنسا .

١- زمانها : بين سنة ١٩٤٩ وسنة ١٩٥٣ م اي بعد نكبة فلسطين بسنة واحدة ، تلك النكبة التي دفع ثمنها شعب بأسره ، تشرد عن أرضه ، بعد أن لعبت بصير أبنائه قوى الاستعمار والرجعية مجتمعة ، لتقيم على أرض فلسطين العربية كيانا للصهيونية التي عرّفت كرفس تتحكم بمصائر الشعوب عن طريق تغلغل نفوذها عبر السلطات الشريفة والاميركية الحاكمه . ونرى في هذه الفترة التاريخية بداية الاحساس الوطني الجماعي ، أو اليقظة الكبرى لهذا الاحساس الذي ألهمته نكبة فلسطين وهجرة أهلها غربا من الموت المتحد ورضا الصهاينة والمستعمرين الذين أوجدوا هذه المنظمة الاجرامية في قلب الامة العربية لحماية مصالحهم وأنظمتهم التي تتمثل في القوى العربية الرجعية ، وكان لهذه القوى الرجعية اكبر الأثر على تشريد شعب فلسطين من على أرضه .

بقدر ايجابيه هذا المأساة بالنسبة لمؤسسي عمارة الصهاينة كانت لها أبعاد سلبية بالنسبة للمستعمرين كلهم ، حيث أيقظت الشعور العربي ، وأوجدت حركات تحررية استطاعت مع الأيام أن تقلب نظم الحكم الرجعية ، كما كانت الحروب الاربعه (٢) بين العرب والصهاينة من نتائج المأساة ذاتها .

٢- مكانها : عقل طالب عربي ، سافر من لبنان الى باريس ، تذوق الحياة المتفتحة المتحررة ، اذا قيست بالحياة هناك في لبنان ، حيث التقاليد والعادات كانت تتحكم بالنفوس ، وتلغي حرية الأفراد ضمن حرية الجماعه ، ففي باريس توهمه الحياة في بادئ الأمر ، ويرى من خلالها أشياء لم يرها في وطنه ، وخصوصا الأشياء التي تدور حول المرأة ، وقد تقلب مفاهيمه نحوها وهي التي عرفها في شرقه فعرف الخوف والحرمان ، وهذه هي الحقيقة الاولى التي واجهها في الأسابيع الاولى من حياته في باريس ، فهو وان كان مثقلا بهجوم الدرامه وتحصيلها العالي الآن قلبه كان مثقلا بالكبت والشذوذ والانطواء ، فأدرك أن حياته لن تسير في مجراها الطبيعي الذي أتى من أجله إلا بعد أن يتخلص من عقدة المرأة التي تسيطر على كل أحاسيسه ، فكانت باريس حقل اختباره الذي أنبت هذه الراية .

٣- أشخاصها وأحداثها : الطالب العربي ، أي طالب عربي ، وهو الشخصية

الرئيسية في هذه الرواية ، وتقابلها الفتاة الفرنسية ، وهي "جانين مونترو" وأمه ، وتبرز جبهتها،

١ - نشرتها دار العلم للملايين طبعه اولى سنة ١٩٥٣ ، ونشرتها دار الآداب طبعه سادسه سنة ١٩٧٣ بيروت .

٢ - حرب سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ و سنة ١٩٦٧ وسنة ١٩٧٢م



وناهده وشقيقته ، وفتاة السينما وليليان ومارغريت ، وأصدقائه الطالبه العرب ، الذين يمثلون الشخصيات الجانبية غير ذى أثر فقال ، اللهم الا في بعض القضايا الوطنية أو الاجتماعية التي تظهر امامه اكثر وضوحا ، وتشده في طريق الحياة الجديدة ، لعماء يتأقلم بسرعة ، وتصبح نظرتهم للأور نظرة واقعية .

وأحداثها ، تتناول حياة الطالب العربي الذي يترك وطنه العربي ويعيش في وطن غريب عن وطنه كل الغرابه في التقاليد والعادات والقيم ، وظروف الحياة التي هي عكسية بالنسبة لحياته هناك في وطنه .

ونرى بطاننا يتحرك في بداية رحلته عن طريق تفكيره الذي ينقله عبر نظراته القديمه ، ويخرجته الى منطلق جديد يهاهه في بداية الأمر ، ولكنه سرعان ما يعتاد عليه فيتمتته بعد أن يتأقلم والحياة الغربية ، يتحرك في عمليات صيد العذارى ، فيفشل في المحاولة الأولى ، وينجح في الثانية ، ويسرق في المرة الثالثة ، ويقع في الحب في المرة الرابعة ، ويعيش قصة حب يوم بيوم ، حتى يعود الى لبنان في اجازة صيفية ، وتكشف امه سره ، فتحول بينه وبين تلك الحبيبة التي حطمتها رسالته ، وجعلت منها فتاة غير عا .

أما عن موقفه من أمه ومن نفسه سرعان ما يتضاربان ، ولكن بعد أن يصبح عاجزا عن اصلاح ما أمسدت الأيام ، لأن رواسب شرقيته لم يستطع أن يتخلص منها . فالسنين الطويله التي عاشها في شرقه المتمزمت ، الذي يؤمن بالاسرة كوحدة عضويه ثابتة ، غير قادر على أن يخلفه من هذا الشعور خلال هذه الفترة التي عاشها في باريس لا تتعدى الخمس سنوات . ولكن ، الى أى مدى تمشى مع هذه الحياة الجديدة ، وما هي آثار شرقه عليها ؟؟ سنعرف هذا من خلال تحليلنا لأحداث هذه الروايه .

٤ - جوفا العام : هو جو الحياة الغربية التي تختلف اختلافا كبيرا عن جو الحياة اللبنانية التي عاشها في شرقه العربي . وفي تلك الفترة بالذات كانت الحضاره الغربية متمردة ، وخصوصا في فرنسا التي استطاعت أن تفصل الدين عن الدوله سنة ١٧٨٩م . واخذت تحير في البلاد نحو حياة اجتماعيه أفضل واكمل ، بعيدة عن القوانين الكتيه الجامدة ، فكانت فرنسا أسبق الدول الأوروبية الى الحياة الاجتماعية القائمة على العدل بين الطبقات ، فخطت خطوات واسعة نحو الحضارة الماديه والثقافيه والاجتماعيه . وإذا جاز لنا المقارنه ، لاعتبرنا ان شرق بلدنا لا يخذلنا عن فرنسا يوم كانت الكتيه تتحكم بسياستها وارادتها . إذن ، فالجو الذي هو فيه الآن يتقدم شرقه بخطوات كبيره يفصل بينها نيف ومئة عام .

٥ - تسميتها : " الحي اللاتيني " . الحي ، هو الواحد من أحياء المدينه ، والحي : هو البطن من بطون العرب (١) . واللاتيني : هو الغربي ، نسبة الى الغرب ، وهنا " الحي اللاتيني " يطلق على اسم حي من أحياء باريس ، يعيش في بيوته الطلاب الذين قدموا

الى العاصمة الفرنسية من مختلف أنحاء الدنيا طلبا العلم والمعرفة (١) وشوارع فسيحة ليس في الشرق كله مثلها جمالا ونظافة وانتظاما ، وأبنيتها ضخمة مرتفعة كأحد ثال الأبنية الكبرى التي بدأت منذ حين تنتصب في الشوارع الرئيسية من عاصمة لبنان (٢)

بناء الرواية الفني قائم على السرد المباشر ، ولكنه موزع بين ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب في أغلب الأحيان ، الأمر الذي يجعلها تخرج عن الأسلوب العربي المطروق ، الذي يتفق عليه الجميع ، ولكن هذا الخروج لم يكن الا أيضا للمعاني ، وزيادة نمسيي الجمال ، وحرصا في المحاوراة اللغوية التي أدت المعنى الى أبعد حدود ما تحمله الكلمة العربية من معان وإيحاءات ، فهرونة هذه الاستعمالات الغنائية جعلت هذه الرواية طريقة جديدة في مهناها انذى أدى المعنى بصور من الماضي والحاضر والمستقبل ، فقامت هذه العمارة الروائية على أفضل قواعد ضماثيه ثلاث ، فنقلت القارى الى الأبعاد التي يريد لها له الكاتب .

" الحي اللاتيني " هي أول رواية ، أو قصة طويلة كتبها سهيل ادريس ، وهي الرواية الثانية التي تناولها بالدرس والتشريح ، لاعتبارنا ان رواية " الخندق العميق " هي الأسبق في أحداثها ، لأنها تتناول الطالب السوري في مرحلتين : الابتدائية والثانوية ، أى مرحلتين قبل النضج ، فجعلناها أول قصة تخضع المنقذ والدراسة حتى تكون الحلقة الأولى في حياة بطل روايات سهيل ادريس الثلاث ، والذي قام بأدوار البطولة لاعتقادي ان بطل الخندق العميق بطل الحي اللاتيني ، وكذلك هو بطل " أصابعنا التي تحترق " والتي سنتناولها بالدراسة بعد انجاز دراسة هذه الرواية .

بدأ سهيل ادريس رواية " الحي اللاتيني " هذه في تمهيد - وهو التمهيد الوحيد الذي يكتبه في رواياته الثلاث - وجعلها في ثلاثة أقسام ، وخاتمه ، في مئتين وخمسة وثمانين صفحة من القطع الكبير .

إذا اعتبرنا ان بطل رواية " الخندق العميق " هو الذي ترك لبنان وابتدأ رحلاته الدراسية التي كان يتوق اليها ، وفي فرنسا بالذات (٣) نرى بطلا مثقلا بالتقاليد والعادات ، والقيم التي لا تتلاءم وحياته الجديدة ، في بلاد الحرية والانطلاق ، والجنس الديني أو الناحية الاجتماعية أو الناحية الثقافية . وما كان يراه عرفا في شرقه فهو جنون وغيباء هنا في الغرب . . . اذن ، لا بد من تغيير مواقفه من أموره الحياتية كلها . . . فالى أى مدى تجاوب بطلنا مع حياته وقيمه الجديدة ؟ سنحاول أن نتحرك معه خطوة خطوة لنتمكن من تسجيـل

- ١ - الحي اللاتيني ، ص : ١١  
 ٢ - نفسها ، ص : ١٢  
 ٣ - راجع رواية الخندق العميق ص ١٧٠ حيث نقل الكاتب بطل الرواية من جوه السوري الى الجو الغربي ، ليمارس حرياته هناك . . . ليبدأ من جديد .

ملاحظاتنا الدقيقة التي تعطينا صورة واضحة عن الشاب العربي المحمل بأمراض الشرق ، وتفاعله مع حياة الغرب بمبادئها المختلفة ، حتى يكون حصان دراستنا واضح المعالم ، وقريبا من الواقع الذي تفره الحياة في شرقها وغربها ، الأمر الذي يصور براءة الكاتب في تحليل قضايا الاجتماع .

إذا كانت رواية " الخندق العميق " واقعية النزعة ، صادقة الوصف ، ولوحة تاريخية للسائلة العربية في الثلاثينات والأربعينات ، فما هو موقف رواية " الحي اللاتيني " من هذه العائلة بالذات ؟؟ وهل هذه الرواية تناوأت عائلته كاملة أم هي لا تزال تتابع سيرها مع البقية لياقية من عائلته الخندق العميق ؟؟

بالعودة إلى " الخندق العميق " نرى الأب يحمل أثقاله وينزوي بجهدا في عالم لا رجعة منه . والأخ يعود إلى واقع الحياة الذي كان ينفر منه . والأخت تزوجت ، والأم بقيت أرملة ، وسامي يودع شرقه وأسرته مؤقتا للسفر إلى فرنسا بغية تحصيل العلم العالي . . . . . ووسيم ، الطفل الصغير لا نعرف عنه شيئا . . . . . إذن ، لم يبق من أفراد هذه الأسرة الإسلامي ، الشاب الطائر على قيم الشرق وتقاليد وعاداته ، ووالدته ، وهما الاثنان اللذان نرى لهما دورا أساسيا في رواية الحي اللاتيني . . . وعند التحليل ، سنظهر العلاقة بين الروايين من ناحية إبدائهما حتى نكون منصفين في دراستنا هذه .

تناول سهيل ادريس في التمهيد بداية رحلة بطل " الحي اللاتيني " في تفكيره ثم يلاحظها إلى أن يصل به الواقع إلى موقف يرى من خلاله تحقيق حلمه الذي كان يراوده يوم كان طالبا في المعهد الديني ، وبعد تخرجه من المعهد ، ذلك الحلم كان السفر إلى فرنسا ، لتأدية تحصيله العالي ، فإذا به يرى نفسه فوق ظهر الباخرة ، فتأكد من حقيقة حلمه السدي بدأ يخطو أول خطوة نحو التحقيق (١)

في القسم الأول من الرواية ، نرى بطلها ينزل في " الحي اللاتيني " الذي كانت صورته التخيلية تملأ أفكاره ومشاعره ، فتضرب دون كل ما سواها غشاوة كثيفة ، ولكن مخيلته لم تكن قادرة على التصور القريب من الواقع ، بحيث كانت تنفر إليها صور حي من أحياء بيروت القديمة تقوم فيه بيوت متواضعة ، أغلب الظن أنها من الخشب ، مادام سلكوها طالبا فقراء قدموا إلى العاصمة الفرنسية من مختلف أنحاء الدنيا طلبا للعلم والمعرفة (٢) ولكنه ذو شوارع فسيحة ليس في بلاده ، ولا في الشرق كله ، مثلها جمالا ونظافة وانتظاما ، وأبنية فخمة مرتفعة كأحد الأبنية الكبرى التي بدأت منذ حين تنتصب في الشوارع الرئيسية من عاصمة لبنان ، إذن ، عليه أن ينظم مخيلته من جديد ، أن يطبع الصور بهذا الواقع الذي يفسد عليه عالما قدرته شؤرته وإطمان إليه ، فنذ أن وطأت قدماه أرض باريس ، التزم بترك التفكير جانبا ، ليعيش قليلا دون عا

١ - الحي اللاتيني ، ص : ٥

٢ - نفسها ، ص : ١١

تفكير وتدبير ، ليعيش بوهيميا ، لعله يدرك فيما بعد السبب العميق لبعثته . . (١) لعله نسسي سبب وجوده هنا نتيجة تصوراته الخاطئة عن " الحي اللاتيني " . . لعله أدرك أن كل ما يحمله مسن صور تحتاج الى تعديل ، وما عليه إلا أن يخلع ثيابه الشرقية بما تحمله من عادات وقيم يرميها في البحر ، ليرتدى زي البلاد الجديدة ، وقيمها ، وبعد ذلك يستطيع أن يختار الجيد ويرفض الرديء من هذا الجديد الذي بدأه . . انه لم ير في شرقه شبحين معتقنين ، ويتحركان بين لحظة ولحظة فينصلان ، ثم يلتصقان دون نأمة ، فلأن أسودان ينصهران ظلًا واحدًا بين لحظة واحظة . . (٢) ان مثل هذه الأمور لا تحدث في شرقه ، ومن اليديهي ان الحياة على هذه الأرض جميله بالنسبة للشباب ، فالحرية المطلقة في أن يعانق الشاب فتاته عبر الشارع ، الأوسر الذي يعاقب عليه الدين ويرفضه الشرع في شرقه . . عجيب كل ما يحصل هنا . . اذن ، لا بد من تعديل معتقداتنا .

إذا نظرنا الى هذه المقدمات الاولى : " الحي اللاتيني " و " عملية العنان " وما فويهما من انعكاسات على نفس الشاب العربي ، نجد أن سهيل ادريس بدأ عمارته الروائية بوضوح حجر الأساس الذي يمثل " الحي اللاتيني " وأخذ يضيف اليه لبنه حتى تسير الرواية في طريقها الواضح ، دونما مخاجات تعطل سيرها أو تحرفها عن خط سيرها المرسوم لها ، لذلك كانت المقدمات التي ابتدأها قادرة على ان تدفع الشاب العربي الى تعديل تصوراته المادية والاجتماعية ، فالحي اللاتيني لا يشبه أحياء بيروت ، والحياة الاجتماعية هناك مختلفة أيضا الأمر الذي يدعو الى الحرص والحذر في اتخاذ قراراته وابداء رأيه .

كل شيء هنا في " الحي اللاتيني " جديد ، وعليه ان يتقبل هذا الجديد بلا نقد حتى يصبح قادرا على اطلاق رأيه القريب من الواقع الذي يحياه " وهو " أي بطل الحي ، الضمير الفائب الذي ينوب عن " سامي " بطل الخندق الغميق ، لم يكن بالشاب الساذج الذي ترك عالمه الشرقي ليتيه عبر معارج الحياة الغربية وان أبدى دهشته في بادئ الأمر فيما وقع عليه نظره من مشاهد ، لكونها جديدة عليه ، ولم يصادف مثلها في شرقه الذي يعدّ على أبنائه خطواتهم ويرفض كل شيء يعارض القيم الاجتماعية المستوحاة من القيم الدينية التي تار عليها بطل الخندق الغميق .

إذا كان الشرق بتقاليد وعاداته ، وقيمته يمثل القديم عند بطل الرواية السهيلي نجس ، أن الغرب ، حيث الفكر فيه ، يمثل الجيل الجديد في حياته وحياة الشرق . . فهذا الفكر يلائم ذوقه ، وخصوصا تلك الحرية التي تخوّله حق التقاط الفتيات من على قارعة الطريق ، أو على الأقل ، الاختلاط بهن في سهرات مشتركة ، أو مقابلاتهن في غرف صغيره تحت شعار الحب ، وأمام الجميع . . (٣) خمس فتيات لخمس شباب ، حسب نفسه بينهم كاليتيم ، فشمع أنه كالدخيل

- ١ - الحي اللاتيني ، ص : ١٢  
٢ - نفسها ، ص : ١٧  
٣ - = ، ص : ٢٢

ثقل الظل : أجساد .. نهود .. شفاه .. بشاب .. حبيبي .. جييتي (١) اكل هذه أمور يتصرف عليها ويقرأها في عالمه الجديد الذي يشده الى الحصول على المرأة ، حتى لا يكون يتيمًا بين أصدقائه .. انه بحاجة ملحة الى ذراعي امرأة ، لتكون ملء ذراعيه ، ملء كيانه .. امرأة تشبهى ، امرأة تقبل شفاتها بجنون (٢) وهو الشاب الشرقي الذي عاش في كيمت وحرمان ، بدافع الدين الذي يحرم عليه النظر الى أية فتاة كانت .

من هنا تبدأ منطلقات الحكمة الروائية ، وتأخذ في اظهار ذاتها : شاب شرقي ، وتقاليد تفرض عليه عدم الخوض بعيدا في منطلقات الفتاة ، يرى نفسه أمام حقيقة واضحة ، وعلى نقىض تام مع الحياة التي كان يحياها .. كيف يتصرف ؟؟ انه لم يأت من أجل الفتاة وان كانت تشغل خياله ، ولكنه لا يستطيع أن يتجاهل وجودها ، فعالمه الجديد عالم جنس وحرية ، وهو يعيش هذا العالم الذي يفرض عليه الانغماس بقدر ما اذا أراد لرحلته النجاح في الأمور الأخرى .. أما أن ينغمس عليه في مثل هذه الأمور ، فسيجني الفشل في القضايا الأخرى .. كيف يتصرف أمام هذا الجديد ؟

كانت بداية الحكمة الروائية تقف بين منطلقين : المنطلق الأول : الهدف الرئيسي الذي قدم الى باريس من أجله ، وهو التزوّد بالعلم للعودة الى شرقه مثقلا بنظريات الغرب ، ليطلق المفيد ، ويستفيد من غيره . والمنطلق الثاني : رغبته الملحة في الحصول على المرأة التي كانت أشبه بالحلم البعيد الذي لا يتحقق . كيف استطاع سهيل ادريس أن يربّي بطل روايته من ليخرج خاسرا أو منتصرا ؟ وعمل استطاع أن يجعل بطل روايته قادرا على أن يشرف من هذين المنطلقين المفيد الجميل ؟ اذن ، فحكمة هذه الرواية تتحرك من خلال هذين المنطلقين ، وتدور حول نتائجها التي تصبح البطل بصيغتها . فالى أى مدى وفق سهيل ادريس في منطلقات روايته ؟

المنطلق الاول الذي انطلق من خلاله بطل القصة هو تنوية احساسه بالخروج من شرقه فخلع ثياب شرقية هناك على حدود بلاده ، لبدأ رحلة الحياة الجديدة ، لعله ينسى خيبات الأمل التي ملأت نفسه الفارغة بالمرارة نتيجة التقاليد والعادات والقيم الشرقية التي تستعد قوتها من وحي الذين ، الذي يشرف عليه رجال متذمّون ، لا يعرفون ما توحىه لفظ القرآن من أبعاد دينية ، فوجروا الفكر ، وأماتوا الاجتهاد باغلاق ابوابه ، لذلك نرى بطل الحكي اللاتيني يوم وصوله باريس ، يبحث عن المرأة ، أية امرأة لاختفاء المرأة الشرقية في حياته ، والتي " أشعرته بوجودها بلحمة تائهة خائفة بعيدة ، تملأ ذاته بمئة عقدة ، وتميت فيه ثقته برجولته ، والسعي اليها يشعره تارة بالنزعة الروحية معها لأنها لا تعطي الاجساد فيه برودة الثلج ، وطورا بالاشمزاز والغثيان يتنافس في خلقها عشرة أسباب على الأقل .. هكذا عرف

١ - الحكي اللاتيني ، ص : ٢٥

٢ - نفسها ، ص : ٢٤

المرأة الشرقية ، فعرف الخوف والحرمان والكبت والشذوذ والانطواء والخيال المريض . . . (١)  
فأمراضه تشده الى معرفة المرأة الغربية حتى يشفي<sup>عقده</sup> التي رافقته عبر رحلته ، لذلك نراه يبدأ في  
البحث عن المرأة كخطوة أولى ، وما ان يلتقي بفتاة شابة في السينما حتى استطاع أن يضع يده  
على يدها ، ويواعدها ليوم الغد ، دون أن يرى وجهها (٢) ولكنها لم تحضر ، لأن النذى  
حدث لم يكن الا نزوة عرضيه لم تترك في نفس الفتاة أى أثر، وأسلوبه ، كان من بقايا شرقيته التسي  
حاول أن يدخل شيئا بها على حدود بلاده ، ولكنه لم يستطع ، بل بقيت تلازمه آثارها .

ونراه يلتقي بفتاة ثانية ، ولكنها أكثر خبرة من تلك الفتاة الصغيرة التي صادفها  
في السينما تجالس رجلا ظنه أباهما أو عمها ، واستطاعت " ليليان " بخبرتها وسذاجته أن تصل  
به الى غرفة نومه . . . وهناك أعطته كل شيء ، وأخذت منه نقود محفوظة دون أن يدري ، بعد أن  
أنشدته قصيدة مسروقة ، فأحس بالخجل من خداعها أمام صديقه صبحي (٣) .  
وهناك تجربته مع " مارجريت " المندفعة الشاذة ، حيث استدريجها الى غرفته لارتشاف  
القهوة التركية ، وهناك ينشهي كل شيء ، ولكنها سارعت بالشهوض قلقة غضبي ، ثم تركته في عجب  
يكاد يتحول الى بلاهة . (٤)

ان تجاربه الثلاث مع المرأة في باريس : " فتاة السينما " ، و " ليليان السارقة " و  
" مارجريت المندفعة الشاذة " كانت سببا لتغيير رأيه في الحرمان الجنسي الذي كان هو كل همه  
في بداية المشوار ، وعن طريق هذه التجارب المختلفه شعر أن الجنس ليس هو الغاية الأساسية  
التي قدم من اجلها ، وقادته هذه التجارب أيضا نحو النضج الفكري فوقف متأولا كل ما دار حوله  
من أحداث . . . انه لم يأت الى فرنسا من أجل المرأة فقط ، بل هناك أمور أهم تتعلق بمستقبل  
حياته ، يجب عليه أن ينسى كل شيء الا الهدف الرئيسي الذي قدم من أجله : المرأة في فرنسا  
ليست بقية ، ومن السهل جدا الحصول عليها ، اذن ، هذه القضية حلولها كثيرة ، ولا  
تستحق التفكير العميق الذي تعود أن يصل اليه يوم كان في شرقه الراض لهذه المبادئ وهذه  
القيم .

وينقلنا سهيل ادريس من باريس الى لبنان ، عبر افكار بطل " الحي اللاتيني " من  
وحي رسائل أمه وأصدقائه . . . ما أشد حاجته الآن الى أن يتملى وجه أمه الصغير الحلو ، ويقبل  
تلك الشامه في عنقها . . . وما أشد حاجته الآن الى أن يجلس الى أخوته ، ليستمع الى أخيه الأكبر  
يسخر بمشامره الخيالية ، ويحدث أخته ويسألها رأيها في آخر قصيدة له ، وأن بوده الآن أن  
يعين أخاه الأصغر في ضبط قراءة العربية ، ولكنه يعود اليه بدفتر الحساب ليعرض عليه عملية  
حسابية ، فيعذر هو ويحوّله على أخته فتضحك أخته وتفهم . (٥)

١	الحي اللاتيني ، ص : ٢٨ و ٢٩
٢	نفسها ، ص : ٣١-٣٦
٣	نفسها ، ص : ٦١-٦٥
٤	= ، ص : ٧٥
٥	= ، ص : ٧٧

منا يعود بنا الكاتب إلى أسرة " الخندق الغميق " يوم كان " رفعتي " يشرح درس الرياضيات إلى " هدى " شقيقة " ساسي " وكان زواجهما نتيجة لهذا الموضوع . (١) الأمر الذي يؤكد الرابطة بين بطلي الروائيتين .

وينتهي الكاتب من مقدماته الأولية التي ارتكزت على تجارب البطل الذي أنضجته فكرها واجتماعيا ، ليبدأ في تأزم الحكمة التي يقيمها على الصراع المستمر بين القديم والجديد . . . . . فوجوده في فرنسا لم يحل بينه وبين الصراع الذي تغلب عليه الشاب العربي في " الخندق الغميق " ولكن راسب هذا الصراع لحقت بالشاب العربي عبر حياته الجديدة في بلد الحرية والانطلاق ، وهل استطاعت أن تؤثر عليه تأثيرا كبيرا ؟؟ الجواب فيه وصول الحكمة إلى الحل ، فكيف تم ذلك؟

كيف بدأ سهيل ادريس رحلة الصراع هذه ؟؟ إن الأب في الخندق الغميق كان الوجه الآخر ، الذي يمثل القديم أمامه ، والأب في الحي اللاتيني غير موجود ، أو مشار إليه ، لذلك ترى الكاتب يركز على رسائل الأم ، ويجعل بطلنا يستحضرها عبر خياله . كلما شعر بالحنين إليها أو لاحظ شيئا يذكره بها .

وجملة واحدة في رسالة والدته " أعود فأحذرك يا بني من نساء باريس . . . وقاك الله شربينات الحرام " (٢) تعتبر حجر الزاوية الرئيسي في بناء الرواية القائمة على الصراع الجديد الذي لا يخرج عن مفهوم المرأة ، وكأنه لم يأت إلا من أجلها .

وتعمل موسيقى " شويان " التي سمعها من ضرير يستجدي على " الاكورديون " على شدة إلى الماضي ، فيذكر " ناغده " فتاته العربية التي تركها في لبنان دون ان يسألها اذا كانت ستنتظره (٣) ويذكره عدنان - صديقه الذي يرافقه في طريقه إلى محطة " الايتوال " - أنه في باريس ، ولن يجديه أن يعيش في بيروت ، وهو هنا في باريس . . . لن يجديه ماضيه وهو في حاضره (٤) .

وتتابع سهيل ادريس رحلته في شد بطل " الحي اللاتيني " من عالم المرأة الذي قدم إلى فرنسا من أجله ، فيعرفه على " هواد " الذي أصبح يلتصق لقاءه والجلوس إلى قربه كلما قصد مطعم الطلاب " لوي لوغران " دون أن يذكر الرابطة التي شدة إليه ، قد يكون هذا الشعاع الحائر الذي ينبعث من عينه ، أو ذاك القلق الذي يرتسم على قسما وجهه كلما تحدث إليه ، أو ذلك الهدوء والتعمق في بحث الموضوعات التي كانا يعرضان لها . (٥) ولكن هواد هذا أخبره أن المرأة كانت همه الأول يوم وصل إلى باريس ، ولكنها أصبحت فيما بعد أحد عمومه فقط الأمر الذي دعم رأيه في المرأة ، واعتبرها قضيه موجوده ، ولكنها ليست بذى أهمية تستحق كسل تفكيره ، فأنحلت عقده نحوها بعد أن كانت كل همه يوم وطأت قدماه أرض فرنسا .

- |     |                              |
|-----|------------------------------|
| ١ - | راجع الخندق الغميق ، ص : ١٦٤ |
| ٢ - | الحي اللاتيني ، ص : ٧٧       |
| ٣ - | نفسها ، ص : ٨٢               |
| ٤ - | = ، ص : ٨٣                   |
| ٥ - | = ، ص : ٨٥                   |

مشكلة المرأة قد حلت . ولكن عنك امرأة قائمة في عقله وخياله ، وهي امه التي تكتب اليه وتحذره من بنات فرنسا . كيف استطاع الكاتب أن يجعل هذه المرأة أو الأم " طرفاً آخر في الصراع مع ابنها ؟ انها تحذره من بنات فرنسا ، وترى أن هذا التحذير لا مبرر له بعد التجربة التي خاضها مع " ليليان " و " مارغريت " وبعد أن أصبح ينظر الى الفتاة نظرة ناضجة ، لا يهمه أن ياقاها في سريره ، بل يحتاج اليها لتملأ فراغ قلبه ، ولكن الكاتب جعل هذا التحذير منتاحاً لقضية كبرى تدور حولها احداث الرواية ، وخصوصاً وظل الحي اللاتيني يبحث عن الحب " ، لأن تجربة الجسد كانت غير قادرة على اشباع رغباته العاطفية التي تحترم الحب وتنظر اليه نظرة قدسية استمدعها من شرقه وتقاليده . . . فهو اليوم يحتاج الى حبيبة ، الى عاطفة ، لا الى جسد رخيص ، هل يستطيع الحصول على هذه الحبيبة في هذا البلد المنطاني سريعاً في حضارته ؟ في هذا البلد الذي يؤمن بالحرية ، ولا يلتزم بالقضايا الأخلاقية التي يلتزم بها شرقه ؟؟ لا بد من البحث والتدقيق قبل اصدار الاحكام ، والا ستكون كل فتاة يلتقي بها مجرد تجربة جديدة يضيفها الى تجاربه السابقة ! ! انه لا يحتاج الى تجارب جسديه أخرى ، فقد تعلم الكثير من تجاربه ! ! انه يحتاج الى حبيبة ، فكيف يعثر عليها حتى تتطور منطالقات الرواية وتصل الى عددها الذي رسمه لها الكاتب ؟

تنطلق الحكمة الرئيسية من الفندق الذي انتقل اليه البطل في " الحي اللاتيني " ليكون قريباً من " السوربون " فيلتقي بها على سلم الفندق الذي يبني فيه ، فهي نزلة الفندق أيضاً ( ١ ) فالحق بها ، وحاول أن يحدثها ، فالتهمته بالرومانشكية ، ولكنه كان يشعر بحاجته اليها ، فهي تختلف عن غيرها من الفتيات ، فهو يقرأ في بسمتها الجنان وفي عينيها الغموض ، هذا الغموض والتردد ، والاقدام والاحجام ، ليس من شأنها الا أن تزيد لهفته اليها . . ( ٢ ) وحاولت " جانين مونترو " أن تصده عنها ، فاستفسرت عما يريد منها ، ولم اذا عو يلاحقها منذ يومين ؟ فغادر المكبة ملثا المشاعر ، ولكنها استوقفتها ، واعتذرت عن اساءة الأدب معه لكونها قابلت لطفه بجفاً ، وطالبت أن يغفر لها . . ( ٣ ) وتعزز الايام ثقة جانين به ، وتجمع الصداقه بينهما . . وهنا نرى الكاتب يقدم لسيان ناهده . . فهي لم تكتب له وقد كاد يمضي على مغادرته بلا ده ثلاثة أشهر ، واذا هو لم يطلب اليها ذلك ، فهو لا يتصور أن تظل على صمتها . . ( ٤ ) ولم تكن هذه العودة الى شرقه الا تبريراً لاحتاسه بالحب تجاه " جانين " فهو لا يحب ناهده ، ولم يعد ما بشي ، ولكن الأمل يرشحونها له ، ومن أجل هذا يحاول أن يتخلص من هذا الاحتاس بهذا التساؤل . . ان " جانين " تختلف عن غيرها من فتيات تجاربه ، فهي لم تكن سهلة أو برفقة أحد أصدقائه . . انها نوع آخر هو يبحث

- |   |                        |
|---|------------------------|
| ١ | الحي اللاتيني ، ص : ٩١ |
| ٢ | نفسها ، ص : ٩٦         |
| ٣ | = ، ص : ٩٨ و ٩٩        |
| ٤ | = ، ص : ١٠٥            |



عنه ، وقد رجته أن يشق بأنها لم ترد أن تسمى " إليه لأنه لا يستحق الاسماء " (١) . واتهمت نفسها بأنها فتاة بلهاء ، وطالبت إليه أن يعدها لتبجح لنفسها أن تشق به حتى أصبحت تشق بالرجال (٢) . الأمر الذي قرنها إليه أكثر ، ودفعه إلى دوامة من التفكير ، لعله يستطيع أن يفسر ما قد سمعه منها . أنها لا تشق بالرجال ، لأنهم مخادعون ، أذن ، فهي لا تشق به ، وهو مخادع طبعاً ، وليس أمامه إلا أن يسلك مسلكاً يختلف عن مسلك الرجال المخادعين حتى يكسب ثقتهم .

وينتهي القسم الأول وسهيل ادريس يدور حول بطل روايته ، فيستعمل ضمائر اللغوه دون أن يذكر للبطل اسماً يطلق عليه ، فوجب الاعتقاد على أن هناك صلة قوية ومتينة بين سهيل ادريس وبطل الحبي اللاتيني ، بحيث لم يستطع أن يفصل ذاته فيه طيه وجوداً مستقلاً ، بل نرى وجوده مرتبطاً بوجود بطل " الخندق العميق " ، الذي انتهى دوره عند الاستعداد للرحيل إلى فرنسا ، لتحصيل الدراسة العليا ، فنرى ان بطل الحبي اللاتيني يبدأ من النقطة التي وقف عندها بطل الخندق العميق ، وقد أشرنا لعودة الكاتب إلى الخندق العميق لدراسة بطرف عينه إلى قصة زواج هدى من رفوق الذي كان يشرح لها درس الرياضيات . ان نهاية دور بطل الخندق العميق عند نقطة انطلق من خلالها بطل الحبي اللاتيني يؤكد الرابطة القوية بين هذين البطلين ، واللذان هما برأبي بطل واحد !

وفي القسم الثاني . نرى سهيل ادريس يعبر من خلال بطله من مرحلة المراهقة ، ومرحلة تجاربه التي تخطاها ، وعرف من خلالها جسد المرأة الذي كان يتوق إليه ويتمناه ، نراه يعبر من هذه المرحلة التي استوقفته عند كل فتاة صادفها ، إلى مرحلة الحب الناضج ، حبسه " لجانين " الفتاة التي قدمت من الأناضول إلى باريس ، لتدرس الصحافة ، هرباً من خطيبتها " هنري " الذي رآته يخونها مع غيرها ، وهي لا تزال خطيبته ، فكيف تضمن عدم خيانتها لها عندما تصبح زوجته .

ان " سامي " يرى في الصورة التي تبحت عنهاروحه منذ زمن بعيد " انها المرقة الثانية التي يجس بها هذا الاحساس العميق الذي لم يشعر به من قبل خلال تجاربه التي تخطاها ، وبهذا الشعور يذكره بحبه يوم كان في الرابعة عشرة ، حيث وقع في حب تلك الفتاة ، وكان يبتهل إلى الله في صلواته وكان يومذاك يصلي - أن يحفظ له حبيبته تلك ، ويبعد عنها كل سوء ، ويبقيها له ولحبسه . (٣)

هنا نرى عودة البطل إلى " الخندق العميق " يوم التقى بحميا " وأحبها وهو لا يزال طالباً في المعهد الديني ، ونرى من هذه الحقيقة ان هناك اعتقاد ثابت على أن " سامي " الذي يقوم ببطولة هذه الرواية ، هو " سامي " الذي ثار في " الخندق العميق " على التقاليد

١ - الحبي اللاتيني ، ص : ١٠٦

٢ - نفسها ، ص : ١١١

٣ - الخندق العميق ، ص : ٧٨

التي واجهته عبر خندة الغميقي ، وقد عرفنا من خلال " الخندق الغميقي (١) ان سميا قد نسبت أو تناست حبه ، أو انقادت الى ارادة ذوبها ، ولم تنتظره ، الأمر الذي جعله يميل الى اتهام كل فتاة يصادفها ، حتى التقى بجانين ، لعلها أقدر من " سميا " على الوفاء والصدق ، ان احساسه الذي يشعر به الآن نحوها يؤكد حقيقة هذا الحب الذي لا يبعد عن احساسه يوم التقى " سميا " ، وان كان غارق السن طريقا الى تفكير أفضل ، وخصوصا بعد ممارسة لونا من التجارب الجسديه التي خاضها !

اذا كان عمره في أول تجربة حب ثم يتخطى الرابعة عشرة ، فهو يدرك الآن السي الخامسة والعشرين ، ولكن ، هل يستطيع حبه " لجانين " ان يبرى نفسه من شوائبها ، أم سيوقظ فيها شرآئها ؟؟ انه يرى في ابتسامتها اخلاصا لا يتطرق اليه زيف . وقد أكد له صديقه نواد قائلا - " أراك تحبها حبا صادقا ، فلا تندم ولا تتردد . . ان هذا الحب كميل بأن يصهر النفس وينزل عنها كثيرا من أدرانها ، ومثل هذا كان حبي الأول . (٢)

اذن ، هذه حقيقة كل انسان ، ولا يستطيع أن يحسب حالته شاذة . قد يكون نواد قد غرق في الرذيلة الى أعماق درك ، كما سما في الحب الى اسمى مرتبة ، ولكنه في الأمرين جميعا واعيا تجربته أشد الوعي ، لم لا يكون عوواعيا تجاربه وتقادرا على أن يتحرك عبر حياته ؟؟ اذا كان نواد هو أقرب الاصدقاء الى نفسه ، لم لا تكون تجاربه درسا يقيه من الوقوع في الخطأ مرة ثانية ؟ صحيح أن حاجته للمرأة شديدة ، وكانت عمه الأول يوم وصل الى باريس ، أما الآن ، فإن له عموما كثيرة أخرى ، وليست المرأة الا أحدها ؟ (٣)

ونلاحظ الصراع يتطور في نفس " سامي " . انه يقف امام فتاة منحتة الحب الذي لم يعرفه في شرقه . . إنه لم يعرف من الحب الا أحد شرطه ، فاما النشوة الروحية وحدها ، واما اللذة الجسديه وحدها ، بل هو لم يعرف أي الشرطين الا في اسوأ اشكاله : اما كبت وانغلاق - وتآكل - في شرقه - واما أنانية وانحطاط - في باريس ، من خلال تجاربه - ولم يكن يتصور أن يوسع انسان أن يدرك الى جانب انثى اللذتين كليهما ، كما أدركهما هو الى جانب " جانين مونترو " (٤) انه يتذوق معها الحب الذي ينير ظلام نفسه ، ويفوقه في طريق الخير والحياة ، الحب الذي نزع اسائة غيرها في قلبه ، وأصبح ينظر من خلال مرآته الجديد .

ان جانين التي رفضت خطيبها عندما رآته يخونها أعطت هذا العربي روحها وجسدها ، حصل معها على الحب المتكامل لأول مرة في حياته ، فهو يحيا من جديد ، يحيا مع الحب الصادق والعاطفة النبيلة ، ولكن ، الى متى يظل احساسه هذا قائما في نفسه ؟؟ ان الحياة عودته على المناجات ، أية مفاجأة تنتظره ، وأية مفاجأة تنتظر " جانين " ؟ عمل سيكون هذا العربي - كما حلالها أن تصفه - غير " هنري " الذي خانها ورفضته ؟

- |     |                                     |
|-----|-------------------------------------|
| ١ - | اجمع الخندق الغميقي ، ص : ١١٨ و ١١٩ |
| ٢ - | الحي اللاتيني ، ص : ١٢٠             |
| ٣ - | الحي اللاتيني ، ص : ١٢٢             |
| ٤ - | المصدر نفسه ، ص : ١٥١               |

حبكة القصة تتطور في طريق التأميم . فالحب حقيقة واقعة ، وبفترة التجريد قد تخطأها الحبيبان ، وأصبح كلاهما مكملاً للآخر ، وأكن جذور الماضي لم تتركه وحده ، أو بعيداً عنها فرسائل والدته تلاخقه ، وتحيي هذه الجذور ، وهو لا يستطيع ان يثور في وجهها ، أو يصارحها بالحقيقة التي يحياها ، لأنها - أي والدته - لن تثره على شيء مما يفعله ، وليس أمامه إلا الاستقلالية الثامة عن أسرته . عليه أن يجاهد وينجح في هدفة الذي أتى من أجاهه الى فرنسا ، ليكون قادراً على اتخاذ قراراته ، ويخرج من اطار التقاليد التي تتحكم به عبر والدته ، وتقسم عثرة في سبيل عودته الى الانطلاق .

لم يكن الصراع في نفسه وحده ، فكانت " جانين " تعاني من صراعها الداخلي . . . انها باتت تحبه ، وبات هو كل حاجتها في هذه الدنيا . . . لماذا لا تزور خالتها التي تدعوها دائماً لهذه الزيارة ، وتستطيع خلال هروبها هذا أن تتأكد من حقيقة حبها !

وسافرت " جانين " لتنفيذ الزيارة ، ولكنها عادت غاضبة ، حيث اكتشفت في زوج خالتها ، وخالتها بالذات ، عدوين جديدين لتأمرهما مع " هنري " ذلك الذي بدأ اذلالها على أن تنضي هي خالتها ، في هذا الاذلال (١) لن تعود الى " هنري " أبداً . . . انها تعود الى حبيبها لتذيب غمها بين ذراعيه ، تعود اليه لأنه كل حياتها بعد أن أحبته . . .

ويعرفها " سلمي " على أصدقائه ، كما يقدمها اليهم ، فيطلق احكامها على هؤلاء الأصدقاء : فصبحت فيه طابع الاستهتار ، وعدنان لا يخلو من عصبية دينيه ، وبيع بنقصه الاعتدال في آرائه المتطرفه ، وفؤاد لا ترغب الاسراع في الحكم عليه (٢) . صور واضحة للأفكار العريضة التي يقرها عليها ، وقد أسعده أن يوافق رأياً في أكثر أصدقائه اليه .

وتأزم الحبكة من جديد . حيث بدأت موارد " جانين " المالية تنضب ، فعملت بائعة في فرع ثياب للأطفال ، وأصبحت تبذل مجهوداً مضاعفاً ، فوقعته مريضه ، والتزمت فراشها . . . بناءً على توصية الطبيب - مدة اسبوع كامل ، و " سلمي " يتردد عليها باستمرار .

وتحاول " جانين " أن تناقشه في مستقبل حياتهما ، وكأنها توقظه من خيال بعيد . . . لقد مضى على حبهما زهاء خمسة أشهر تنقضي ، وقد عاشا فيها خارج حدود الزمان والمكان ، وهل يسمحان لنفسيهما أن يعيشا كذلك أبداً ؟

وسألته سؤالا محيراً : " من أنا في حياتك ؟ هل أكون غير طيفي طابر ؟ (٢) فيشير هذا السؤال ألف حيرة وحيرة في نفسه ! إنه بالاجابة يواجه قدره ومصيره ، ماذا يفعل ؟؟ انه يحبها ولن تكون في حياته طيفي طابر ، ولكنه لا يستطيع أن يعدها بشيء . . . انه يخاف والدته ، يخاف مجتمعها . . . انه لم يستطع - حتى الآن - أن يخرج من وجوده الشرقي الاثنا في باريس . . . والعودة الى شرقه ، تعني العودة الى تقاليد التي تغذيها والدته برسائلها !! وناهدة التي

١ - الحي اللاتيني ، ص : ١٤٤

٢ - المصدر نفسه ، ص : ١٥٥

٣ - = ، ص : ١٦٦

ترشحها كزوجها ، وغيرها وغيرها ؟؟ وماذا يفعل ؟؟ الأزمة ترتفع الى أعلى حدودها ، أيرضيها أن تظل هكذا حبيته وخليته طيلة أيامه في فرنسا ، ألم يخطر على باله أنه سيعود الى شرقه ويتركها خلفه محطمة يائسة ؟؟ لماذا هو لا يفكر في أن يتزوجها ؟؟ " يتزوجها " أية كلمة هذا ! وسرعان ما طفرت الى ذهنه صورة أمه ، فأحس بضيق شديد يأخذ بخناقها ، ينبغي أن ينحسها الآن على الأقل ، هذه الفكرة الكابوس . (١)

وهكذا ابتدأت أزمة الحكمة تظهر بوضوح ، عن طريق طرح الأسئلة على نفسه في قضية حبه . . انه يتمنى أن يتزوجها ، ولكن أمه ، فهو مؤمن بأمه ، وهي متغلغلة في أعماقه ، وان نهماثهما هذه المسافة الطويلة عبر الزمان والمكان ، ماذا يفعل إذن ؟؟ لم لا يعود الى لبنان لقضاء فترة الصيف هناك ، ربما يستطيع أن يتغلب على (شعور ارتباطه) بأمه ، ويعود الى " جانين " حراً من كل قيد "

ويقرر العودة الى بلده . .

وتعترف جانين أمامه قائلة : " إذن ، أية فتاة ضائعة سيكون ! (٢) هذه حقيقة يطالقتها سهيل ادريس على لسانها ، تمهيدا لقضية كبرى ، لا بد منها . . نذهب " سامي " يعني ضياعها وهي الفتاة التي تعودت أن تعيش وحدها ، شأن كل فتاة غريبة ، ولكنها ربطت سفره بضياعها لاعتقادها أنه لن يعود اليها ، وإن فعل ، فجراح قلبها لن تشفى بالسرعة التي شفيت منها اول مرة . . تلك كانت نتيجة خداع ، أما الآن ، فنتيجة حب تغلغل في دمها . . انها تركت دراستها والتحق بالعمل في الصحافة من أجل أن تراه ، ففعلته على دراستها ، فكيف تقوى على الحياة بعيدة عنه ؟؟ (٣)

اذا وقفنا متفهمين الكلمات التي اطلقتها جانين على نفسها ، مثل : الضياع (٤) ، عدم التفكير في الغد (٥) فتيات الشوارع (٦) تقرر حقيقة ظاهره ، هي أن سهيل ادريس يمهّد لنا بذلك الى مصير جانين . الى أي مدى صدق هذا التمهيد على هذا المصير ؟؟ وعمل استطاع " سامي " أن ينقذ حبيته من هذا المصير المظلم الذي تراه عبر منطلقات أحكامها التي تطالقتها ؟ الجواب في القسم الثالث .

في القسم الثالث ، تتجمع خيوط الحكمة كلها لتبلغ المأساة قمتها ، وتبدأ بالانحدار نحو الحل . ولكن ، كيف وصلت المأساة قمتها و " سامي " و " جانين " ينعمان في حبهما على خير ما ينعم به حبيبان ؟؟

صحیح أن " جانين " رفضت وداعه في المحطة ، لأنها لا تريد الوداع لهذا الحب ولو لفترة الصيف التي سيقتضيها في ربيع بلده وبين ذويه وأصدقائه ! ! انها تريد دائما معها ، لا تريد

١	الحي اللاتيني	ص : ١٧٢
٢	المصدر نفسه	ص : ١٦٠
٣	= =	ص : ١٧٣
٤	= =	ص : ١٩٠
٥	= =	ص : ١٧٣
٦	= =	ص : ١٩٤

أن تستيقظ من الحلم الذي تعيشه ، تريد اللقاء المستمر الأبدى الذي يتواعدان عليه ، لا الوداع ولو كان وداعاً مؤقتاً . . . ان صدق الحب الذي يربطهما يحول دون لقاء جانين لقاءً وداعاً لحبيبهما الراحل الى الشرق ، تريد أن تظل تحيا بذكرى اللقاء هذه طالت حياتها ، ومن جهة ثانية رأيت أن في عدم وداعه حانئذا يعيده اليها بسرعة .

وتبدأ خيوط المأساة تنسج ذاتها ، يوم حملت اليه امه بطاقة " جانين " التي تخبره فيها أنه قريب منها ، وتسمعه في غرفته يروح ويجي ، ويدمدم بعض أنغامه الشرقية الحزينة الرتيبه . . . (١) وتساله أمه عن " جانين " هذه . . . ان أمه كانت تلم بالفرنسيه ، وقد قرأت البطاقة طبعاً .

ونرى " سامي " في اجابته لوالدته ، يتذوه بأحكام مسبقه ، لمأساة متوقعة ، فيقول : " لعل الخطأ خطأ جانين اذ ارسلت البطاقة مفتوحه . . . (٢) ونستطيع أن نستخلص من هذه الاحكام أن " سامي " ، رغم ثورته على التقاليد ، وثقافته ، وحياته في بلد الحرية والانطلاق ، يخاف مواجهة الواقع ، يخاف مواجهة والدته التي نهته كثيراً عبر رسائلها عن فتيات باريس كيف له أن يفهم هذه الظاهرة التي عكست رأى والدته ولما يمضي عليه أسبوع واحد ؟

وتتدخل الأم ، وتحاول أن تجلي الغموض الذي لا تعرفه . . .

ويحاول الابن في محاورتها مخاورة يظهر فيها ضيقه من تسلوالاتها ، دون أن يذكر

الحقيقة . . . انها مجرد زميلة في السوربون .

وتقف الأم عند حد من المناقشة بعد أن ضمرت شيئاً في نفسها . . .

وتأتي " ناهدة " برفقة والدتها لزيارة القادم المنتظر .

وتشجع الأم " ناهدة " على اللحاق " بسامي " الى غرفته ، ليربها بعض الكتب ، ويسلمها الهدية التي ادعت الأم احضاره (٣) لها ، لانها الفتاة التي ترشحها للزواج ، والاهل شبه متفقون على هذا الترشيح .

ولتقي بناعده ، ليعود الى الفتاة العربية التي تتراجع امام الشاب ، أى شاب

عربياً كان أو أجنبياً . . . امام " الرجل " وعيناها طافحتان بالخوف منه ، راسب من الخوف تجمعت أجيالاً في خطوة هذا اللقاء المقصود ، الذي فرضته والدته فرضاً ، لعلها في عملها هذا تنسيه فتاة البطاقة ، تنسيه " جانين " ، ولكنها لم تعرف أن رأيه بجانين شيء آخر . . . انه لا يفضل عليها أية فتاة . . . لانها تعرف قيمة الروح ، وتعرف قيمة الجسد . . . انه أحب روحها عبر جسدها ، وجسدها عبر روحها . . . (٤) وليست كغيرها من فتيات الشرق اللواتي تعلمن ان يقدرن الجسد ، لا تقديس حب وعبادة ، وانما تقديس خوف وحذر . . . (٥)

١ -	الحي اللاتيني	، ص : ٢٠٧
٢ -	المصدر نفسه	، ص : ٢٠٨
٢ -	=	، ص : ٢١٢
٤ -	=	، ص : ٢١٤
٥ -	=	، ص : ٢١٢

عاد "سامي" الى شرقه في اجازة قصيرة ، فواجه - بعودته - أمه وجها لوجه ، فتجسد أمامه عامل المنع وأصبح بدوره هو "الحاضر" بعد أن كان مجرد ذكرى ، وكلمات في رسائل يمكن دفعها بعيدا ، غير آبه للنتائج المترتبة على ذلك . . . ولكننا نرى من خلال هذه العودة السسي الماضي ، الذي أصبح حاضرا واجبه ثانية ، هي أن "الحاضر" الذي كان أصبح مجرد ذكرى ، أصبح مجرد كلمات في رسائل متلاحقة في السبب الذي أثار ظلام حياته ، ورفض وداعه خوفا من هيبة الوداع وآثاره . . .

هنا ، نرى سهيل ادريس - كعادته في كل قصه - يقيم توازنا بين الوقيتين ، حيث يلخ الصراع بعنفه في نفسه . . . فالسفر من باريس الى بيروت هو العودة من عالم الحبيبه الى عالم الأم ، العودة من عالم الحرية والانطلاق ، حيث حقق فيه وجوده كله ، غريزته ، وعاطفته وعقله يعود الى العالم الذي ينحني فيه الفرد ، ويذوب في محيطه الاجتماعي الذي لا يقره مجتمع الغرب ومعطياتسه .

وأصبحت جانين مجرد ذكرى في مجتمعه الجديد - في شرقه - ذكرى لا يستطيع الاصحاح بها ، فضاق عالمه وكاد أن يخنقه ، ولكنه عاجز عن تفجير رأيه الذي من اجله ترك الشرق وأهله وترى أمه ان الفرصة سانحة لتدخلها فيما حملته رسالة "جانين" من أخبار . . . انها "حامل" وهي مستعدة أن تقدم على جميع التضحيات ، وتواجه جميع المخاطر ، ولكنها تنتظر منه اشارة لأنها لا تملك وحدها أن تتخذ قرارا ما ، فماذا تفعل ؟ (١)

لم تكن "جانين" مجرد زميله في السوربون اذن ، لقد صدق حدسها ، إنها مسن فتيات باريس الساقطات !! من يدري أنها حامل من ايها ؟ (٢) لا ترضى بهذا مطلقا . وكانت محاضرتها الطويلة لا تخرج عن نطاق الأخلاق والحلال والحرام والتشكيك بجانين ، والمآذق الذي أوقع فيه نفسه ، كما أوقع فيه عائلته (٣) كيف يتخلص من هذا المآذق ؟

ان محاضرة والدته الطوية عن الشرقي والأخلاق والمبادئ ، والدين شدته الى حياته في باريس شدا . . . إنه لم يعد لها بالتزواج . . . وكانت مخطوبة الى "هنري" الذي سلمته جسدها يوم كان خطيبها ، وغادرت قريتها شبه مطرودة . . . نمتة مسيحية ، من غير دينه . . . أية فضيحة ، وأي عار سينصب على بيتهم الذي عاش طويلا في الستر ، والفضيلة ، والشرم والدين (٤) كل كذبة قالتها والدته في محاضرتها يقرها شرقه عليها ، الأمر الذي دفعه الى أن يرد على جانين برسالة اتهام (٥) تناسب الوضع الذي تناقشه معه أمه .

اتهم جانين ، وتنصل من اسداء النصيحة على الأقل ، فكان ما كتبه تبرؤا من مسؤوليته تجاهها ، وانتصارا للأم ، وانتصارا للتقاليد ، وانتصارا للضمير الاجتماعي في شرقه .

١	الحي اللاتيني	ص : ٢٣٥	-
٢	المصدر نفسه	ص : ٢٣٢	-
٣	=	ص : ٢٢٩	-
٤	=	ص : ٢٣١ و ٢٣٢	-
٥	=	ص : ٢٣٣	-

كان لهذا الاتهام الذي وجهه الى جانين رد فعل طبيعي في نفسه من جهة ، ونفسى نفس جانين من جهة ثانية ، جانين التي ردت عليه بجملة ضمنيتها كل مأساتها تقول : " شكراً سأواجه مصيرى بشجاعه - جانين " (١)

وتنرد حينئذ الى العودة الى المدينة التي حقق فيها وجوده ردحا من الزمان . . انه يعيش الآن في عالم أمه فقط ، هي كل عالمه ، وهي التي هدّمت آماله بالحملة انفجارية ، ولم يحب هذه الأم ؟ أهى ضريبة التريسة ؟؟

وتنرد الصراع في نفسه على أشده . . الصراع بين شخص يخشاه ، هو أمه ، وشخص يحبه ، هو "جانين" ، بين تقاليد يخشاها وبين حرية يحبها ، فشمع الثورة في نفسه تلتهب ، ولكنها كانت ثورة خائبة ، فهو لم ينجزها الى حيز العمل . . لم يجسد الثورة ببرقية يبرقها الى حبيبته ، يعبر فيها عن مسؤوليته لهما حدث ، ويطلب منها أن تنتظر عودته اليها ، بل كانت ثورة داخلية فيما بينه وبين نفسه ، دون أبعاد ايجابية تخص مأساة جانين لارتباطه بترسات تقاليد الشرقية التي لم يستطع أن يتخلص منها . . إنه كتب الى "جانين" وهو يكامل قوام العقابيه ، ويعتقد بخطئه ، ويرفض اتهام والدته البعيد عن الواقع ، وأقع الفتاة المسكينه التي دفعت سعادتها ضريبة هذا الحب الكبير ، من أجل استجابته لضغط نفسي موجه ، ولكن رسالة فواد اليه ، أعطته نوعا من القدرة ، رفع بوساطته الضغط عن نفسه ، حيث أخبره عن واقع ما وصلت اليه حالة "جانين" من مرض وعذاب ، يتهمه بتصله من مسؤوليته ، وهذا ما لا ينتظره الوطن من العربي الشريف . . (٢)

وعاد الى باريس . .

ومرة ثانية أصبحت أمه وتقاليد شرقه مجرد ذكرى ، وأصبحت باريس "حاضره" الذي ابتعد عنه ، ودفعت منه الكثير من سعادته ، ولكن هل استطاع بهذه العودة ، وهذا الانتقال الجديد أن يتخلص من ارادة والدته ؟؟ كلا . . فالأم قد تغلبت نهائيا على الجانب المضاد حتى ولو أصبحت مجرد ذكرى . . "فجانين" قد تركت المستشفى الذي اجهضت فيه بيوم واحد قبل وصوله (٣) ، ولم تعد الى فندقها . . و"سامي" وزملاؤه يزداد اهتمامهم بالقضايا الوطنية ، وكان في عهده القضايا الوسيلة الوحيدة لمكافحة التأخر في مجتمعهم الشرقي الذي هم من أجله يدرسون ويتشققون . . عينا حاول أن يلتقي "بجانين" فهي لم تترك عنوانا لها . .

ويخبره أحمد ، أحد زملائه وأصدقائه ، أنه رأى جانين ثلاث مرات ، خلال الأسبوعين الماضيين ، واعتذر على عدم اخباره قبل اليوم ، لأنه كان منهمكا في تحضير مناقشة رسالته ، وخاف عليه من الفشل .

١ - الحي اللاتيني ، ص : ٢٤٠

٢ - المصدر نفسه ، ص : ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤

٣ - = = ، ص : ٢٤٦

والتقى " سامي " " بجانين " في حي الوجوديين ، وفي سَهف من كهوفهم ولكن بعد أن أصبحت فتاة ضائعة . (١)

وحاول أن يصلح الخطأ الذي صنعه ، وطلب منها أن يتزوجا ، ولكنها رفضت ، وطلبت منه أن يعود الى وطنه ضمن رسالة طويلة تركتها له في مكان تواجدهما للسفر معا ، فحمل ذاته المحطمة ليجد أمه واخوته وأصدقائه هناك ، على رصيف ميناء بيروت بانتظاره .

ونستطيع القول ان الجزء الأخير من هذه الرواية يشب في سبيل الغاية الكبرى التي وصل اليها " سامي " وجانين ، بسبب روايتنا لتأليده ، وعرقه الذي حمله معه من الخنسدق الغميق ، هذه الرواسب التي صنعت مأساة جانين مونثرو ، التي هي من أهم عناصر نجاح هذه الرواية . . عنصر ، رسمه سهيل ادريس بدقة واتقان ، وأعطاه شخصية حية قوية رغم تلاشيتها في سبيل العكرة الواحدة ، وهي فيها الخوف والتردد ، وفيها الحذر والترقب ، وفيها الضعف والاستسلام ، وبين أجزائها جميعا قوة تضمها وتربطها ربطا نفسيا محكما ، يعطي الاحساس المنفعل كاملا ، ويبني التصدع الناشئ عن عرض الأفكار بانطلاقها الحرس .

ان هذه الرواية تبدو في بعض فصولها مهتمة بالتفاصيل اعتمام " اليوميات " ولفسة كاتبها تتداول فيها الضمائر الثلاثة ، الأمر الذي يخرج أسلوبها على الاسلوب العربي المتواضع عليه ، والذي ينجح بجماله ، وعمدته وتسلسله الرشيق ، ولكنها بنا واقع في الرواية العربية . وخير ما فيها هو التراجع والضعف والقوة الى القلق والحيرة ، بعد مراحل أوعمت بالتغلب عليها ، ولا نرى في هذه العودة الى نقطة البداية نقيصة في الرواية ، انما نرى فيها أحد جوانب القوة ، وذلك أن النغم الأساسي الموجه للرواية ، هو هذا القلق الذي ينطلق اليه باحثا نومه الشاب العربي ، وهذا التلمس الفاضل الذي ينطلق اليه باحثا عن معنى وجوده ، واللقن الأصيل الذي تردده نفسه هو ضرب من العود الى الأبدى ، اذ يبدأ ويحضي ، ويستعد للبحث ، ويتوهم أنه وصل ، ثم ما يلبث حتى يرى نفسه في مكانه لم يبرحه ، وفي نقطة البداية لم يفارقها . ان المأساة التي كان " سامي " يبنيها ، وعجز عن اصلاح ما أفسدته رسالته ، نمسي عودته الى مجتمعه الجديد ، نراه في عودته ثانية الى مجتمعه القديم قد تغير موقفه العقلي لدرجة كبيرة ، اذ نجده يضيق بروحانية الشرق التي دأبت والدته على تنميتها ، عن طريق رسائلها اليه ، وسيعمل على تكييف شرقه على أحلامه وأوهامه وان كان موقفه النفسي يكشف عن كثير من التناقض . ان المشكله العاطفية واضحة في عمده الرواية وهي في احساس الكاتب ، وقد نواتقه ... بتحفظ - ليست الأساس ، فهي اذا نظرنا اليها في اطار من وحدة العمل الروائي ، ليست الا وجهها من أوجه الصدام بين تصورين مختلفين تجاه شيء واحد .

والقضية الرئيسية التي عالجها سهيل ادريس ، كانت تقوم على الصدام بين واقعيين وان أخذت في البداية صورة مشكلة عاطفية وكانت المحرك والوجه لنهاية حتمية لهذا الصراع ، تركزت



حول قيمة الواقع الذي عاشه في شرقه ، ومدى ما فيه من نزعة انسانية مستمدة من الشرق الذي لا يقر الغرب على نزعاته المختلفه .

ان هذه الرواية في عمقها لا تخاو من المثالية ، كما انها تستمد غناها الروحي من حرصها على مدارات اغتراب الانسان عن نفسه ، وعن عالمه ، وعن اخوانه بما يحيط به من امتيازات بيئية شرقيه ، ورشها من أسرته التي نشأت على الأخلاق والدين نشأة جعلت أمه قادرة على أن يكون لها رأيها المطلق في عمارة حياته التي بدأها في باريس ، ثم عاد فهدمها في لبنان ، ليعود للبناء مرة ثانية ، ولكنه يحتاج بالواقع الذي يحول بينه وبين ما يريد من رغم الحب الذي تكنه له " جانين "

وقد أنهى الكاتب روايته بقول موجز للنهاية ، " بل الآن نبدأ يا أمي . . (١) ولكن ، كيف ستكون هذه الهدايه ؟؟ هل سيتعلم من المأساة التي صنعها خلفه في باريس ؟ هل ستكون البداية باستقلالية تامه عن أمه ، أم ستقوم على الصراع المزدوج الذي صادفناه خلال مأساة هذه الرواية ، أم سيكون نتيجة ما تعلمه قادرا على أن يأخذ بيده ، فيتحدى التقاليد والعادات مثلما فعل في الخندق العميق ؟

لا نغالي اذا قلنا أن حضور سهيل ادريس في هذه الرواية هو المشكلة الاساسيه فيها ، فهو ينحاز ولم يكن موضوعيا في تناول/هي من أخطر قضايا عصره ، بل انها على المدى الطويل من أخطر قضايا الانسان ، ولهذا سيظل أكثر النقاد ينظرون الى هذه الرواية على أنها مجرد صفحة من حياة الكاتب في باريس ، أو يعبرون بسرعة فوق القضية الخطيرة التي عرضها بغير حياء .

والسؤال الذي نطرحه الآن : الى أي مدى كانت نهاية هذه الروايه بداية ؟؟  
اجل روايته " أصابعنا التي تحترق " تحمل الكثير من الاجابة على هذا السؤال .

ز / د

"المبحث الثالث"

اصحابنا التي تحتل (١)

١- زمانها :

تتناول هذه الرواية فترة تاريخية معينة ، يمتد من سنة ١٩٥٢ وسنة ١٩٦٢ م كانت هذه الفترة التاريخية من أخرج الفترات على الأمة العربية ، حيث ابتدأ الشعب العربي يتحرك من غفوة الطويله ، ويتطالع الى الانطلاق رغم المؤامرات الاستعمارية الكثيفة التي كانت تواجه الأمة العربية ، وفرضت عليها وجود دولة الصهاينة لتضرب بوساطتها جميع القوى الوطنية اذا يقدر لهذه القوى أن تتحرك .

ونرى في هذه الفترة التاريخية بالذات أن معظم الدول العربية كانت تتحكم بها الرجعية التي لا تحيد عن كونها حارسا أميناً على مصالح الغرب ، على حساب مصالح الأمة العربية ، لذلك كانت الحركات الوطنية تحارب وتهاجم بقوة من حكام العرب ، الذين كانوا يطلقون على كل حركة تحرير وكل منظمة تناوى الاستعمار اتهامات تدينها بالشيوعية ، لما كان للاشيوعية من أثر سيء على النفوس ، نتيجة للأسلوب الاستعماري الغربي الذي أظهر الشيوعية بمظهر عار عن الدين والأخلاق والمبادئ الإنسانية ، وهم في الغرب - يعرفون جيداً ، انما هذه التهم ليس الا لخرط الأمة العربية المتخلفة بركاب الاستعمار الغربي الذي يتسلط على رقاب الشعوب وخيراتهم بوساطة نئة من أبناء هذه الشعوب ، يصنع منهم ملوكاً أو أمراء ليحكم من خلالهم ، ويخفي وجهه من وراء أقنعتهم المزيفة ، ولكن هذه الأمور لم تخفى على الوطنيين الأحرار من أبناء الشعوب ، فارتفعت أصواتهم تتحدى هذه البدع ، وتدعو الشعب للتكفل ضد قوى الغدر والخيانة ، فوجدت الأحزاب - على اختلافها - شعبياً متعطشاً للمبادئ التي تناوى الاستعمار في هذه الأمة العربية ، فالتفتت الى الشباب تدعوهم الى الانطلاق ضد هذه القوى النادرة ، فانخرط الشباب في أحزاب مختلفة ، جميعها تدعو - وان كانت بعض الدعوات تضليلية - الى مناهضة الظلم والظفیان ، والى الوحدة بين أبناء الشعب الواحد ، الأمر الذي أدى الى قيام تكتل شعبي - وان كانت الحكومات العربية متفرقة ومتنازعة الى الوحدة (٢) ولكن ، الى أى مدى حقق الشعب ارادته خلال هذه الفترة التي تعرضت لها هذه الرواية ؟ سنجيب على هذا السؤال عندما نتناول الرواية درساً وتحليلاً .

١ - الرواية الثالثة لسهيل ادريس ، نشرتها دار الآداب ط ١ سنة ١٩٦٢ و ط ٢ سنة ١٩٦٧

٢ - لا نريد أن نسرد الحقائق التاريخية ، لأن كتب التاريخ الحديث ، والنشرات الحزبية الكثيرة تتناول هذه الأمور بأسهاب وتحليل ، يمكن الاطلاع عليها ، انما قصدنا من وراء هذا البسط الاشارة الى أن الأحزاب وجدت في هذه الفترة التاريخية التي تناولتها سهيل ادريس في روايته شعبياً يتوق الى التحرر من جميع الاقبات التي كانت تجثم على صدره .

وكما تتناول هذه الرواية أحداثاً تاريخية تتناول أيضاً جوانب من حياة كاتبها نفسه ،  
وتصور جوانب من الحياة اللبنانية في هذه العرجاء الزمنية المعينة ، من سنة ١٩٥٢ ولغاية سنة ١٩٦٢  
وقد ضمنها تطائعات محددة من تاريخ حياته أو ترجمته الذاتية ، وخصوصاً دوره الذي لعبه على  
مسرح الحياة بعد عودته من فرنسا ، حيث كانت السنوات الأربع التي قضاها في فرنسا غنية بما حصل  
من علم وبما أضفاه الى فكره وروحه من زاد ، وبما غيرت من مفاهيمه لكثير من جوانب الحياة والناس  
كما سجل في روايته " الحي اللاتيني " ملامح من حياته في تلك السنوات الأربع التي عاشها بين  
الكتب والناس ، وسجل حياته وأفكاره وآماله ، وحركاته ووجهه الذي ربطه بالحياة ربطاً متناقضاً (١)

## ٢- زمانها :

من الناحية المادية ، بيروت محاضرة لبنان ، أسبق الحواضر العربية اتصالاً بشقافة  
الغرب ، لموقعها الاستراتيجي الممتاز ، وقدم الجاليات الأجنبية إليها ، تتصارع من أجل  
كسب أكبر عدد من اللبنانيين ، سواء كانت جاليات اميركية أو فرنسية أو انكليزية أو روسية .  
ومن الناحية المعنوية ، في عقل المفكر العربي ، من كاتب أو شاعر أو صحافي أو حزبي  
سياسي ، فهي تتناول معظم الآراء التي كانت مطروحة آنذاك ، ومداوله بين أفراد الشعب ، سواء  
كانت آراء أدبية ، أو اجتماعية ، أو سياسية ، وتستطيع أن نصفها بوثيقة ثقافية اجتماعية سياسية  
- اذ! جاز لنا هذا الوصف - لأنها تناولت جميع هذه القضايا بقدر كبير ، حيث ساعدت بعض  
الأحداث التي واجهتها الأمة العربية (٢) على تحري الحقيقة الاستعمارية وكان من نتائجها تكمل  
الشعب العربي في صف واحد ضد القوى الاستعمارية ، الأمر الذي دفع الدول العربية الرجعية  
الى أن تلوذ بالصمت ، أو تعالي شعبيها خوفاً من غضبه ، فارتفعت الشعارات الوطنية وأخذت  
الأحزاب تنادي ضد القوى الفادرة .

## ٢- أشخاصها وأحداثها :

" سامي " هو الشخصية الرئيسية في الرواية ، وتقابله " الهام راضي " الحبيب  
والخطيبة ، ثم الزوجة الراحمة المحبة الصادقة ، وتقابلها رفيقه شاعر ، وسديحه صادق ، وعصام  
حلواني الشاعر موعبه سلطان ، وسلمى عكاوي ووحيد حقيقي ، وعائني النسيب وكريم وسيمير . وهناك  
شخصيات ثانوية تمثل في الأمة العربية ، والأحزاب السياسية .

وأحداث هذه الرواية متنوعة ، تربطها سلسلة واحدة ، ولكن كل حلقة لها معنى خاص  
بها وان كان هناك رابط قوى أو ضعيف بين كل حلقة من حلقات هذه السلسلة القصصية ، التي تتناول  
قضايا مختلفة ، فهي رواية حب ، كما هي رواية سياسية واجتماعية وثقافية . . . فكل بطل مسن  
مجموعة أبطالها له دور خاص يقوم به ، واه نكهة خاصة . . . هناك الدور البطولي ، والدور السياسي

١ - هرب من التقاليد ، فبدأ إليها مع عودته الى بلاده .

٢ - تأمين مصر للقناة ، وحرب انسيوس ضد العدوان الثلاثي .

والدور الوطني والدور الاجتماعي ، وحتى الدور الاقتصادي ، لذلك أتت أحداث هذه الرواية متنوعة أو أشبه بمذكرات يومية تعيشها البطل بنفسه ، فأنت صورة واضحة عن الحياة التي تناولتها هذه الرواية ، وعن أشخاصها ، وخصوصاً صراحة البطل وصدقته في اللهجة والتعبير ، نقدم لنا لوحات تعبيرية لا تخرج عن معنى ما كان يدور في البلاد العربية من مآسي ونظم متعارضة ، وحب صادق ، وشذوذ لم يتطرق إلى وصفه أحد من قبل ، ولعل نزعة الكاتب الواقعية هي التي شددت السى استعراض بعض الحقائق التي أتت مضمونة بين قضايا هذه الرواية ، ويمكن سلعها عنها دون أن تترك أى فراغ في سير القصة وأحداثها ، ولكن الواقعية التي كان يحياها سهيل ادريس في أدبه هي التي أنزمته بعرض مثل هذه القضايا ، وخصوصاً / <sup>دوره</sup> قبله سلطان " (١) الذى بواسطته استطاع ان يخطو خطوة واقعية جريئة لم يخطبها كاتب من قبل ، ونا عودة إليها عند التحليل .

اذن ، فأحداث هذه الرواية متنوعة (٢) ومصبوغة بالصهنة الوطنية ، وان كانت القضايا الساطفة هي الغالبة ، انما الهدف الرئيسي للكاتب من هذه الرواية هو تسجيل القضايا الوطنية ، وتأكيده التزامه بهذه القضايا ، وخصوصاً بعد أن اطلع على قضايا الفرنسيين وأدبهم ولكن ، هل استطاع سهيل ادريس أن يرى لدعوته أبعاداً ايجابية ؟ وما مدى تأثير هذه الأبعاد على القراء العرب ؟ هذا ما سنظهره عند التحليل .

#### ٤ - جوهرها العام :

الجوالعربي الذى ثقله قضايا الحرية والتحرر ، وتعبث به أعواء أبناءه . وقد حدثت خلال هذه الفترة التي تناقشها هذه الرواية قضايا رئيسية في مصر ، مثل تأميم القتال (٣) والعدوان الثلاثي على مصر (٤) جعل هذا الجوالعربي مشحوناً بالقوة والحقد والكراهية ضد القوى الاستعمارية ، وكان لهذه القضايا أبعاداً سياسية واقتصادية وثقافية ، الأمر الذى أوقى الأمة العربية موقسفات الحرض والحذر ، وتحين الفرص للانتقام ، لذلك اندفع الشعب بأجهزة اعلامه يحارب هذه القوى بكل امكانيات .

ونرى من خلال هذه القضايا أن الشعب العربي أخذ ينظر الى الاتحاد السوفيتي نظرة صداقه وود ، استناداً لمواقفه السياسية مع القضية العربية ، لذلك نرى بقدر ما تقلص النفوذ الغربي الرأسمالي كسب النفوذ الاشتراكي ، ووقفت الأحزاب اليسارية العربية موقفاً جريئاً ، مثل رأى الاثلية الساحقة من أبناء الشعب العربي الذى أخذ ينظر الى هذه الأحزاب نظرة إكبار واحترام ، ولكن الأمر لم يتم بالقدر الذى تمناه أبناء الشعب العربي ، حيث أخذت الرجعية تستعيد سيطرتها ونفوذها عن طريق الأحزاب المؤيدة لها ، كما أخذت الحكومات الرجعية تحارب الأحزاب لتقدمية الاشتراكية ، وتسجل عليها خطواتها . من هنا ابتدأ الصراع أشده بين الأحزاب اليسارية والأحزاب اليمينية ، لتوحيد الشعب الى قضايا فرعية بعيدة عن القضية الرئيسية ، وهي قضية تحرير أرضه وحرية وعدالته الاجتماعية .

- ١ - أصابعنا التي تحترق ١١٥ و ١١٦
- ٢ - ولكنها تروى جانباً من حياة مولدينا في صباه ، بين عمله وعشيقته ، وعن واقعيه مرتبطه بالحياة أشد الارتباط . فالبيئة التي تمثل البيئة العربية التي تعيشها في دمائنا العربية .
- ٣ - تم تأميم القتال سنة ١٩٥٦ م
- ٤ - سنة ١٩٥٦ م أيضاً

وقف الأديب العربي موقف المؤيد من جهة ، والمعارض من جهة أخرى ، حسب ارادة كل نعمة . وابتدأت النظريات الاجتماعية والثقافية والسياسية تطرح على بساط البحث والمناقشة الأمر الذي ثقف الجمهور العربي ثقافة مختلطة بين الاجتماع والسياسة ، دفعته الى العداليه بحقوقه السياسة والاجتماعية والاقتصادية . فتطورت النظم السياسية من حلقه ضيقة ، تضم فئة معينة من الناس ، الى نظم متطورة تنظر الى الفرد والمجتمع نظرة منطقيه ، تؤكد ان الفرد الصالح هو أساس المجتمع الصالح ، والذي هو بدوره أساس النظام الصالح ، لذلك عمل القادرون على اصلاح الأنظمة السياسية ، نوفق ناس ، وفشل آخرون ، ولكن التوفيق لم يكن بقوة الاصلاح الذي يقود أصحابه الى الحق والخير والاستقرار ، بل كان قدرة على التحفز ، ويقظة لهذه الأمة من سياتها العميقة الذي مضى وعفى عليه الزمن ، كما اوجد التعاون بين افراد الشعب العربي في كل مكان رغم ارادة حكامه ، الأمر الذي دفع الحاكم الى أن يقف أمام قراره أكثر من وقفة تأمل وتحديق نتيجة لهذا التلاحم الشعبي الذي أوجدهت نكسات الحكومات العربية .

#### ٥ - تسميتها :

لا أصل لهذه التسمية في اللغة ، ولكن أصلها في الاصطلاح نتيجة لما يلاقه رجال القلم في لبنان من مصاعب اقتصادية ، يكادحون كتابة حتى تحترق أصابعهم ، ولا يظفرون بلقمة العيش ما لم يقوموا بأعمال إضافية أخرى ، كالكتابة في الصحف والمجلات ، أو القاء المحاضرات ، فكانت التسمية تعني الجهد الكبير الذي يقدمه الكاتب من أجل لقمة العيش ، سواء كانوا في لبنان أو في غير لبنان من البلاد العربية ، نتيجة لعدم الحماية الأدبية ، حيث نرى كتاب الأديب - مثلا - منتشرا في جميع البلدان العربية عن طريق السرقات الأدبية ، حيث تطبع الطبعات العديدة ، بعيدا عن علم صاحب مؤلف الكتاب وجيبه !

سهيل ادريس يؤكد في روايته أن أصابع الكتاب والأديب تحترق بمواد الفكر ، موغرس قادرة على أن تقي أصحابها من العوز الذي يفرض عليهم البحث عن وظيفة ثانية تدفعهم الى مبالاة الحكام أو اتجاهات سياسيه معينه ، ولكنه في هذه الرواية يناقش هذه الظاهرة من منطلق بطلها ومجلته التي كانت تعاني من الافلاس في كثير من الأحيان ، الأمر الذي اضطره الى مناقشة هذه الأمور مناقشة منطقيه أكدت أن الالتزام في القضايا الوطنية أكبر بكثير من الالتزام بالقضايا المادية ، لذلك كانت دعوة سهيل ادريس للقضايا الوطنية دعوة عميقة الجذور أقام دعائها على سلم تجاربه من الحياة ، عبر وسط اجتماعي تتفاعل فيه جميع القوى الوطنية وغير الوطنية ، وعبر فترة زمنية تعتبرها فترة انتقالية ، نقلت المجتمع العربي الكبير الى عدد من الدولات ، تختلف أهدافها وميولها اختلافا متباينا ، نتيجة لاختلاف أهداف وميول حكامها .

بناء الرواية الفني يقوم على أساس السرد المباشر . وعملية السرد هذه موزعة بين " سامي " بطل القصة ، وبين حبيته " الهام راضي " التي اصطلحها دون غيرها ممن صادفهم عبر مرحلة حياته العاطفية ، وكانت على شكل مذكرات . وهذه الطريقة استطاع الكاتب ان يدخل

القارىء الى أعماق الفتاة ، ليكشف لنا قدرا معيناً من واقع الفتاة ، نستطيع من خلاله رسم صورة واضحة لفتاة العصر التي يجب أن تكون ؛ حتى تمسك بيد الشاب ، وتعيد بناءه من جديد ، بناءً قوياً يستمد منه الوطن القوة والعزة والمناعة .

الى أى مدى كانت هذه القضايا صادقة في حركات أبطال هذه الرواية ؟ هذا ما سنراه من خلال تحليلنا ودراستنا دراسة مرحلية لأحداث وأبطال الرواية التي أقامها كاتبها على عمارة العقده المفككة (١) التي أعطته حق التصرف في مناقشة جميع القضايا المطروحة في المجتمع العربي وابداء الرأي فيها عن طريق العقد الجزئية المكتملة للعقدة الرئيسية . وهذا النوع من الروايات يعطي الكاتب منطلقاً جديداً في كل مرحلة من مراحل النقاش التي يريد لها ، وتجعله قادراً على أن يتناول جميع القضايا عبر أبطاله ، لأن من طبيعة هذا النوع من القصص تعدد الأبطال وان كان الكاتب هو الذى يحركهم حسب ارادته ، ومقتضى الظرف الذى يراه ملائماً ، كما يفعل لاعب الشطرنج - وإذا جاز لنا التعبير - نستطيع أن نقول : إن سهيل ادريس في روايته هذه أشبه بلعبة شطرنج بارع ، حيث استطاع أن يحرك أبطال روايته على اختلاف ميولهم وأهدافهم ببراعة لاعب الشطرنج الخبير ، انما الفرق بينهما أن سهيل ادريس دائماً يكون في حوزته "الملك" الذى بوساطته ينتصر على بقية الشخصوس الشطرنجية ، فأكد لنا حقائق الحياة العاطفية والسياسية والاجتماعية التي عايشها ويعاني منها المجتمع أو يقره عليها ويعترف بها .

"أصابعنا التي تحترق" هي الرواية الثالثة والأخيرة التي نشرها مؤلفها حتى الآن ،

وبالعودة الى سيرة مؤلفها الذاتية التي تناولناها في الباب الأول من هذه الدراسة ، نجد أن هذه الرواية تناولت الكثير من حياته بعد عودته من فرنسا ، حيث ضمنها آراءه السياسية والقومية ، والعاطفية كما حاول أن يؤكد من خلال هذه الرواية أن الانسان الشرقي لا يستطيع أن يتخلى عن قيمه وعاداته الشرقية مهما طال اقامته في بلاد الغرب (٢)

قسم سهيل ادريس روايته الى قسمين متساويين تقريبا بعدد الصفحات والقضايا التي

تناولتها ، سواء كانت قضايا عاطفية أو قضايا قومية ، ونستطيع القول ان القسم الثاني من الرواية هو عبارة عن تفسير للقضايا التي أتت في القسم الأول ، كما توجد فيه حلول للعقدة الرئيسية ، والعقد الجانبيه .

١ - وهي من القصص الذى لا يكون له سلك ينظم كل حوادثه ، وليست له عقدة ، ففيه أكثر من عقدة ، وأكثر من بطل ، وأكثر من حادثه غير متماسكه . . . انه الحياة الكبيرة التي تتفاعل فيها الشخصيات وتتصارع لتكون الحقيقة الفنية التي يهدى اليها الكاتب .

٢ - نراه يرفض "رفيقة شاكر" التي حاولت أن تمثل امامه دور بنات باريس ، ويتمسك بالهام راضي ذات النشأة الدينية التي تحترم تقاليدنا وعاداتنا الشرقية ( راجع القسم الرابع والسادس والثامن من الروايه ) .

## القسم الأول :

في هذا القسم ، نرى المؤلف يستعرض كل ما حصل معه بعد عودته من فرنسا ، وما صادفه من أحداث في لبنان ، البلد الذي تركه ليعود اليه مزودا بالعلم والمعرفة حتى يساهم في تقدمه عن طريق المجلة التي أنشأها ، وألزمها بالقضايا العربية التي تعاني من الفساد الذي يتمثل في الحكام ونفوسهم ، وينظرتهم للقضايا الوطنية من خلال منظار مصالحهم الشخصية ضارين مصلحة البلاد القومية عرض الحائط .

يبدأ المشهد الأول في الرواية بدخول " الهام راضي " الفتاة البعلبكية الى مكاتب المجلة ، وتعرفها على بطل الرواية " سامي " ، يدور نقاش بينهما ، وتخبره عن المصادفات التي سمحت لها أن تسمع رأي " هاني الغريب " في السيارة التي نقلتها من بعلبك الى بيروت . كان ملخص المناقشة أن " هاني الغريب " له مأخذين على مجلة " الفكر الحر " وهما : الأول : أنها - أي المجلة - تلتزم قضية ، لا تميز فيها بين الأبعاد السياسية والاجتماعية والفكرية . والثاني : أنها تلتزم القضية العربية بالذات ، وهي في رأيه ، مجلة لبنانية (١) وكان المفروض من المجلة الأدبية ألا تهتم بالقضايا السياسية وغيرها ، وهي بدورها تعتبر المأخذين على المجلة عما ميزتها الرئيسيتين ، فأدعشه أن يرى فتاة جميلة ، تعي من قضايا الأدب أكثر مما تحتمله طالبه (٢) الأمر الذي يؤكد أن هناك رغبة ملحة في عقل هذه الفتاة للتعرف على " سامي " صاحب المجلة ، ومن جهة ثانية نرى أن " الكاتب " يرى في هذه الفتاة قضية مختلفة عن القضايا التي تناولها عبر روايته " الخندق العميق " و " الحي اللاتيني " فهي قد اشتركت في المجلة ، وهوأي " سامي " قد أهداها روايته الجديدة كهدية ، كتب عليها جملة اعداء قبلتها بعد تردد ، لأن المفروض منها الاتعريف بالرجال ، فضلا عن أن تزورهم في مكاتبهم (٣) أي انها لا تزال متمسكة بتقاليدها ، وحرصت على الاحتفاظ بها كل الحرص ، فاندفع يتمسك بلقائها مرة ثانية بحجة الوقوف على رأيها في روايته رغم أنها أصبحت رواية قديمة (٤)

ومقابل هذه " الالهام " نجد " رفيقة شاكر " السورية التي أخبرته أنها قادمة الى لبنان ، الى المصيف لتقضي فترة من الزمن . وهي لم تأت الا من أجله . ويلتقي " سامي " بها وتقدم اليه صديقتها اللتين انسحبتا خارجا وتركاهما معا (٥) وانطلق " سامي " و " رفيقه شاكر " في مشوار طويل ، عبر الغاية القريه ، وهناك ، ضمها الى صدره ، وقبلها ، بعد أن سأله كيف يقبل بنات باريس (٦) .

ويقص علينا الكاتب قصة " سامي " ومغامراته مع " رفيقة شاكر " التي فكر فيها كوجهة عندما التقى بها ، ولكن نراه يغير رأيه بعد أن أعطته شفقتها في غابة " قرنايل " حيث راوده

١	-	أصابعنا التي تحترق	، ص : ١١
٢	-	المصدر نفسه	، ص : ١١
٣	-	= =	، ص : ١٥
٤	-	= =	، ص : ١٦
٥	-	= =	، ص : ٣٦
٦	-	= =	، ص : ٤١

احساس غامض بعدم جدية هذه الفكرة ، لأنه كان على شبه اليقين من أنها متبنيه جسدها فسي لقائهما التالي ، فاعتبرها فتاة مغامرة ، ليس أكثر من فتاة مغامرة ناضجة الاثوثه (١) وهذا الرأي الذي يقره مقابل رأيه " بالهام " الفتاة الخجولة ، التي تحترم التقاليد وتؤمن بحرية الرأي ، ولكنها ترفض الحرية بملقا الرجال ، عكس " رفيقة شاكر " (٢) التي أتت خصيصا من بلدها لمقابلته وهو الذي أمضى فترة زمنية من حياته في باريس ، جعلته قادرا على ابداء الرأي في أمور الحب والعاطفه ، نتيجة خبرة حصل عليها من خلال تجاربه هناك في فرنسا .

بفضه " رفيقة شاكر " يعود بنا سهيل ادريس الى " الحي اللاتيني " وكذلك الى " الخندق العميق " ، عودة التقاليد التي تدخلت في شؤون حياته . " فسامي " الذي لعب دوره في " الحي اللاتيني " ترك جانين مونترودافع التقاليد التي هجرها في " الخندق العميق " نراه يعود من جديد الى تقاليده التي هرب منها ، يرفض " رفيقة شاكر " لمنحه شفتيها ، اما تلك " الالهام " التي حالت بينه وبين ما كان يتمناه من اختراق حواجزها ، نراه يتعلق بهما ويحس بقيمة وجودها ويلاحقها ، ويعرف نفسه من خلالها ، فتقوده الى حياة عاطفه مستقره . ومن هنا نقف على رأيه " في الحب " ، واذا كان هذا رأيه في الحب ، فما هو رأيه في السياسة والقضايا الوطنيـه (٢)

تناولنا رأى سهيل ادريس في الحب ، لانطلاق هذه الرواية من موقف يدعو اليه ، وارتباطا بموضوع روايته السابقتين ( الخندق العميق ، والحي اللاتيني ) اللتين أقامهما على الحب الذي لعبت به التقاليد ، وحالت بينه وبين طلابه الذين انخرطوا في الحياة الاجتماعية الجديدة التي اختلفت عن حياتهم في مجتمعهم الشرقي ، وكانت ذا أثر فعال عايشهم حتى بعد تخرجهم من مدارس الغرب .

اذا تخطينا العلاقة العاطفيه التي ربطت بطل الرواية بعلاقة زوجيه ، أعطته قدرا من الراحة النفسية ، جعلته يفكر بهوم بلده وأمه ، ويوجه كل تفكير تجاه القضايا السياسيـه والقوميـه ، نجد أن رأيه السياسي يتناول الكثير من القضايا التي تتحكم بالنفوس ، وتقسّمها الى أحزاب وفئات متناحرة عقائدياً واجتماعياً وعلى مستويات مختلفة . ونراه ذا رأي مقروء لكونه صاحب مجلة ومن المجلات التي تكتب فيها أقلام معروفة للقراء .

اذن ، فالرواية هذه تدل - بوضوح تام - على مهدي سهيل ادريس السياسي والقومي ، كما تدل على رأيه في سياسة الدول العربيـه المجاورة لبلده لبنان . فبطل روايته صحفي وأديب ، وصاحب مجلة ، وقادر على الكلمة ومسيطر عليها ، ويحسن التعبير عنها وينقلها الى قرائه في جميع

١ - أصابعنا التي تحترق ، ص : ٦٢

٢ - " ولم يدرب بعد ذلك الأمت شفتاه الذراع ، أم ظلنا قريبتين بعيدتين ، ولكنه فوجيء بيدها تلك تنفرج أصابعها فتترك القلم يسقط على المكتب ، فيما هي ترتعش ، ويسمعا تقول في صوت واهن : اعذرنى ، انني أضغ لك وقتك " ص : ١١٢

٢ - لمزيد من الاطلاع على رأيه السياسي ، يمكن العودة الى الباب الأول من هذه الدراسة تحت عنوان ، عقيدته الفكرية والسياسية .



البلدان العربية كما ينقل آراء غيره من الدارسين والأدباء والفلاسفة ، وكان مجلته مدرسة ، تعلم جميع القضايا السياسية والقومية والاجتماعية لذلك نراه لم يكن عامشيا ، بل كان له موقف ، وموقف معين التزمه تجاه القضايا الوطنية والحرية والاشتراكية ، ولم يستطع أن ينسى أويتناسى ما يجرى حوله ، وإذا فعل ، فهو يخون مصره (١)

إذا كان سهيل ادريس واضحا في موقفه القومي ، فهذا لم يمنع أن يكون واضحا في موقفه تجاه الأحزاب السياسية ، كالحزب الشيوعي ، والحزب القومي السوري ، ولا ينكر ما كانوا يتهمونه به من الانحلال والعدمية ، والعداوة للقيم البشرية ، نقد اتهمه الشيوعيون ، بأنه بورجوازي ، قدر ، وعميل استعمار غربي منذ عاد من باريس وأنشأ مجلته . . عميل للثقافة الفرنسية بوجهها الرجعي ، وما ينشره عن ركب الانسان الصاعد ما هو الأراجيف ، وأكاذيب يستقيها من مصادر غريبه ملوثة لا هم لها الا تشويه حقيقة تلك الطليعة الواعية ، وما جور للغرب ، ووكيل ثقافة انحلاله (٢) ورغم كل هذه الصفات التي كانت تطلق عليه من الشيوعيين العرب ، كان له عليهم مأخذ واضح وهو : أنهم يحجرون الفكر ضمن حدود مرسومة ويقيمون دون تخطيها أسوارا منيعة ، يقتلون بذلك أعظم مزية للفكر . (٣)

كان المبدأ العام الذي يراه من خلال الأحزاب ، وهو أن هذه الأحزاب على اختلافها هوياتها ومبادئها لا تخدم القضية الوطنية بقدر ما تخدم خالقها ، ومصالحهم الذاتية ، وهذا ما يرفضه سهيل ادريس . وإذا هو يتفق مع الأحزاب ، فمن أجل الأمة والوطن . لا من أجل حفنة اشخاص ، أو نظريات مختلفة المفاهيم ، بعيدة عن الانسان وقيمه . ان سهيل ادريس لا يرفض وجود الأحزاب ، ولكنه لا يريد أن يكون عضوا من اعضائها ، لأنه غير مستعد للتخلي عن مصلحته القومية ، وان كانت هذه التجارب تختلف بين شعب وشعب ، وليس لها قوانين واحدة . . وإذا كان لا بد من الأحزاب والانخراط فيها ، فيجب أن تكون احزابا وطنية تخدم الأمة والوطن .

إذا كان رأى سهيل ادريس في الحب واضحا ، وكذلك في السياسة ، فلن يكون رأيه في الصداقه أقل وضوحا ، بل كان أكثر وضوحا . فالصداقه برأيه ، وبالبحاح ، لا تعني تبعية منه لأحد ، ولا تعني وساطة انتفاع لفئة هنا مأمورة لفئة هناك (٤) من هذا المنطلق أطلق حكمه على الشرق والغرب ، وأظهر حيادية واضحة ، فتناول الشرق والغرب .

إذا كان مأخذه الرئيسي على الثقافة الشيوعية أنها لا تتمتع بحرية الفكر ، فهو لا يمتدح الغرب بل يرى ان الثقافة الغربية قد تحرم ايضا من حرية الفكر ، وتوجه اتجاها يمينيا رجعي . ومن هنا كان موقف مجلته " الفكر الحر " موقف رفض انحياز الى الثقافة الغربية أو الثقافة الشيوعية ، حيث أخذت تعامل مختلف الثقافات الأجنبية على قدم المساواة ، لا تتحاز لاحدها ، ولا تعادى

- 
- ١ - أصابعنا التي تحترق ، ص : ٤٦
  - ٢ - وقد بنى الشيوعيون رأيهم هذا على روايته " الحي اللاتيني " . أصابعنا التي تحترق ص ٤٦
  - ٣ - المصدر نفسه ، ص : ٤٧
  - ٤ - = = = ، ص : ٤٩

أحداً ما لصلحة أخرى ، وإذا كانت "المجلة" تكشف عن كبت الحريات في الديمقراطيات الاشتراكية فهي تفضح كذلك انقيادية الأدب العربي في بعض مظاهره للاتجاهات الفاشستية والكارثية ، وعلى هذا كان موقفها مرتبطاً بصالح الفكر العربي الذي يريد أن يخطط طريقاً مستقلاً يوءن من بحرية الفكر اطلاقاً ، بمعزل عن أى تأثير (١)

ولم ينس سهيل ادريس التعبير عن رأيه في البلاد العربية من رجعيه وتقدميه ، وخصوصاً في العراق ، نتيجة تكرار منع مجلته من الوصول الى قرائها العراقيين ، وعم الذين يؤلفون السوني الرئيسية الاولى لرواجها ، وعملية المنع هذه كانت قائمة على أساس أن المجله تتناول القضايا الوطنية ، وحكام العراق آنذاك يمنعون الأقلام من أن تعيش حريتها ، حفاظاً منهم على كراسيهم التي تنهض قوائمها على الاستغلال والجشع . . . وأتى لهؤلاء الحكام أن يحسوا نعمة الحرية وكراسيهم مهدده بعبودية الخوف والانهيار (٢) الأمر الذي أدى الى انقلاب عسكري (٣) ، أطاح بالحكم الجائر ، وأعاد البلاد الى الحضيرة الوطنية .

من هذا المنطلق أيضاً نحس بالصعوبات المادية التي كانت تواجه دفع المجله الى الأمام ، لتصل الى قرائها ، وتتابع مسيرتها (٤) لتظل قادرة على أن تحمل رسالة الحرية ، وهذا ما يؤكده لنا حقيقة الحياة السياسية التي كانت عليها الأمة العربية الموزعة بين دويلات رجعيه أو تقدميه ، وكلا النوعين كان يكتم الأصوات ، لا يريدان أن ترتفع حتى تعم الأرجاء ، وتشد أفراد الشعب بعضهم الى بعض ، وتبني قاعدتهم على المحبة والأخاء والعدل والمساواة ، لذلك كانت المجلات والصحف الوطنية أعجز من أن تتابع سيرها الحثيث . . . ومن هنا وجد سهيل ادريس أن مجلته ستختفي من عالم قرائها إذا لم يتوفر لها الدعم المادي غير المشروط ، فعمل على انشاء " دار الآداب " لدعم المجله من جهة ، وتتم رسالتها على صعيد أوسع وأعمق بإصدار الأثار القومية والفكرية والأدبية التي تنتجها الطليعة الواعية من الأدباء المعاصرين (٥)

بالقاء نظرة سريعة على القضايا التي تناولتها هذه الرواية في قسمها الأول نجد أن سهيل ادريس قد أرنح للقضايا العاطفية من خلاله وخلال أصدائه ، كما أرنح للقضايا السياسية التي تهمة أمته العربية ، ثم تناول الصعوبات التي واجهت مجلته ، وحاولت ان تعطل مسيرتها ومن ناحية الحكمة القصصية ، من الناحية الفنية ، نجد هذا القسم لا يملك الحكمة القصصية التي عودنا عليها في قصصه القصيرة ورواياته السابقة ، لأن هذه الرواية بالأصل لم توضع لتتناول قضية واحدة ، تحت سيطرة عقدة قصصيه واحده يحركها بطل واحد ، انما البطل هنا ، هو عبارة عن راوٍ يقص علينا ما حصل معه ومع أصدائه ومعارفه بعين اليقين ، وان كان يتحدث غالباً عن علاقاته الشخصية مع أولئك الزملاء والأصدقاء .

- ١ - أصابعنا التي تحترق ، ص : ١٥٧
- ٢ - المصدر نفسه ، ص : ١٠٣
- ٣ - تم الانقلاب العسكري في العراق في ١٤ تموز ١٩٥٦ على الحكم الملكي الجائر ، واستبدل نظام الحكم من ملكي الى جمهوري اشتراكي .
- ٤ - أصابعنا التي تحترق ، ص : ( ١٠٠ - ١٠٤ )
- ٥ - المصدر نفسه ، ص : ١٨١

وإذا اردنا أن نحدد حبكة القصة في هذه الرواية ، نعتبرها ذات حبكة مفككة ، تقوم على دعائم من حبات نرعيه متضاربة ، كان القسم الأول من الرواية مسرحا لهذه الحكيمات مجتمعه ، تسير في طرق مختلفة ، قد نستطيع الوصول الى حل كل هذه العقد في القسم الثاني . ونستطيع القول ان في القسم الأول من الرواية بدايات قضايا مختلفة ، وكل قضيه ذات حبكة مستقلة ، نجد أبعادها في القسم التالي الذي يعمل على حل العقد المترابطة ، والتي تؤول بدورها العقدة الرئيسية للرواية .

### القسم الثاني :

لم يسلم سهيل ادريس في طريقة عرضه للأحداث في هذا القسم ، بل نراه يسترسل به ، على شكل مذكرات تسجلها بطلة الرواية " الهام راضي " التي استطاعت أن تكون حبيبته ، فخطيبته المدلل ، فسكرتيرة أعماله الأدبية وتشرفى على جميع مراسلات المجلة ، وخصوصا المتعلقة به شخصيا ، مع أنها تعرفى عنه كل شيء ، حيث حدثها بالمواقف التي استمهلته كثيرا أو قليلا عبر مسيرة حياته ، منذ طفولته حتى الفترة التي تسبق إعلان الخطوبه . . . ولم ينس أن يروى لها نشأته الدينيه في عهد حدثه (١) ولكنها مع كل ما حدثها عنه ، فهي تشعر بالغيره ، وتود لو تستطيع أن تتحقق من جميع أقواله . . . فهي لا تشك بأقواله ، ولا تؤمن بها كل الايمان . . . فغريزتها كأنشى تظل في نفسها حلقة مفقوده تجاه من تحبه ، تريد أن تجد هذه الحلقة ، لذلك كانت الهام تتطلع على كل رساله وارده ، لعلها تجد الحلقة المفقوده التي تحس بها نحوه . هنا لا بد من وقفة قصيرة ، نعود بها الى طفولة " سامي " وحياته في روايته " الخندق الغميق " فنرى أن " سامي " في كلتا الروايتين شخصيه واحده ، وإذا حاولنا أن نربط بين هذا " السامي " وذاك في " الخندق الغميق " ، والثالث الذى مثل دوره في الحي اللاتيني بباريس ، نجد ان الثلاثة هم شخص واحد ، ولكن هذا الشخص الواحد عاش حياته في مراحل ثلاث ، كانت المرحلة الأولى في " الخندق الغميق " وان كانت هذه الروايه هي الثانيه - حسب ترتيب النشر والطباعه - سبقها رواية " الحي اللاتيني " التي كتبها بعد عودته من فرنسا . لنا وقفه ثانيه تأمليه هنا ، لنطرح هذا السؤال :

— لماذا كتب سهيل ادريس روايته : " الحي اللاتيني " قبل " الخندق الغميق " التي تتناول طفولته ، والتي هي الركن الرئيسي في حياة بطل كل رواية ؟  
الجواب على هذا السؤال يقودنا الى اعتقادين أو أكثر . . . فالاعتقاد الأول هو أن كاتب الرواية حرر التصرف في بداية روايته من النقطه التي يريد بها ، وينطلق بعدها الى نهاية عمارته الروائيه ، لارتباط رواياته الثلاث في رواية واحدة هي الرواية الكبرى ذات الفصول الثلاثة .

والاعتقاد الثاني ، هو ان سهيل ادريس ، بعد عودته من فرنسا ، ومشاهدته  
للتناقضات التي عاشها زملاؤه ، واختبرها بنفسه ، وجدها طريقا أفضل وبدايه ناجحه لكتابة رواية  
ناجحه ، تتناول حياته في فرنسا ، الحياة التي يتوق اليها كل شاب شرقي ، فوجد في كتابة هذه  
الرواية ، لأول رواية تعهد اناجحا لكتابات رواياته المنتظرة والتي - بالطبع - قد وضع خطوطها  
العريضة ، أو كان قد كتبها .

والملاحظة لأخيرة ، هي أن سهيل ادريس قصد من وراء تقديم هذه الرواية التوجه  
على أنها مجرد قصة ، ولم تكن تتركز على دعائم ذاتيته .

• • •

ان عمل "الهام راضي" كسكرتيرة للمجلة (١) واطلاعها على مراسلات المجلة ، جعلها  
تشعر بالخير تجاه علاقاته الفرامية . . . "بسميحه صادق" الأدبية التي أخذت تطارد خطيبها .  
مطاردة تعلق مضجعا ، وتشعل نار اتهامها لخطيبها الذي حاول اكثر من مرة أن يثنيها عن  
شكها وحيرتها (٢)

ونرى في هذا القسم أيضا ان "الهام راضي" تخبره عن نشأتها الدينية أيضا ، فهي  
قد ربيت في كنف الراهبات (٣) الأمر الذي يؤكد لنا أن هناك أشياء مشتركة بين كلا المنبتين  
تقوم على أساس من الدين والتقاليد والعادات ، وهي الأمور التي هرب منها يوم كان في "الخدق  
الغميق" يعارس دوره ، ليعيش في فرنسا ، بلد الحرية ، التي لا تنقاد الى التقاليد والعادات  
الضيقة ، نراه يعود اليها في "الحي اللاتيني" فتمزق أو اصر المحبة وركائز العهد بينه وبين  
"جانين مونترو"

من هنا نرى التناقض الذي عاش فيه بطل روايات سهيل ادريس ، أو بمعنى أدق  
نرى عودته الى المنطلق الذي رفضه وعرب منه .

ففي "الخدق الغميق" عرف الكثير من تقاليد الحياة الشرقية وعاداتها ضمن أسرته  
الدينية ، ضاق وضاع ، فهرب الى "الحي اللاتيني" وهناك وجد ما كان ينقصه في الخدق  
الغميق ، ولكنه سرعان ما عاد الى ما ضاق وهرب منه ، فرفض "رفيقه شاكر" - المتحرره التي تشبه  
فتيات باريس الى حد ما بتحررها ، هذا النوع من الفتيات الذي عدل الكثير من صفحات ماضيه  
واحتلها واحتفظ "بالهام راضي" التي أعادته الى ما كان قد هرب منه ، ففضلها على غيرها  
من المتحررات . وقد نعزي هذا الأمر الى حياته المنفدعه في فرنسا ، والتي تفرض على  
العاشق أن يتجاهل ماضي عشيقته ، لان صور الماضي تظل متشابهاة . . . اما في الشرق ، فالماضي  
له حساباته بمصرى التقاليد والعادات التي عاد اليها .

١ - أصابعنا التي تحترق ، ص : ١٥٢

٢ - المصدر نفسه ، ص : ١٧٧ - ١٨١

٣ - = = = ، ص : ١٤٢

هنا لا بد لنا من طرح سؤال ، وهو :

هل تستطيع "الهام" أن تنسيه بقايا الماضي التي علقت بقلبه وذهنه دفعة واحد ؟ وهل تستطيع هي نفسها أن تنسى ماضيه ؟؟ الأمر أيسر وأعمق لو انه لم يتخذ هذا الماضي على الورق (١) ولكنه ككاتب ، وهذا قدره ، فهو قد اختارها شريكة لحياته ، لاعتقاده أنها تدرك هذا القدر . ولكن هو ، كيف يستطيع ان يوفق بين فنه وزواجه ؟ انه مؤمن بضرورة ، التجدد في تجربة الفنان ، ليستلهم منها مادة انتاجه ، ولكنه يرفضه الا يطعن الواجب والاخلاق ، أي أن لحرية الفتاة حدا ، هو مسؤول وليته (٢) .

في هذا القسم أيضا ، يحدد سهيل ادريس حقوق الفنان ، ويسلط الأضواء على حياة الأديب في لبنان خاصة وان كانت هذه هي حياة جميع الأديباء في العالم العربي فيقول : ان الأديب لا يستطيع أن يعيش من انتاجه الأدبي ، لذلك يجد نفسه مضطرا للعمل في ميادين أخرى ، كالصحافة والتدريس ، أو حتى التجاره ، ليستطيع ان يؤمن معاشه ، وبذلك يصبح الأديب على هامش حياته ، وفي هذه الحالة لا يمكنه الابداع أو الجودة ، ولعل ندرة الانتاج القيم في هذه الفترة من تاريخ الأديب العربي مردودة الى هذا السبب (٣)

اذا كان سهيل ادريس قد تناول حقوق الفنان وحرية في لبنان ، فهو لم ينس ان يسلط الأضواء على ما للسلطة في العالم العربي من سلطان على الأديب والأديباء ، فيعترف بأن لبنان يتمتع بما لا يتمتع به أي بلد آخر من الأقطار العربية المجاورة من حرية التفكير والتعبير . وهذه ميزة يعتز بها ويفتخر ، غير أن الموضوع يجب ان يواجه على نطاق واسع ، فهو لا يخشى على أن تضيق السلطة في لبنان على حرته ، ولكنه يخشى أن تضيق عليها في كثير من البلاد العربية (٤)

من هنا نفهم دعوة سهيل ادريس الى الادباء للعمل على تحرير البلد من القيود التي تحرمه من ممارسة حرية الرأي والكتابة ، ودعوته الى تحرير البلاد من آفات الرجعية والاقطاع والتعصب والطائفية والتدجيل والاستغلال حتى تتمكن من ممارسة حريتنا في التفكير والتعبير من غير خوف أو ضغط . ولا نستطيع ان نتكر أن حامل الرسالة ، أية رسالة ، كحامل المشعل ، ينبغي له أبدا أن يرفع مشعله الى أعلى ، فاذا تهاون أو تراخى ، انقلب عليه المشعل فأحرقه . ومن هنا انطلق ايمانه في رسالة " مجلته " وأبى أن يتهاون في تأديتها أيا كانت قيمتها ، والحق للذين يسمعون ان يظنوا أنه يخدعهم (٥)

كيف استطاع سهيل ادريس ان يحرك شخوصه ، ويصل بهم الى مكان راحتهم المنشودة ؟؟ ان العقدة الرئيسية والعقد الجانبية تحتاج الى حل ، فكيف تصرف وحل هذه العقدة ؟؟

- ١ - أصابعنا التي تحترق ، ص : ١٦١
- ٢ - المصدر نفسه ، ص : ١٦٦
- ٣ - = = ، ص : ٢٠٧ ، ٢٠٨
- ٤ - = = ، ص : ٢٠٨
- ٥ - = = ، ص : ٢٢٣

ان العقدة الرئيسية هي التي تربط "سامي بالهام" ، جعلنا سهيل ادريس أن يرافقه في رحلة ذاتية لكلا الطرفين ، فعرفنا الكثير عن حياتهما قبل الزواج وعده ، الزواج الذي أتى صورة منطقية لحل العقدة الرئيسية ..

أما بالنسبة للعقد الجانبي ، فقد حلها بطريقة بعيدة عن الزواج ، " فرفيقه شاكراً" التي التزمت " بعصام حلواني " الشاعر ، جعلها تطارد كل أديب وشاعر حتى استقر بها المطاف بين أحضان " عصام حلواني " كعشيقة ، وظلت تمارس مهنتها مع عشيقها بنوع من التحدي " لسامي" الذي رفضها ..

وسميحه صادق ، التي أخذت تطارد " سامي" فثقلت في فرض حجبها ، وخصوصاً بعد زواج سامي ، ولكن المطاردة في هذه المرة عن طريق المراسلة ، جعلت الهام ترد على رسائلها الأمر الذي جرح كبرياءها ، فاتهمت بشتى الصفات المسيئة وحملت بعضها وعادت الى بلدتها من جديد .

ووحيد ، الثري ، الذي قدم المساعدة للمجلة ، أصبح فقيراً لانتمائه الى حزب الهلال ، أصبح يطلب مساعدة من " سامي " .. ثم نراه يذهب الى البرازيل ليجمع المال للحزب ، ولكنه يموت قبل أن يصل الى رئاسة الحزب ..

وكريم ، العضو في الحزب الشيوعي ، نراه ينسحب مرة ثم يعود مرة ثانية ، ولكنه يهاجم الحزب بعد تدخل الشيوعيين في العجسر ..

جميع هذه القضايا التي تناولها سهيل ادريس حافظ على بقائها دون نهاية حتمية ، بل جعلها كدايات لقضايا أخرى اذا اراد لها ذلك ، وهذا الأمر يؤكد حقيقة الواقع الذي يحياه سهيل ادريس .

ه ه ه

لا نستطيع أن نتجاهل أن سهيل ادريس كان بارعا في تصويره ، وكاد أن يقين عند هذا الحد ، وكان من حق القارىء عليه ان يتعمق في كشف جذور القضايا التي بنى عليها روايته ، لأن اثاره القضييه تستوجب اضاءة الطريق الى حلها ، ولكنه لم يفعل ، بل كان مصورا بارعا ووصافا رائعا ، ثم نراه يتوسع في تتبع مواقف وتجارب يضطرب فيها ابطال روايته ، بعيدة الصلة بالقضية المباشرة ، وعلى سبيل المثال ، قصة عبلة سلطان وشذوذها ورغبتها في مساحرة الهام (١) فعلى أي اساس ، وما هي الصلة التي تربط هذه القصة في تسلسل أحداث الرواية ؟؟ لعل ارتباط سهيل ادريس بالواقعية هي التي أملت عليه فيما استطرد اليه ، ولكنه في حرصه على نقل لوحته هذه نسي ما يوحيه الفن من عملية الاصطفا ، ومن ضرورة الاستغناء عن كل ما لا يستلزمه المنطق الداخلي في سير الصنيع الفني ، وهذا ما يؤكده رئيس خورى في قوله :

— والحقيقة التي لا تخفى على قارىء هذه الرواية ، أن سهيل ادريس قد صور

خلال هذه الرواية حقبة من حياته ، وحياة نخبة من أصحابه ، بين أول ظهور مجلة الآداب ومشارف

سنة ١٩٥٧ م

والأبطال الذين ترك كلا منهم يحيا حياته المنضبطة حينا ، والسائبة حينا آخر ،  
من عصام ، الى وحيد ، وكريم وهاني ، وعزيز ، ورفيقه شاكر وسميحه صادق ، وعمله سلطان ،  
تشفى ملامحهم عن هوياتهم الحقيقية ، وأشهد اني رأيت كثيرا من ملامح نفسي في كريم الهادي ،  
وان كان سهيل ادريس قد تصرف في بعض ما تصرف ، حسني أو شوهني ، فهو لا يدري! (١)

ه ه ه

### تقوم عام للروايات الثلاثه :

بالعودة الى روايات سهيل ادريس الثلاث ، نجد انه يتابع في طريقه خطأ واحداً من  
ناحية الفكرة العامة فهو تعود على أن يخلق عنصرين متضادين في كل رواية ويجعل الصراع قائماً  
بين هذين العنصرين ، ولا بد من تناقض رئيسي يدور حوله أبطال رواياته ، وهذا هو الاسلوب  
القادر على التعبير عن وجهات النظر المختلفة التي يتطرق اليها عبر أبطال رواياته ، دون تقيد  
بوجهة نظر معينة .

في رواية "الخدق الغميق" نرى سهيل ادريس يقيم الصراع على أشده بين سامي ووالده ،  
بين التجديد الذي لا يقره جيل الآباء ، وبين التقاليد والعادات التي تتحكم بنفوس هؤلاء الآباء .  
وكانت الرواية بكاملها تدور حول الصراع بين الجديد الذي يمثل "الابن" والقديم الذي يمثله  
"الاب" ولكن ، الى أي مدى انتصر الجديد ؟؟

في رواية "الحي اللاتيني" التي نقلت الكاتب من قديم الى جديد في كل شيء ،  
نجد النماذج البشرية تشابه الى حد ما النموذج البشري الذي شاعدهنا في "الخدق الغميق"  
ولكن هذه النماذج الجديدة طرأ عليها بعض التعديل ، ارتباطا بخروجها الى عالم أوسع .  
الى عالم الحي اللاتيني .

اذا كان "سامي" في "الخدق الغميق" يواجه والده ، نرى في الواجهة الثانية المقابلة :  
جانين مونثرو ، وأم سامي . . . وعنا نرى التقاليد التي كانت ممثلة في شخص الوالد في الخندق  
الغميق ، نراها هنا - في الحي اللاتيني - ممثلة في "الوالده" حيث تتولى القيادة من جديد  
بعد غياب الوالد من على مسرح الحياة . . . وهنا يقع الصراع من جديد بين سامي وحييته من جهه ،  
وبين امه من جهة ثانية ، ويكون الصراع في هذه المرحلة صراعا نفسيا ودينيا ، فيهدم من طريقه  
حواجز التجديد ، فيخضع لارادة والدته ، وينسلخ من حياة جانين ، رغم محاولته العودة الى  
حياته التي مارسها في فرنسا ، ولكنه فشل ، ولم تستجب جانين للعودة بعد أن خذلها وحكم عليها  
بالتشرد والحرمان وفي أصابعنا التي تحترق هذه ، نجد الصراع يرفع رأسه من جديد بين الجيلين  
ذاتهما : جيل قديم بقيمه وتعاليمه ، وجيل جديد لا يبعد كثيرا عن الجيل الذي صادفه هناك  
في بلد دراسته . ونرى اكثر من تناقض واحد في عمده الروايه :

تناقض دار حول الحب . وقفت في واجهتيه : " المهام راضي " من جهة ورفيقة شاكر من جهة ثانية . . . . . وبيد سامي دفعة الجيلين ، بعد أن عايشهما فترات طويلة من عمره ، ولكنه يترك دفعة الجيل الجديد ، ليمسك بدفعة الجيل القديم ، حيث يعتبر " رفيقة شاكر " المتحررة مجرد ذكرى ، وارضاً صالحه لمسرح العطاء دون الأخذ الذي يقيد صاحبه ، " المهام راضي " شخصيه ثانيه قادرة على الأخذ بقدر لا عطاء فيه بالشكل الذي يفرضه التحرر ، فتكون الغلبة لهذا الوجه من الحياة ، وتكون العودة الى أصول " سامي " الدينية ، حيث نرى رؤاسب التقاليد التي شرهها مع لبن أمه لا يغتا أن يشده اليهها .

وكما رأينا تناقضا في الحب ، نجد تناقضا في السياسة ، حيث كانت القومية العربية تقف في جهة مقابل الاستعمار كله في جهه معاكسة ، ونجد سوء فهمنا للقضايا التي كانت تدور حول العالم والمثلة بالأحزاب السياسي والعقائدية ، كما رأينا تناقضا وتضادا بين الأدب الأديب والحكومة .

اذن ، فالقضية عند سهيل ادريس قضية تناقض وتضاد ، أوجدها ليكون حرا في منطلقاته الى الأبعاد التي يريد ، ويكون موقفه موقف القوة والاندفاع امام جميع التكتلات التي قد تعارضه . . . . . ولكن ، هذا لا يعني أن هذه الروايات ليست وليدة معاناة حقيقيه لموضوعاتها ، ومعالمها العامه ما يناقش وصفها " بالتسجيليه " (١) أو انها ليست وليدة معاناة حقيقيه لموضوعاتها ومعالمها العامه أو ليست ذاتيه ، لأن التجربة الذاتية هي المداد العام الذي يغمس فيه كل كاتب قلمه ، وبعد ذلك يتوقف على قدرته في اخراج نفسه من العمل الفني ، ومنح الخصوصية سمة العموم ، والشخصية ملامح الغيرية ، وخلع الموضوعية بمبرراتها القومية على ما هو ذاتي في الأصل ولا شك ان الكاتب القوي المبدع هو الذي يخلق من مشاعره ، عالما خارجيا متميزا بنفسه عن تلك المشاعر . والتجربة الشخصية كالمادة الأولية التي يشكل منها الفنان مخلوقاً جديداً ، والفنان هو الذي يعدل من هذه التجربة تعدلا جوهريا في بعض أجزاءها على الأقل . والفنان لا يرضخ لاهوائه وأحلامه ، ولا يبقى دائما على المشاعر كمشاعر ، فكثيرا ما أحالها الى موضوعات فكرية مع بقائها في الوقت نفسه في منطقة الشعور ، وعلى هذا النحو أيضا الأشياء التي تتناول عادة من خلال الأفكار يحيلها الشاعر الى انفعالات ومشاعر دون أن تفقد من صفتها الفكرية الدقيقة (٢)

١ - نريد بالتسجيليه تلك التي تتخذ من رصد الظواهر والظاهر في جانبها الحسي مجالا لها ، ولا يعني ذلك بالضرورة انها تتجاهل الجوانب النفسيه ولكنها تعطيها مرتبه ثانيه أو ثالثه ، واذا اتجهت اليها فانها تجعل السبيل الى ادراكها هو الحركة الحسيه والمظهر الخارجي وقد تشارك الفوتوغرافيه في انها تنقل عن الحياة تنقلا مباشرا ، ولكنها تتعداه الى محاولة جعله علامه على وجهه نظر خاصه ، وهذا بدوره يقتضي وجود عنصر الاختيار في النقل عن الحياة والنظر من خلال زاويه رؤيه مؤيده أو تعين على تقرير وجهه النظر هذه ، ومعنى استقطاب الجزء المؤيد وابعازه ، واستبعاد الجزء الذي لا يعين على ذلك ، وقد يكون هو الجزء الأكبر والأهم في الحياة ذاتها .

لمزيد من الاطلاع ، راجع ( الواقعيه في الروايه العربيه ، لمحمد حسن عبد الله ، ص (٢٩٠ - ٢٩٦) وينا الروايه لأدوين مويرس ص ٨٧ - ١١١

٢ - ناصيف ، مصطفى ، مشكلة المعنى في النقد الحديث ، ص : ٥٦ وما بعدها . مكتبة الشباب بالمنيره - مصر .



فالشخصية الواحدة في عالم روايات سهيل ادريس الثلاث لا تسير وفق أهوائها ، بل تتبع واحدا أو اكثر من احتمالات التصرف الموجودة في بنائها منذ البداية . و " سامي " هو السذى يمثل هذه الشخصية ، وهي المسيطرة على الروايات الثلاث ، حيث تبدو جميع الشخصيات الاخرى بعدها ثانوية .

الاتجاه الواقعي التحليلي (أو الاتجاه الغالب على سهيل ادريس نتيجة تأثره المباشر ببعض كتاب الواقعية الاوروبية) ، ومن ايثار التحقيد الروائي الجاهز ، وهو ما أدى الى ارتباط التحليل برواية الشخصية ، فجاءت رواياته في عمومها أشبه بتاريخ لشخصيته ، ولكن مفهوم التحليل في الفترة التي نتحدث عنها قد اتسع كثيرا ، وكان لا بد أن يتسع ، فلم يعد همه البحث عن النموذج الشاذ ومحاولة الكشف عن كوامن عقده ، أو تحليل سلوكه أو تتبع انهياره اذا أصبح الاشياء أنفسهم يصلحون كظواهر تستحق التسجيل والتحليل . واذا وجد شذوذا في شخصيه ما فإنه لم يرد من الكاتب الى أسباب خاصه عاناها البطل في طفولته وصباه مثلا ، وانما صار المجتمع قسيما للظروف الشخصية والخاصة ، بل لعل تأثيره أقوى وأطول استمرارا ومن هنا كانت انعكاسات الاوضاع الاجتماعية وتأثيرها في تكوين شخصية سامي ، ومحاولاتها للتأثير في المجتمع عن طريق التمرد عليه .

أول ما يثار حول روايات سهيل ادريس انها ذات صلة واضحة بحياته وتجاربه الذاتية حتى يمكن اعتبارها ترجمة عن حياته - وقد فعلنا ذلك في الباب الأول - وسهيل ادريس لا يستطيع ان يتجاهل أو ينكر هذه الحقيقة وان كنا لا نستطيع أن نسمي أي عمل فني ترجمة ذاتية الا اذا كان مكتوبا على شكل مذكرات وبأسلوب السرد المباشر .

ونعتبر هذه الروايات من أنجح المحاولات التي استغلت الترجمة الذاتية لتقدم لنا رواية فنية حققت قدرا كبيرا من النجاح . فهو قد اختار تجربة حياته الخاصة ميدانا لرواياته ، ولم يستطع حتى في قصصه القصيره الخمسين أن يتعدى نطاق الأحداث التي وقعت له شخصيا . . .

---

١ - يمكن تحليل هذه النزعة الجديدة في التحليل بازياد الوعي الاجتماعي عند الكتاب حيث لم يعد الاديب ينظر الى الناس على انهم أفراد أو انهم يمثلون ظواهر مشتتة ، وانما صار ينظر اليهم على انهم أفراد في جماعة ، وان العطاء متبادل بين الفرد والجماعة ، وكما يمكن أن يكون ( ضحية ) لهذا الجماعة ، وهو في تخليه عن معناه الفردي يجنح ايضا الى تمثيل طبقه أو فئة من طبقات الجماعة . . .

وتقتصد التحليلية في المواقف ، وتهتم برصد الدوافع ، وتصوير الحركة النفسية ، وهنا تقل أهمية الوصف ولا يطول الحوار بين الشخصيات ، لان الكاتب - بعد الحوار المكثف - يجد أن شخصياته في حاجة الى أن تخلو بنفسها لتدير الحوار من جديد وعلى نحو آخر .

راجع الواقعيه في الروايه العربيه ، لمحمد حسن عبد الله ، ص ٢٧٥ و ٢٧٩ ط ١  
مطابع سجل العرب القايره سنه ١٩٧١

ففي رواية "الخندق العميق" يتحدث عن طفولته ،ومراحل دراسته الدينية وغير الدينية قبل أن يسافر الى فرنسا .

وفي الحي اللاتيني ، يتحدث عن حياته في فرنسا ، وكانت متناقضة مع حياته في الشرق .

وفي "أصابعنا التي تحترق" يتحدث عن حياته بعد عودته من فرنسا ، حيث عاد مثقلا بزاد الحضارة الأوروبية وفنها وأدبها وتقاليدها .

لا نحتاج الى محاولات كثيرة لاثبات هذه الحقيقة التي نطلقها ، لأن الكثير من الظروف التي عاشها وعاشها "سامي" في الروايات الثلاث تنطبق على ظروف سهيل ادريس نفسه .

ونستطيع أن نصدر حكما - بتحفظ - على أن سهيل ادريس كان عاجزا في انتاجه الروائي عن تجاوز اطار تجربته الذاتية ، والامتداد باحساسه الى حياة الآخرين وتجاربهم - وان حاول ذلك في روايته الأخيرة - ولكنه مع ذلك استغل التجربة الذاتية لتقديم بناء كامل متماسك تعرضنا له من خلال تحليلنا لرواياته الثلاث وقصصه القصيره ، فصفة الذاتية هي الغالبة على عطاءه القصصي والروائي ، وقد نطلق عليه صفة الغيرة بتحفظ أيضا ، لأن من حق الأديب على نفسه " ان يمتزج بمجمعه حتى يكون جزءا لا يتجزأ منه ، وحتى يعبر عن كل خواطره الجماعية ، وكل ما يموج به من افكار وأحاسيس " (١)

سهيل ادريس في مرايا النقاد

النقد<sup>(١)</sup> عملية تحليل وتقييم ، وكشف عماني الأثر الأدبي من قيم فنية ، سواء كان هذا الأثر من فنون الشعر أو من فنون النثر .

والقصة والرواية العربية ، عملان أدبيان هما من فنون النثر الحديثة ، وإن كان لهما أصل في التاريخ<sup>(٢)</sup> ، ويؤلفان مقومات العمارة القصصية والروائية لسهيل ادريس . فهما من أهم فنون النثر لاعتنائهما بالتحليل النفسي للأشخاص ، وتناولهما جميع القضايا التي يمكن أن نقدمها من خلالهما .

إذا نظرنا إلى القصة أو إلى الرواية من زاوية النقد ، نجد انهما لم تنالا عناية النقاد بالقدر الذي منحوه للشعر وقضاياه ، التي أقامت جدلاً أدبياً واسعاً ، كان له الفضل الأكبر في توجيه الشعراء نحو الأفضل ، في حين ظلت القصة والرواية بعيدتين عن مجال النقد ، لأن هذا الفن القصصي والروائي الجديد أتى متأخراً ، ولم تطرح قضاياها بديناميات مثيرة .

من هذا المنطلق ، حاولنا - بقدر الامكان - التعرف على الأقوال التي قيلت حول أعمال سهيل ادريس الروائية ، التي تعتبر من الأعمال الجادة ، التي تجمع بين الفائدة القصصية ، والروعة البيانية ، وكانت قاعدة ضخمة ، دفعت إلى نشوب معركة آراء مختلفة حولها ، وخصوصاً أن نائد العمل القصصي والروائي يالجب من القصة كما يقول محمد يوسف نجم - " أن تكون زاخرة بالحياة ، وذلك بأن تقدم له صورة موهبة منها تتسم بميسم الخلود والاستمرار مهما تنوعت المشارب ، واختلفت الأذواق ، وتباينت الميول والأهواء ، والمفاهيم الأدبية"<sup>(٣)</sup>.

لذلك ، كانت آراء النقاد مختلفة ، نحلل بعضها ، لنشير إلى قضاياها ، لا تخرج عن نطاق الشكل ، والمضمون ، والجديد فيها ، ونحصر ذلك في رواياته الثلاث ، التي هي - من وجهة نظري - رواية واحدة ذات فصول ثلاثة ، لأن كل رواية تسلم دورها للرواية التي تليها ، رغم نشر رواية " الحي اللاتيني " قبل نشر رواية " الخندق العميق " التي تمثل طفولة سهيل ادريس ، بينما الرواية الأولى تمثل مرحلة شبابه ودراسه في فرنسا ، أما الرواية الثالثة " أمابنا التي تحترق " فتمثل حياته بعد عودته من فرنسا ، بعد أن طبع

(١) كلمة النقد في اللغة ، معناها في الاصل تمييز الدراهم ، واخراج الزائف منها ، وهو يستلزم الخبرة والفكر والحكم ، وهو انسب المعاني التي أخذ منها معنى النقد الأدبي عند العرب .

(٢) راجع المعجمات ، وكتب النقد الأدبي . راجع الباب الثاني من هذه الدراسة .

(٣) نجم ، محمد يوسف . فن القصة ط ٥ ص : ٥٥ دار الثقافة بيروت سنة ١٩٦٦ م .

نظريات جديدة تختلف كلية عن نظريات الشرق بمفاهيمها التقليدية .

" الحي اللاتيني " / ١٩٥٣

١ - " ان " الحي اللاتيني " عمل فخم ، يدفع بالقصة العربية خدلات الى الأمام بل هي أروع بناء في الرواية العربية المعاصرة ، وليس يسعني ازاؤها الا أن أكبر ما فيها ، وأغبط مؤلفها عليها ، وأسأله أن يخون بغيرها عما قريب (١) .

• احمد كمال زكي - القاهرة

٢ - في " الحي اللاتيني " استطاع سهيل ادريس أن يجعل النفس الانسانية مسرحاً لصراع بين بيروت وباريس ، بين الشرق والغرب ، الشرق بأديانه وأخلاقه وتقاليده وجموده ورغبته في التحرر ، والغرب بتقدمه وثقافته ، ونزعة الاستعمارية أيضاً (٢) .

• يوسف الشاروني - القاهرة

٣ - " لقد أثرنا الوقوف عند جانب في الرواية يعتقد أنه جوهرها ومحورها ، وبهذا فاننا ان نذكر جوانب اخرى ، بعضها يتصل ببراعة الأداء ، والفن القصصي ، وبعضها يتصل بالقدرة على تحليل الاحاسيس النفسية الدقيقة ، والمؤلف في هذا كله موفق ، غير أن توفيقه لم ييسر له الا أنه قبض على مشكلة حية ، ووصف شيئاً عاناه ، فكان هذا الشيء الذي عاناه رائسده أسلوبه وفنه ، وصائح عباراته وإشاراته " (٣) .

عبدالله عبد الدائم ( أستاذ التربية وعلم النفس

في الجامعة السورية - دمشق )

٤ - قصة " الحي اللاتيني " تمثل الحركة الجريئة في أدبنا ، فهي من جانب تضمننا أمام قضيتنا الكبرى في وسط عالمي ، نستطيع أن نتبع من خلاله حقيقة واقعية داخلية عقدنا ، وأمراضنا ، وما نحن في حاجة اليه لننتصر على عقبات الطريق التي نسير فيها الى غاياتنا وأهدافنا المختلفة ان تعرض احتكاك الفرد العربي الخالص بواقع العوالم الأخرى ، وتعطينا الذبذبات المختلفة التي تطرأ على هذا الفرد ازاها ما يلقاه في الحياة الجديدة التي تواجهه بعد أن فتح عالمه المخلق وخرج منه ليتبين حقيقة التي تبدو بوضوح في هذه البيئة الانسانية الكبيرة التي أسميناها بالوسط العالمي .

والى جانب ذلك ، نجد سهيل ادريس فنانا قد درس أصول فنه في قراءة واعية ، وتأثر تأثراً واضحاً بالاتجاه الوجودي ، وبخاصة عند زعيمه المعاصر " سارتر " وتأثر المؤلف " بتكسيك " القصة عند سارتر يتضح من خلال الفصول المختلفة " للحي اللاتيني " ونستطيع

(١) راجع الآداب ، ج ٤ ، ص ٧٦ و ٧٧ سنة ١٩٥٤ م

(٢) المصدر نفسه ص ٥٧ و ٦٢ .

(٣) راجع الآداب ، ج ٥ ، ص ٣٥ - ٣٥ سنة ١٩٥٤ م

أن نركز هذا الأثر في ظاهرتين ، أولاهما : " أسلوب القصة " فالبطل هو الذي يرويها على لسانه مع تداخل في شخصيته كفائب ، ومتكلم ، ومخاطب . أما الثانية . فهي عدم التزام التسلسل الزمني والمكاني في سرد الأحداث ونمو الشخصيات خلالها ، فهناك يحطيك " الموقف " أحيانا ، ثم يعود الى ماسبقه من مواقف ، ثم يعود ثالثة الى استكمال أحداث الموقف الأول (١)

رجاء النقاش - القاهرة

٥ - " بعد قراءتي " الحي اللاتيني " يخالجنني أن الرواية العربية ستنهض - ان شاء الله - نهضة قوية على يدك وأيدي المهووبين والمتحمسين مثلك أدبا " الجيـال الطالع " (٢)

ميخائيل نعيمة - بسكتا

٦ - " أعجبنني في رواية " الحي اللاتيني " أنها رواية ، أنها محاولة لنوع فني ما يزال دلفلا في العربية ، الأقصوصة سطا عليها الجميع ، حتى الأطفال ، أما الرواية ، فانهمسا شوط انقطعت دونه الأنفاس الكيرة ، ولقد سجلت أنت اسمك الآن في قبضة الرواد الذين يشقون الطريق ، وهم بضعة نفر " (٣)

شاكر مصطفى - دمشق

٧ - " لسنا ندري كيف يقابل الرأي العام العربي الصور الجزئية التي يتضمنها " الحي اللاتيني " ولكننا نقول بصراحة : ان هذا هو اراده أدباء العربية منذ خمسين عاما في محاولاتهم كتابة القصة والرواية ، فأخطأوه وأدرکه مؤلف هذه الرواية " (٤)

عبدالله المشنوق - بيروت

٨ - " ان رواية " الحي اللاتيني " تبشر بميلاد روائي جديد الى جانب روائسي الطبيعة ، أمثال ، توفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، وعادل كامل ، وشخصية بطـال الرواية تمثل الطالب الشرقي ، أقصد الطالب العربي تمثيلا صحيحا ، ولعلي اذا قلت انها تمثل الانسان العربي تمثيلا صادقا لم أعد جانب الحقيقة " (٥)

محمد روزنامجي - بغداد

(١) راجع الآداب ، ع ٦ / ١٩٥٤ ص ٤٦

(٢) من رسالة خاصة موجهة للمؤلف - راجع غلاف الرواية الأخير .

(٣) من رسالة خاصة موجهة للمؤلف - راجع غلاف الرواية الأخير .

(٤) جريدة ربيروت المساء - راجع الغلاف الأخير للرواية

(٥) جريدة الصل - راجع الغلاف الأخير للرواية .

قالوا عنها :

١- " وليس الدكتور سهيل ادريس ، أول من حاول في الأدب العربي الحديث مثل هذه المحاولة التي يصور فيها انتقالا اجتماعيا من خلال تجربته الخاصة أو تجربة أسرة اتخذها له نموذجا ، لأنه بعيد فيها عن التافل على أي أثر من الآثار الأدبية التي أتبع لك أن تعرفوا ، شرقية كانت أو غربية ، وهو أبعد ما يكون فيها عن التدافل على الحياة وهذا أهم (١) .

رثيف خوري - لبنان

٢- " انه لموضوع الساعة ، بل موضوع كل ساعة ، ذلك الذي اخترته لروايتك ، وأعني الصراع المستمر بين جيل يشق طريقه ، وجيل يسد الطريق ، وانه ليسرني يا أخسي أن أشهد بأنك أحسنت عرض جانب بالغ الأهمية من ذلك الصراع في حياة لبنان وغيره من الأقطار العربية ، وانك في "الخدق العميق" قد خطوت خطوة واسعة ، وجرئت—ة الى الأمام ، ورجائي أن تتبع هذه الخطوات خطوات أوسع وأجراً (٢) .

ميخائيل نعيمة - لبنان

٣- " ان سبب ضعف الرواية أعمال المؤلف لأمرين من أهم الأمور التي تلزم الاحاطة بها لكل من يحاول أن يتعرض لتسجيل التطور الاجتماعي بين جيلين ، الأمر—ر الأول : تسجيل الأفكار التي تقوم عليها اعتقادات كل من الجيلين لكي يتضح الفرق بين طبيعة الايمانين ، وتتضح معه العوامل التي تصوغ هذا التطور ، والأمر الثاني ان الكاتب قد هدف اعطاء المعلومات الكثيرة عن فترة أربع سنوات في سن حرجة فأضطره ذلك الى منهج الشكل التقريرى في كثير من الأماكن ( ٠٠٠٠٠ ) ونقصان العنصر الأول أفقدها عمق التصوير ووضوحه ، وشحوب اللون المأساوي فيها ٠٠ أما العنصر الثاني ، فقد هبط بالمستوى الفني الذي كنا نرجوه من صاحب "الحي اللاتيني" على أن في الرواية عنصرين ناجحين— تماما ، الأول ، هو : الحوار ، والأخص لخته : والثاني ، تصوير شخصية الأم بحنانها وضعفها ورعايتها للجميع .

ويظهر أن الدكتور سهيل ادريس يكتب عن نفسه في هذه الرواية ، كما فعل

في "الحي اللاتيني" لكنه لم يقدم هنا تجربته بالعمق الذي قدم لنا روايته السابقة (٣)

محي الدين صبحي - دمشق

(١) راجع الآداب ، ع ، ١٢ / ١٩٥٨ ص ٦ راجع "الأدب المسؤول" ط ١ دار الآداب ص ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ .

(٢) راجع الآداب ، ع ، ١٢ / ١٩٥٩ ص ١٢

(٣) راجع الآداب ، ع ، ١٢ / ١٩٥٩ ص ١٣ و ١٧

٤ - \* وليس من شك أن الدكتور سهيل ادريس ، قدم لنا عرضاً فنياً دقيقاً لعملية " المخاض " الاجتماعية التي عاناها أبناء جيله ، وقد استغل تجربته الذاتية استفلالاً موضوعياً ، بمعنى أنه كان يرى الأحداث النابعة من دائرته الخاصة بعدسة موضوعية ومن ثم رأينا شخصيته جميعاً من خلال ذواتهم الحقيقية ، لا من وراء نظارته الشخصية وربما جاء التركيز الدقيق في عرض التجربة ، نتيجة طبيعية لابرار المحتوى الانساني للقصة ، دون اللجوء الى هوامش الحدث الروائي (١)

### غالي شاكر

٥ - \* أما من ناحية البناء \* ، فان الرواية تتمتع بحبكة فنية كثيفة ، يبرز فيها عنصر الحكاية ، وذلك دون أن تفقد أى عنصر من عناصر التحليل النفسي ، وانما هي على العكس ، رواية تحليلية الاتجاه . ان الجمع بين كثرة الأحداث والتحليل النفسي ، هو بلا ريب ، نقطة قوة في الرواية ، لأن ذلك يجعلها أقرب الى أصالة الحياة وعفوية البساطة وانما تتساقط اللغات النفسية عبر الأحداث نفسها ولقد لجأ المؤلف الى أساليب خفية في اظهار اللغات السايكولوجية عبر روايته ، فاستعمل الاثارة والتلميح والمقارنة الصامتة بمجرد وضع الأشياء متجاوزة ، وذلك هو أعلى أساليب التحليل النفسي (٢)

### نازك الملائكة -

٦ - \* ناحية علاقة الفن بالله ، لا بالمعهد ، التي أفقتهما الرواية ، هي حلقة أساسية من حلقات الصراع التي تتعلق بانسان كان يعد نفسه ليكون رجل دين . أما لماذا لم تبرز بالشكل المفروض في خط الصراع ، فسؤال كان يجب أن يجد جوابه في دراسة "نازك الملائكة" التي مالت الى اعتبار المرحلة الرابعة (٣) ، مرحلة تمرد فكري مدروس ، ولا شك أن الشمول الذي ترحي به تسمية المرحلة ، كان يقتضي عدم التغاضي عن هذه النقطة .. (٤)

### سميرة عزام

- 
- (١) راجع الآداب ، ع ، ١٠ / ١٩٥٩ ص ٣٠ و ٣٣ و ٣٤
- (٢) راجع الآداب ، ع ، ٣ / ١٩٦٠ ص ١٠ و ١١ و ١٢ ننصح بقراءة هذا التحليل القيم الذي تناول الرواية من جميع نواحيها الفنية ، سواء كانت من الناحية الشكل أو المضمون .
- (٤) المراحل الأربعة هي : مرحلة الانتقياذ الكامل لآراء أبيه - مرحلة التأمل غير الواعي - مرحلة التمرد غير المدروس - ومرحلة التمر الفكري المدروس الذي ينبع عن تصميم وارادة وادراك واع وتمثل في خلع سامي للجبة والعمة ( راجع الآداب ع / ٣ / ١٩٦٠ ص ١٠ و ١١ و ١٢ )
- راجع الآداب ع / ٣ / ١٩٦٠
- (٥) راجع الآداب ع / ٤ / ١٩٦٠ ص ١٥ و ١٦ .

قالوا عنها - أ :

١ - \* أصابعنا التي تحترق \* مؤلفها بسميها رواية ، وهكذا يدلنا الخلاف بأحرف أرجوانية . . . ومن هنا يمكن القول بأن باب الخصومة فتح : أهي رواية حقا ؟

الذين يعتبرون الرواية قصة بحوادث تنعقد انعقادا ، يذكرون على هذه الأصابع المحترقة أنها تفي بشروط الرواية ، ولكن المؤلف يذهب الى ان هذا المفهوم للرواية - موغل في الكلاسيكية ، فللرواية أن تكون قطعة حياة يعمد كاتبها الى تصويرها ، وسواء انعقدت حوادثها انعقادا ، أو تناهت فيما يبدو أنه تخلخل أو تقطع . (١) .

رثيف خورى

٢ - \* ان أصابعنا التي تحترق \* كرواية ، يجب أن تقبل بحذر ، بل يجب أن تصدر بتقرير واضح على طبيعتها قبل أن تناقش على مستوى فني موجه ، فهل هي ضرب من السيرام تراها ترجمة ذاتية ، أم صفحات يوميات ، أم لون من الاعتراف ؟

وتكمن قيمة أصابعنا التي تحترق في كونها تعبيرا عن قضية عربية متكاملة لا تتمايز فيها الأبعاد السياسية والاجتماعية والفكرية ، وذلك يدق سهيل ادريس مسارا جديدا في نعش نظرية الفن للفن . غير أن التزام \* سامي \* بهذه القضية - وهو موقف سهيل ادريس نفسه - لم يصرفه على أن يعيش تجربته كإنسان يريد الدعة والحب والمال . وكان هذا النوع من التوازن هو الذي يشير فضول القارئ ، بحيث كان ينبغي تسارعه عن مدى واقعيه المواقف - في حرصه على متابعة عاطفيات البطل .

لقد قدم سهيل ادريس نفسه وتجربته ، وخطا في جرأة وعزم ، ثم انتهى الى أنه مجرد إنسان يريد ، وما أكثر ما يمجزع عن تحقيق ما يريد . . . (٢)

احمد كمال زكي - القاهرة

إذا نظرنا الى بعض هذه الأقوال التي تناوت الروايات الثلاث من ناحية الشكل والمضمون ، وما حملته من جديد نجد :

١ - \* الحي اللاتيني \* :

أثارت هذه الرواية اهتماما كبيرا في الأوساط الأدبية لم تشه رواية عربية غيرها ، لأنها سجلت نقطة تحول جديدة في تطور أدبنا العربي الحديث ، وتناولها - ولما يعنى على

(١) راجع الآداب ، ع ١١ / ١٩٦٢ ص ٩ ، ثم راجع الأدب المسؤول ، لرثيف خورى ، ص (٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠) .

(٢) راجع الآداب ، ع ١١ / ١٩٦٢ ص ١٠ و ١١ .



على صدورها ثلاثة أشهر - زهاء عشرين كتاباً من مختلف الأقطار العربية ، كانت معظم آرائهم في صالحها ، غير أن بعضهم لم يفهم الرواية جيداً ، حيث لم يجد فيها إلا الجانب الجنسي<sup>(١)</sup> ، الذي فسروه بالشرح على مبدأ الالتزام الذي يأخذ به سبيل ادريس في كتاباته .

ولكن ، ونحن نعتقد أن هذه الظاهرة ، هي أكبر دليل على صدق الحاجة الى هذه الرواية التي تفصح - بالدرجة الأولى - عن مخاوف الشباب العربي ازاء المشكلة الجنسية ، واساءتهم لفهمها ، ومعالجة هذه القضية من صميم رسالة سبيل ادريس - اللزامية .

وقد أجمع النقاد الواعون في لبنان ومصر وسوريا والعراق على أنها تعالج أهم مشكلات الجيل العربي الطالع ، الذي ينشد الحرية . وقد فازت بجائزة أهل القلم لأحسن رواية لبنانية لانتاج سنة ١٩٥٣ م<sup>(٢)</sup> .

" الحي اللاتيني " في رأى احمد كمال زكي ، من حيث الشكل ، أروع بناء في الرواية العربية المعاصرة ، وهذا البناء عند عبد الله عبد الدائم براعة الاداء والفن القصصي ومن هذه البراعة ما مكن سبيل ادريس من جعل النفس الانسانية مسرحاً لصراع بين بيروت ، وباريس كما يقول يوسف الشاروني ، ونراه عند رجاء النقاش متأثراً بتكثيف القصة عند سارتر - في ظاهرتين ، أولاهما أسلوب القصة ، حيث ان بطلها يرويها على لسانه مع تداخل في شخصيته كغائب ومتكلم ، ومخاطب . أما الظاهرة الثانية ، فهي عدم التزام الكاتب بالتسلسل الزمني والمكاني في سرد الأحداث ، ونمو الشخصيات خلالها .

وشارك شاكراً مصطفى " محمد روزنامجي " الرأى أنها شوط انقطعت دونه الأنفاس الكثيرة ، استطاع سبيل ادريس من خلالها أن يشق طريقه ويبشر بميلاد روائي جديد .

ومن حيث المضمون ، نراها في رأى احمد كمال زكي عملاً مضجماً ، يدعو الى الاكبار ، وعند يوسف الشاروني ، تتناول مجتمعين : مجتمع غربي ، ومجتمع شرقي كما هي الحال عند رجاء النقاش ، تمثل الحركة الجريئة في الأدب العربي ، وتضعنا أمام قضيتنا الكبرى في وسط عالمي نستطيع من خلاله ان ننتصر على عقبات الطريق التي تسير فيها الى غاياتنا وأهدافنا المختلفة ، ان تعرض اختكاك الفرد العربي الخالص بواقع العوالم الأخرى ، وتعطينا الذبذبات المختلفة التي تطرأ على هذا الفرد ازاء ما يلقاه في الحياة الجديدة بعد ان فتح عالمه المخلوق وخرج منه ليتبين حقيقة التي تبدو بوضوح

(١) راجع " أزمة الجنس في القصة العربية " لشكري غالي ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ١٩٧١ م .

(٢) راجع الآداب ، ع ٤ سنة ١٩٥٤ م .

في البيئة الانسانية ، ويرأى محمد روزنامجي ، تمثل الطالب العربي تمثيلا صحيحا ، كما تبدو عند عبدالله الدائم التقاط لمشكلة حية ، ووصف شيئا عاناه ، كان رائدا أسلوبه وفنه ، وصانع عباراته وإشاراته .

فماذا فينا ان ؟

الجديد فينا عند احمد كمال زكي ، انه اعلم ضمخ ، يدفع بالقصة العربية

خطوات الى الأمام ، كما هي ثورة على التقاليد الجامدة ، ورغبة في التحرر منها السيئ الأفضل والأكمل عند الشاروني ، أما رجاء النقاش ، فيرى فيها حركة جديدة في أدبنا كما تصور لنا الكاتب فنانا قد درس أصول فنه في قراءة واعية ، وتأثر تأثرا واضحا بالانجاس الوجودي عند زعيمه سارتر .

أما ميخائيل نعيمة ، فيراها تتسم بسمة الموهبة والحماسة ، وهاتان السماتان تحركان في النفس إمل النهوض للرواية العربية ، ولكن هذا القول لا يجي عبثا ، وإنما يعتمد غالبا على شكل الرواية ومضمونها اللذين ذكرهما نقاد آخرون .

## ٢ - " الخندق الغميق "

ما ينطبق من أقوال على " الحي اللاتيني " ينطبق على الخندق الغميق " التي اعتبرت أول محاولة جدية في الأدب العربي من وجهة نظر " رثيف خوري " .  
وإذا كانت رواية " الحي اللاتيني " تتناول الصراع القائم بين الغرب والشرق ، فالخندق الغميق " تتناول الصراع بين القديم والجديد في الشرق ذاته .  
ونستطيع أن نخلص الى نتيجة واحدة هي أن كل ما كتبه سهيل ادريس فسي رواياته الثلاث لا يخرج عن دائرة حياته الشخصية الا في أدوات العرض والأداء .

## ٣ - أصحابنا التي تحترق :

كان رأى بعض النقاد مختلفا بالنسبة لرايهم في الرأيتين السابقتين ، حيث يعتبر " رثيف خوري " ان تسميتها برواية يفتح عليه باب الخصومة ، أهي رواية حقا ؟ الأمر الذي يلاحظ منه أنه يرفضها كرواية ، لأن الرواية - من وجهة نظره - تكون قطعة حياة ، يعتمد كاتبها الى تصويرها ، وسواء انعقدت حوادثها انعقادا ، أو تتابعت فيما يبديها وتخلخل أو تقطع .

ويشاركه احمد كمال زكي هذا الرأي ، بقبولها بحدز كرواية ، ويتساءل : من أي الضروب الفنية للقصة هذه الرواية ؟ هل هي ضرب من السيرام تراها ترجممة ذاتية ، أم صفحات يومية ، أم لون من الاعتراف ؟ وحكمه ، ان سهيل ادريس قد قدم نفسه ، وتجرته ، وخطط في جراءة وعزم ، ثم انتهى الى أنه مجرد انسان يريد ، وما أكثر ما يعجز عن تحقيق ما يريد .

ومما قيل في هذه الرواية ، فهي حلقة مكملة لحلقات حياة سهيل ادريس بمد  
عودته من فرنسا ، واذ اخرجت عن المؤلف الروائي الذي اعتدنا عليه فلأجل التحرر  
من قيود الأحكام المطلقة في الكتابة الروائية ، ولافساح المجال واسعا أمام الكتاب  
لمعالجة جميع القضايا العامة والخاصة من خلال الرواية الواحدة .

## الخاتمة

أصدر سميل ادريس منذ ١٩٤٧ حتى ١٩٧٤ ست مجموعات قصصية ، فيها  
خسون قصة قصيرة ، ومسرحية واحدة " الشبدا " .

والمجموعات عند التحليل والنقد تتناول موضوعات اجتماعية مختلفة ، أبرزها موضوعان :  
الأول اجتماعي مغمس بمشكلات المرأة ، والثاني قومي مغمس بمشكلات الأمة .

والمجموعات الثلاث الأولى : " أشواق ١٩٤٧ " ، " نيران وتلج ١٩٤٨ " ، " كلبن  
نساء ١٩٤٩ " ، " أترب ماتكون الى النساء " ، فواء كل قصة منها " تاريخ قصير (١) لمشكلة  
امرأة او مشكلة رجل مع امرأة غالبا .

والمجموعات الثلاث الاخيرة : " الدمع المر ١٩٥٦ " ، " رحماك يادمشق ١٩٦٥ " ،  
و " العراء ١٩٧٤ " أترب ماتكون الى الاهتمام بالامة العربية ونضالها ، وان كانت المرأة  
والأسرة لاتخيان منها ، فأشخاصا أفراد من أسر ، وهم ، أحيانا ، عشاق أو عاهقات .  
وهذا الفصل بين اللونين : لون القصة الغرامي ، ولون القصة الكفاحي ، لا يثبت  
أمام التمهيص النقدي ، لان الغرام والكفاح يتداخلان في آثار سميل ادريس القصصية تداخلا  
يخيل للقارئ معه أن الغرام كفاح وأن الكفاح غرام .

آخر مجموعات سميل القصصية " العراء " .

وتد ضمنها سبع قصص قصيرة ، كتبها في خمس سنرات ، وهي : الليل والاسلاك ١٩٦٦  
وزمن الهزيمة ، والنصر ، العراء ، ١٩٦٧ ، شيخ الكرامة ، العبور ١٩٦٨ ، القراءة  
في العيون المغمضة ، وثكوة خامة ١٩٧٤ .

وموضوع القصة الخمس الأولى : الكفاح القومي .

وموضوع القصة السادسة : الغرام ، لكن ببطولة الشيخ المتصابي والفتيات

الغضيرات .

وموضوع القصة السابعة : الأسرة ، الزوجة والأولاد ، والأب بعد السفر .

أردت من تحديد الموضوعات الاشارة الى تداخل اللونين : الكفاحي والغرامي ، في

(١) ألوان من القصة القصيرة في الادب الامريكى . لعباس العقاد . القاهرة : مكتبة - الانجلو مصرية  
ط ٢ ، ١٩٦٣ م ص ١١ . يحدد العقاد انواع الكتابة القصصية بأربعة وهي : الرواية  
Novel والرواية الصغيرة Novelette والقصة او الحكاية Story والحكاية  
القصيرة او النادرة ، وهي التي تقابل كلمة : Short Story وترجمته

الحرثية على حساب كل الكلمة : تاريخ قصير (ص ١١) .

وتفرق الكاتبة " اديث هوارنن " بين هذه الانواع بقولها : " ان الموقف هو الموضوع القالب  
على القصة القصيرة ، وان رسم الشخصية هو الموضوع الغالب على الرواية " ويمكن ان نضيف الى  
الموقف موضوعا آخر يصلح للقصة القصيرة او الحكاية ، وهو الايحاء ، ولفت النظر او هو ما يقابل -  
حرفيا - كلمة " الاقتراح

= وهذا التداخل الموضوعي يبقى متميزا ، لكن التداخل المبنى يبلغ حدا  
 التوحيد فمعظم قصص سهيل ادريس تعتمد تصوير الشخصيات بموقف من مراقفها  
 النفسية او الاجتماعية او القومية ليفهم القارئ الموقف بالايحاء ويستنتج منه ما يريد  
 الكاتب له أن يستنتجه (١) .  
 وجعلنا هذا الباب في فصلين ، وكل فصل جعلناه في أربعة مباحث تناولنا  
 في الفصل الاول أقاصيص سهيل ادريس القصيرة ، وهو على التوالي :  
 " العراء " و " القراءة في الميون المنخفضة " و " اشواق " و " رحماك  
 يادمشق ،

وجعلنا الفصل الثاني ، يتناول روايات سهيل ادريس في ثلاثة مباحث : تناولنا في  
 المبحث الاول رواية الخندق الضميق ، وفي المبحث الثاني رواية " الحي اللاتيني " .  
 وفي المبحث الثالث : رواية أصابعنا التي تحترق " .  
 ونصننا المبحث الرابع لأعمال سهيل ادريس الروائية في مآيا النقاد ، راجعين من وراء  
 ذلك الظهار المشاركة الفعلية التي شارك بها سهيل ادريس في الأدب العربي الحديث :

---

(١) يرى العقاد أن " القصة القصيرة " او الحكاية ، لا تتسع لرسم شخصية كاملة او عدة  
 شخصيات كاملة مع جميع جوانبها ، ولا تتسع كذلك للحوارات الكثيرة ولا للحادثية  
 الواحدة التي لا تتسم الا مع الشعب والاستيفاء والاحاطة بأحوال جملة من الناس من مختلف  
 المواقف والاحوال ، ولكنها قد تعطينا لونا من الران الشخصية كما تتمثل في موقف  
 من المواقف . فنفهمها بالايحاء والاستنتاج وقد تعرض لنا موضعا نفسيا او موضعا  
 اجتماعيا . ينفرد بنظرة عابرة ويؤخذ على حدة ، فيدل كما تقدم دلالة  
 الموقف والايحاء .

## الباب الرابع

نشاطات سهيل ادريس المشتركة

تمهيد •

- ١ - الفصل الأول : مجلة الآداب
- ٢ - الفصل الثاني : أعمال لغوية
- ٣ - الفصل الثالث : اتحاد الكتاب

## نشاطات سهيل ادريس

### المدخل ؟

لم تكن نشاطات سهيل ادريس خاصة بكتابة القصة القصيرة ، أو الرواية ، وإذا كان قد زوّد المكتبة المربية بمجموعات قصصية ست ، وروايات ثلاث ، فقد كانت - ولا تزال - نشاطاته الأخرى من النشاطات المؤثرة عبر دوره في الأدب العربي الحديث ومن خلال هذه النشاطات وُجدَ هذا الباب ، مكونا من ثلاثة فصول ، حيه تناولنا في الفصل الأول " مجلة الآداب " بعد أن قطعنا شوطا تاريخيا للصحافة الأدبية ، وأظهرنا مالمهذه المجلة من أثر في نقل الكلمة المربية الى أصحابها المتعطشين لقراءتها ، بما تحمله من كل شيء جديد ، سواء كان هذا الجديد مترجما عن اللغات الأجنبية ، أو ابداعا أنتجته العقول المربية . ونستطيع القول إن هذه المجلة جسر ، يستطيع القارئ العربي أن يعبر من خلاله منافذ الثقافات الأجنبية والمربية التي تخدم القضايا الثقافية والاجتماعية والسياسية .

وفي الفصل الثاني ، تناولنا أعمال سهيل ادريس اللغوية ، التي يمثلها قاموسه " المنهل " عربي / فرنسي بالشاركة مع الدكتور جبور عبد النور ، وهذا العمل الضخم قد أهّاد المكتبة المربية بآلاف العبارات والمرادفات الخاصة بجميع ألوان الحياة الفنية والأدبية ، وقد ذكرنا الفوائد التي قدمها هذا العمل المجد الى قارئ اللغة المربية ، والباحث عن معاني الألفاظ الفرنسية في مجال اختصاصه .

وفي الفصل الثالث تناولنا اتحاد الكتاب اللبناني ، من خلال قانونه الأساسي ونظامه الداخلي ، كما تناولنا علاقته بمؤتمر الأدباء العرب ، والتزامه بحرية الفكر العربي ، الأمر الذي فرض على اتحاد الكتاب اللبنانيين الانسحاب من مؤتمر الأدباء العرب لعدم التزام مؤتمر الأدباء العرب بالدفاع عن حرية الفكر والمفكرين .

الصحافة<sup>(١)</sup> ، تلك الظاهرة الحضارية التي تملأ علينا شعاب حياتنا بأنواعها ، السياسية ، والفكرية ، والفنية ، والأدبية ، ودخلت بذلك في حياة الانسان المعاصر ، يوشك ان يفتح بها يومه كل صباح ، لا بد أن تلفت انتباه الباحثين تقديرا لأهميتها وخطورتها ولا بد ان تستثير منهم حاسة البحث والتحليل لمصدر تلك المنظورة التي تستمدحها من تأثيرها الشامل على الرأي العام ، سياسيا ، وعلى حركة الفكر والفن والأدب في مجالاتها الأخرى .

الصحافة في اللغة من صحف ، الصحيفة : التي يكتب فيها ، والجمع صحائف وصحف وصحف . وفي التنزيل " ان هذا لفي الصحف الأولى ، صحف ابراهيم وموسى " يعني الكتب المنزلة عليهما . وفي الحديث : " أتراني حاملا الى قومي كتابا كصحيفة المتلمس؟ وهذا الصحيفة الكتاب . والصحف والصحفي : الذي يروى الخدأ عن قراءة الصحف بأشبهاء الحروف (٢) .

والصحافة في الاصطلاح هي " فن تسجيل الوقائع اليومية بدقة وانتظام ، وذوق سليم مع الاستجابة لرغبات الرأي العام وتوجيهه الى الاهتمام بالجماعات وتناقل أخبارها ، ووصف نشاطها تم تسليتها ، وتزجية أوقات فراغها " (٣) ومن هذا المعنى نستطيع ان نرى صور الجماعية وآراءها وخطوطها معكوسة عليا كالمرآة .

والصحافة سلاح ذو حدين ، فهي أداة ارشاد وتربية وامتناع ، وكذلك هي أداة تضليل وافساد ، وتطلق للجماعات ميوادالم تعرف كيف تحسن استعمالها .  
والصحافة من حيث اتجاهاتها انفراديا محصورة في اربعة أقسام هي : الصحافة السياسية .  
والابحها الاهتمام بالخبر والتحليل السياسي ، والصحافة المهنية ، التي تصدرها عادة النقابات

(١) اول من استعمل لفظة الصحافة بمعناها الحالي ، كان الشيخ نجيب الحداد ، منشئ " جريدة " لسان العرب " في الاسكندرية وحفيد الشيخ تاج الدين اليازجي ، واليه يرجع الفضل في اختيارها ، فقلده سائر الصحافيين من بعده . وكانت تسمى الصحف في اول عهدنا " الوقائع المصرية " كما دعاها رفاعة الطهطاوي " وسميت ايضا غرته " نسبة الى قطعة النقود بهذا الاسم . كانت تباع الصحيفة بها فحسرت ، بذلك

دي طوازين ، فيليب ، تاريخ الصحافة المصرية ج ١ ص ٥ . بيروت المطبعة الادبية بيروت ١٩١٣ .  
(٢) لسان العرب لابن منظور ص ٤١٢ مجلد ٢ - بيروت دار لسان العرب ١٩٦٨ .  
(٣) مررة ، اديب . الصحافة العربية ، ص : ١٧ - بيروت . دار ال مكتبة الحياة بيروت ١٩٦١ .



والمؤسسات العلمية ، مثل نقابة اطباء ، وغيرهم . والصحافة الفكرية ، التي تتجاوز صورة الادب بالمعنى الخاص الى المفهوم العام للادب ، أى الاهتمام بالنتاج الفكرى والفنى وأشهرها مجلة "العصور الحديثة" لسارتر .

والصحافة الادبية ، التي تتم - أساسا - بالقضايا الادبية والفنية والتفدية ، فضلا عن نشر النصوص الابداعية من الشعر والقصة والمسرح ، وهذا النوع من الصحافة هو الذى سنكلم عنه من خلال مجلة الآداب .

إذا رجعنا الى معظم صحف العالم العربى نجدها ابتدأت مع بداية القرن التاسع عشر ، وسأيرت ركبته حتى القرن العشرين في صحيفة مستقلة عما هي عليه اليوم ، وهي صحيفة الادب ، لارتباطها بالادباء والشعراء الذين اشتهروا بتعمقهم في الادب ، او من اتسمت كتاباتهم بالروح الادبية ، لذلك ، نرى أسلوب الصحافة - خلال تلك الفترة الزمنية - أسلوبا مطبوعا بالطابع الادبى ، لان الكتاب والصحفيين كانوا ينهجون منهج القدماء ، الذين كانوا يحافظون على الجمل المسجوعة ، ويعتمدون ضروب البلاغة والصناعات اللفظية التي كانت تقوم عليها اللغة الادبية ، ومن هنا نلمس الصلة الوثيقة او الرابطة المتينة التي كانت تشد الادب الى الصحافة ، حتى كان القارئ لا يفرق بين الكاتب والاديب ، وبين الصحافى المتخصص ، لان منبع الاثنين كان واحدا ، كما كانت طريقتهم واحدة رغم الاختلافات البسيطة التي لم تكن تظهر لغير الواعين المتخصصين ، وكانوا قلة من القراء نتيجة للظروف السياسية والاقتصادية التي كانوا يعيشونها ، وكان لهما أكبر الاثر على الناحية الثقافية لارتباطهما المباشر بهذه الظروف التي كانت في طور النمو والتطور .

وامتزج الادب بالسياسة ، وكان الادباء مصلحين اجتماعيين أيضا ، وعلى سبيل المثال ، محمد عبده ، وعبد الله النديم ، ومصطفى كامل من اهم العمدة التي ارتكزت عليها نهضة الصحافة ، وهم معروفون لنا كمفكرين وسياسيين أولا .

ان معظم الصحافيين في عهدهم الاولى من نشأة الصحافة العربية - سوا في مصر أو في لبنان كانوا يأتون على طريق الادب ، وكان مهتمهم من كبار الادباء في تلك الحقبة الزمنية ، أمثال : الشيخ ناصيف اليازجى ( ١٨٠٠م - ١٨٧١م ) وطرس البستاني ( ١٨١٩ - ١٨٨٣ ) ورفاعة الطهطاوى ( ١٨٠١ - ١٨٧٣م ) وغيرهم من كانوا وتنداك أركان النهضة الادبية والثقافية في نصف القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين وهم أيضا من مؤسسي الصحافة العربية<sup>(١)</sup> .

ومع الايام ، استطاع الصحافى أن يسير في طريق مختلف عن طريق الادب ، حيث أن الصحافة قد تطورت ، وأصبحت لها مسالك أخرى غير المسالك التي يحتاجها الاديب . لأن

(١) راجع تاريخ الصحافة العربية لقيليب ذى طرازى ج ١ من صفحة (٨٢ - ١٥٠) بيروت المطبعة الادبية ١٩١٣م .

الاديب رجل ذاتي يعنى بنفسه وحدها ، فيصف لنا ما يجول بنا ، او يتردد في جنبنا  
وسجل حركاتها وسكناتها • وتأمل هذه الحركات والسكنات •

اما الصحافي ، فرجل غير ذاتي ، لا يستطيع العناية بنفسه ، لانه مسؤول عن  
العناية بالمجتمع من حوله ، فتراه يسجل حركات هذا المجتمع وسكناته يوما بيوم ، وينتهي  
أخباره الى القراء داخل البلد وخارجه (١) • واذا نظرنا الى الصحافة من هذا المعنى نجد  
كالمرآة ، تنعكس عليها مشاعر الجماعة وآراءها وخوابيرها • أما الادب ، فمرآة تنعكس عليها  
مشاعر الاديب وآراءه وخوابيره • ومن هذا المنطلق انفصلت الصحافة الادبية عن الصحافة  
السياسية ، او الصحافة بمعناها الشامل ، وخصوصا بعد ان عرف الناس معنى كلمة  
"الاختصاص" وتقبلوا مفاهيمها في ظل "الانواع السياسية ، والاجتماعية التي أخذت  
تسود البلاد بعد الاستقلال ، اى في مرحلة النضال التحررى ضد الاستعمار ، حيث نمت الصحافة  
العربية والمحلية نموا كبيرا ، وأصبحت ذات أثر فعال ، وزاد عددا للصحافيين المتخصصين  
وقوى دورهم الاجتماعي ، لاتصالهم المباشر بالطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة من السكان  
وهم يعزفون الرأى العام معرفة واضحة ، توغر لهم امكانية التأثير فيه والتعبير عنه ، ومن هنا  
نرى أن الصحافيين يشكلون العنصر الاكثر نشاطا لطليعة المثقفين على اختلاف اتجاهاتهم ،  
ومذاهبهم السياسية والاجتماعية ، ويلعبون الدور الاكبر في تثقيف وتوعية أبناء أممتهم ، سواء  
كان من الناحية السياسية او الناحية الاجتماعية • وكان للصحافة دورها الضخم في الحركة  
الادبية الفكرية ، وفي معركة المحافظة والتجديد التي بدأت مع الصحافة ثملا ، وكانت  
الصحافة بعيدة الاثر في تطورات الفكر العربي كله اذ حملت لواء جميع القضايا الوطنية والاجتماعية  
والفكرية (٢) •

برزت الصحافة الادبية في لبنان هي والصحافة السياسية جنباً الى جنب ، نتيجة  
لموقع لبنان الجغرافي من جهة ، واستقباله للرساليات والجاليات الاجنبية التي حملت  
معها الكتب والمطابع (٣) من جهة ثانية • وأخذت تبنى بجميع فنون الادب من قصة وشعر  
وأبحاث أدبية ، وخصوصا بعد أن نهضت حركة الترجمة ، وأصبح من رائجها الكثيرون من  
أبناء لبنان الذين تتقنوا على اللغة العربية غيرها من اللغات الاجنبية (٤) •

(١) حمزة ، عبد اللطيف • مستقبل الصحافة في مصر ص ٦٠

(٢) الجندي ، أنور المحافظة والتجديد في النشر العربي المعاصر في مائة عام ١٨٤٠ -  
١٩٤٠ مصر مطبعة الرسالة ١٩٦١ •

(٣) بيزر خليل صابات دور المطبعة بالنسبة للقضية التي تتصدى لها ، فيقول : وسامت  
المطابع اللبنانية مساهمة الاصل في نشر الكتاب العربي ، لاني لبنان فحسب بل فسب  
البلاد العربية كلها وأمريكا التي هاجر اليها عدد كبير جدا من السوريين واللبنانيين  
وهكذا اضطلعت ابلاغة عامة والطباعة اللبنانية على وجه خاص همزة الوصل بين الشرق والغرب  
حتى يومنا هذا •

صابات ، خليل • تاريخ الطباعة في الشرق العربي ص ٥٠ و ٥١

(٤) امثال خليل الخورى ١٨٥٨ ولويس مابرونجي ١٨٧٠ و خليل سركيس ١٨٧٧ وأبراهيم الاسود ١٨٩١

وإذا أتينا الى مناخ الخمسينات ، حيث مولد " الآداب " نجد أن الامة العربية قد تعرضت لجزات عنيفة ، ومعارك كثيرة مع أعداء حريتنا وسيادتنا على ارضها وثورتهما ، وكانت كلما خرجت ظافرة من معركة دفعتها الأقدار الى معركة أخرى ، ربما كانت أكثر حرارة وأشد بأسا ، وذلك لكثرة الايدي التي لعبت بمستقبلها وساومت على حريتها ، ومستقبلها ومصيرها .

كان لهذه الاحداث ، وهذا التناقض صدى كبير على النفوس والعيول والاهداف فرض ذاته على الادب والادباء ، فوقعوا في تناقض كبير في معاني النظم والكتابة ، الامر الذي أدى الى اضطراب النقاد وتناقضهم لان عقولهم وقلوبهم المتطلعة الى المثال العليا ، والمبادئ التي ينبغي ان يحملوا بها باتت في حلقة من الفراغ والفقدان الكبير ، وأصبحت تتخبط خبطا عسرا ، في توقعة مخلقة لا ينفذ اليها النور .

وعندما دبت السحرة بعد الغفوة الداريلة التي غفرتنا الأمة العربية ، نتيجة لاحداث فرضت علينا غرضا ، اتخذ الشعب يتلمس طريقه ، وأصبح لا يقيم وزنا للتمديدات الخارجية مباشرة كانت او غير مباشرة ، توجه نحو الثقافة الغربية لينهل منها ، ويطلع على كل جديد لم يكن يعرفه من قبل ، وأرسلت البعثات الى فرنسا وغيرها من الدول الغربية ، وأخذت الافكار القومية تتغلغل وتلعب دورا كبيرا في سير الحياطة العربية ، الامر الذي أوجد المدارس الجديدة ، بعيدا عن التعليم التقليدي الذي اعتدنا عليه ، ونزل العلم من قصره العاجي الذي كان وقفا على فئة من الناس ، ليرتبط بالديموقراطية السياسية ، ويجعل من أبناء الطبقات الدنيا الذين يمثلون الأكثرية في كل مجتمع ، يميلون الى تفسير الرايع التقليدي الذي استقر أكرما يجب في ظل الأوضاع الاستعمارية .

#### ( - نشأتها : )

كان واضحا ان القلق الذي عاشه العالم العربي في الخمسينات بمثابة ميلاد لعصر جديد ، وهذا يعني انه كان ينهي عصرا في طريقه الى الزوال . وحركة التغيير هذه استتبع وجود ملاحم وأنشطة جديدة ، وكانت " الآداب " ملحا مناسبا للمرحلة الوليدة .

قبل أن نبدأ الحديث عن " مجلة الآداب " لابد لنا من تقديم بسيط نعرف به أوجه

المجلات الادبية التي سبقتها ، وأثرت فيها تأثيرا مباشرا او غير مباشر ، لان العلم الذي خرجت فيه " الآداب " للقراء تميزه ملامحه بنشاط ظاهر للصحافة الادبية في مختلف البلاد العربية النشاط الذي يبشر بحركة مباركة من شأنها أن تبت كل جديد في عروق الادب الراكد ، وتحببه لعهد جديد ، يقود الامة في طريقها الأفضل .

وأهم هذه المجلات :

١ - " مجلة الرسالة " ل احمد حسن الزيات ، صدرت ١٩٣٣ ، وتوقفت ١٩٥٢ . تفرقت عنها مجلة " الرواية " التي اقتصرت على القصة ، ولكنها لم تعش طويلا ، بينما ظلت الرسالة

تصدر حتى ١٩٥٢ ، وكانت بمثابة مدرسة أدبية لمعظم أدباء الاقطار العربية ، وقد تركت أثرا بعيدا في تطوير الادب العربي المعاصر ، وكانت خدائهما ربطا القديم بالحديث ، ووصل الشرق بالغرب ، حتى استطاع الادباء ان يعيش مرحلة انتقال جديدة ، ينتقل فيها من الظلام الى النور ، ويتطلع الى غد مرتقب ، ويتأهب لوثبات يساير بهما ركب النهضة ، ويشارك في موكب التحرير . فضلا عن قلم الزيات نفسه نجد أن مجموعة من الاقلام الادبية والنقدية قد كتبت فيها ، أمثال : طه حسين ، ومحمد مندور ، وأنور المعداوي ، ومحمد عبد الغنسي حسن ، ومن الشعراء ، أمثال : ابراهيم ناجي ، وعلي محمود طه .

٢ - مجلة ، "الثقافة المصرية" صدرت ١٩٣٦ ، وتولى رئاسة تحريرها احمد امين وكتب فيها أعضاء جمعية التأليف والترجمة والنشر ، وأساتذة الجامعات المصرية . وكانت ترد عليها المقالات الادبية ، والقصائد من كبار الادباء في العالم العربي ، ولكنهم توقفت ١٩٥٣ .

٣ - مجلة "الاديب" اللبنانية ، صدرت ١٩٤٢ ، وصاحبها البير أديب . فقد احتلت مكانها في زعامة الحركة الادبية في لبنان ، والتف حولها كبار أدباء لبنان وشعرائه ، أمثال : عبدالله العلايلي ، وعمر فاخوري ، وأمين نخله ، والياس خليل زكريا ، ونقولا نياض ، هذا فضلا عن كبار الادباء والشعراء في العالم العربي . وقد امتازت "الاديب" بالشمول وسعة الافق واتساع الانتشار حتى ليقال : إنها من أوسع المجلات انتشارا في العالم العربي من حيث بلاغها أبعد الاماكن التي توجد فيها جاليات عربية ، كما سارت اتجاهات الادب الحديثة : من رمزية ، ورومانتيكية ، وواقعية ، وساعدت على ابراز المواهب الجديدة بين الادباء ، الشباب في العالم العربي ، حتى أن كثيرين من أدباء الجيل الحاضر في لبنان وغيره من الاقطار العربية مدينون بشكرتهم ومكانتهم الادبية الى مجلة "الاديب" التي تعددت مواهبهم فشحجعتها ونمتها ، وما تزال تصدر الى اليوم بهمة صاحبها التي لا تعرف الكلل رغم ما صادفتها وتصادفها من صعوبات مادية عامة .

اذن ، لم تنبت "الآداب" في أرض قاحلة ، بل كانت الارض على أفضل حالاتها من الاستعداد لهذه النبتة الأدبية ، التي استطاعت أن تغزو المجلات الادبية الاخرى في عقودها ، لأنها كانت الكلمة المطلوبة المنتظرة عند الاجيال الجديدة من المتأدبين بصفة خاصة ، وأكثر انتماء لحضرا وللمستقبل من كل تلك المجلات التي أشرنا اليها ولا نغفلها حقها .

إذا أخذنا بعين الاعتبار سنة ١٩٥٥ ، أي قبل صدور "مجلة الآداب" بسنة واحدة . نلاحظ أن "مجلة الرسالة" و "مجلة الثقافة" المصريتين قد توقفتا عن الاصدار نتيجة لصعوبات مختلفة كانت أهمها الصعوبات المادية . بعد أن استقطبتا عددا كبيرا من القراء في أنحاء العالم العربي . ونجد أن هذه الفئة من القراء ، بالإضافة الى الاقلام التي لعبت الدور الاساسي في تحرير هاتين المجلتين ، في أمس الحاجة الى منبر جديد ، يعوض هذه الخسارة الكبيرة في توقف أفضل مجلتين كانتا في تلك الفترة ، ومن هنا نستطيع أن نجسم ،

نكون بعيدين عن الحقيقة اذا قلنا أن مجلة "الآداب" قامت على دعائم ، كانت في الاصل  
مرجودة ، لانها بقيامها تستطيع أن تستقبل ما كانت تستقبله مجلة "الرسالة" ومجلة  
"الثقافة" المصريتين معا اذا عرف مؤسسوها رغبات القراء وميولهم ، وعرفوا كيف يشهدون  
كبار الكتاب والادباء الى التعرير في مجلتهم .

وعلى رفاة مجلة "الرسالة" ومجلة "الثقافة" قامت مجلة الآداب ١٩٥٣ م ،  
بالإضافة الى الجهود والسخمة ، والاستعداد النبيل الذي وجد عند صاحبها : سهيل  
ادريس الذي وضع نصب عينيه - يم كان طالبا في المرحلة الثانوية - اصدار مجلة  
أدبية جامعة ، الامر الذي شده الى العمل في الصحافة ، حيث كتب في الصفحات الأدبية  
من مجلة "السياد" وجريدة "بيروت" وجريدة "بيروت العساء" وفي "الآداب" التي  
أصدر من خلالها مجموعته القصصية الاولى "أشواق" ودراساته النقدية .

يقول صاحب الآداب (١)

فكرت في الواقع - عندما ذهبت الى باريس ١٩٤٩ لاعداد رسالة الدكتوراه -  
في اصدار مجلة شرسية كبيرة ، ولا شك ، فقد تأثرت هناك بالمجلات الفرنسية ، وخصوصا  
مجلة "الازمنة الحديثة" التي يرأس تحريرها "سارتر" فالتزمت بمبدأ الالتزام (٢) في الآداب  
مؤمنا بضرورة هذا الالتزام الفكري مع الالتزام القومي ، كما كنت أشعر بالحاجة الملحة للسي  
خدمة القضايا العربية .

وعندما عدت الى لبنان ، بعد أن حصلت في عام ١٩٥١ على دبلوم معهد  
الصحافة العالي "بيارس" وعام ١٩٥٢ على شهادة الدكتوراه بالآداب ، عدة لابدأ العمل  
في انشاء المجلة الأدبية التي كانت فكرة انشاءها تراودني منذ وقت طويل ، ولكنني لم استطع  
اصدار المجلة منفردا لظروف مادية ، فاتفقت مع "دار العلم للملايين" لصاحبها : بهيج  
عثمان ، ومنير البعلبكي ، باصدار مجلة الآداب ١٩٥٣ م ، حيث توليت رئاسة تحريرها ،  
وظهر أول عدد من المجلة في يناير ، وأطلقنا عليها الآداب (٣) لأن الآداب كلمة شاملة يمكن

(١) مقابلة شخصية تمت بتاريخ ١٧/٦/٧٥ الساعة التاسعة صباحا ، في دار الآداب ، بيروت .  
(٢) الالتزام : نظرية اوجدتها الاديب الوجودي الفرنسي "جون بول سارتر" وكان قصده  
تحديد اهداف لولن من الآداب يؤمن به ، ويدعوا اليه بشكل من العناد والاصرار ، وبالنتيجة  
اراد للالتزام ان يكون غاية كل ادب ، ورسالة كل اديب . والقصد من هذه النظرية ان يكون  
الادب صورة حية للمجتمع الذي ينتسب اليه ، اي ، نعيش في اعماق هذا المجتمع ،  
ونستمد تجاربنا منه ، ونندرج حوله بخطوط اتجاهاته الفكرية .

(٣) لم يكن سهيل ادريس اول من ابتكر اسم "الآداب" فقد سبقه في مصر الشيخ علي يوسف  
١٨٨٧م كان له "جريدة الآداب" في القاهرة ، وهي عبارة عن جريدة اسبوعية تاريخية  
علمية ادبية فكاوية ، صدرت بثماني صفحات متوسط الحجم في ٤ شباط ١٨٨٧ المنشأ  
الشيخ علي يوسف ، فرخصت له الحكومة المصرية بذلك بعد ممانعة طويلة ، واحتل صاحبها  
من المشاق والنفقات ما يتخذ دليلا على عظيم اثباته وقوة عزمته . وفي السنة الثانية  
احتجبت عن الظهور ، ثم ظهرت في مظفر حسن ١٨٨٦ وقد عطلها صاحبها في السنة  
الثالثة من عمرها . وحصر عنايته في جريدة "المؤيد" .  
دي طرازي ، فيليب . تاريخ الصحافة العربية ج ٣ ص ٣٠ و ٣١ بيروت المطبعة الادبية ١٩١٣

أن تندمج فيما كل الآداب والفنون الأدبية التي أطلع ان تتضمنها المجلة .  
وفي سنة ١٩٥٦ لم استقلت بمجلة الآداب عن شريكي ، وأصبحت زوجتي عايدة  
مدارحي سكرتيرة تحرير المجلة حتى يومنا هذا .

## ٢ - أهم الاقلام التي شاركت فينا :

لقد حاولت المجلة أن تستكتب من كافة العربة تقريبا . ولسنا نشك في أن  
الادباء في لبنان كان باستطاعتهم دائما - في الماضي والحاضر - أن يقوموا منفردين بما  
تتطلبه مجلة أدبية شريفة ، ولكن هذا التصرف الدائم من صاحب مجلة الآداب ، يعني  
حرصه المستمر على أن تظل جسرا موصلا بين مناطق العالم العربي فكريا وأدبيا ، بل لعل  
أحيانا استكتب أقلاما ناشئة من تلك البلاد ، وهذا يعني انتقاء الخرش التجاري في الدرجة  
الاولى ، فالأسماء الجديدة عادة لا تجذب قارئ الأدب بسهولة ، وليس لذلك من  
تفسير الا الرغبة في احتضان المواهب الجديدة ، والتبشير بقيم المستقبل ، تلك القيم التي  
كانت هدفا أساسيا للمجلة منذ عدها الأول (١) .

واستطاعت هذه المجلة الفتية ان تخطو خطوة كبيرة في جذب جيل من القراء ، كانوا  
يرقبون الاحداث عن كتب ، وتلاعب بهم الحيرة ، ويتقاذفهم القلق لما هم بحاجة ماسة  
اليه من مجلة او جريدة تستجيب للقليل من الكثير من نزعاتهم المتمردة في حقلي القومية و والفكر  
فلا يجدون تجاوبا ، بيد ان " الآداب " استطاعت - وفي فترة قصيرة من اصدارها - ان  
تقفز الى المستوى المنشود ، لانها كانت تجيب على أسئلة القراء بما تضمنته من مقالات نقدية  
وسياسية ، وما نهجته من طريق تنويري جري ، خفف من الحيرة والقلق المسيطرين على  
النفوس ، بما رسمته لنفسها من رسالة وخطة غاية ، وقد ساعدها على ذلك توقف مجلة " الرسالة "  
المصرية ، الذي يمكن ان نعتبره علاقة وموشرا على تحول في الذوق الأدبي العام .

في مجال تعرفنا على الملامح الاساسية ، اران صح القول : شخصية المجلة ،  
فان خير ما نفعه ان نستمد هذه الصورة المملوءة من المعرفة بأهم الأقلام التي صنعت  
تلك المجلة ، او شاركت في تحريرها مشاركة واضحة ، الاسماء التي أصلت خطها الفكري  
العام ، والنقدي ، والانساني . وسيكون من حظ الاحصاء والتتبع الشامل عبر أكثر  
من عشرين عاما أن يعرفنا بأولئك الذين حملوا عبء البداية ، او السنوات الاولى الخطيرة

(١) يقول عنها اديب مروه :

" فكانت فتحة جديدا في دنيا المجلات الادبية ، بما اختلته لنفسها من انتماج الادب  
الالتزامي ونشر الابحاث الفكرية العميقة ، والمقالات الترجيحية ، هذا فضلا عن القصص  
والترجمات والروايات ، وقد شجعت " الآداب " حركة النقد الادبي تشجيعا كبيرا ، وكانت  
ذا اثر لا ينكر في خلق جو فكري ادبي جديد في لبنان والبلاد العربية " .

في حياة كل مجلة ، تحمل فكرا جديدا ، وتقدمه الى الناس ، رغبة في تغيير ما اعتادوا عليه  
كما نتعرف الى تلك الاقلام التي سارت فيما بعد ، بمثابة روافد تقوية للمجلة في مسيرتها ،  
واخيرا تلك الاقلام التي لم تكن معروفة بدرجة كافية ، ثم ظهرت وأخذت ثقلها وحجمها الفكري  
والفني عبر صفحات المجلة ذاتها ، وربما يعني ذلك أن المجلة هي التي خدمتها دون العكس  
فالآن ، نحن أمام أصناف ثلاثة من الكتاب :

### أ - الطائفة الأولى : (١)

م الذين ألقوا بثقلهم الفكري والفني ، وشهرتهم المستتبة لدى جمهور المتأدبين  
أمثال "أنور المعداوي ، وشكري الفيصل ، وعبد الله الحلايلي ، وعبد القادر القسط ،  
وعلي أدهم ، ومارون عبود ، ومحمد مهدي الجواهري ، وميخائيل نعيمة ، وغيرهم .  
فهذه الاسماء عندما شملت مع "الآداب" لاشك أعطتها قدراً من الثقة ، واعترافاً لدى  
جمهور القراء بقيمتها وارتباطها بمن يمثلون أصول ثقافة العصر ، وأهم ملامح وجهه الفني .

### ب - الطائفة الثانية : (٢)

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر : " بدر شاكر السياب ، وتوفيق يوسف عواد  
ورثيف خوري ، وشاكر مصطفى ، وعبد الله عبد الدائم ، ومنير البعلبكي ، ونزار قباني  
ولا نستطيع ان نقول إنها تمثل ركائز أساسية في ارض الثقافة العربية في اوائل الخمسينات ،  
ولكنها كانت قد بدأت عبر المجلات الأخرى ، والكتب الخاصة تثبت وجودها ، ومن ثم صار  
تعاونها مع مجلة "الآداب" أمراً شبه مقرر أو متوقع وقد زاولت دوراً واضحاً بخصوص مجال  
القصة والنقد . . . فبعض هذه الاسماء ، كتبت القصة ، وبعض آخر ترجمها أو نقدها ،  
أو أرخ لها .

### ج - الطائفة الثالثة : (٣)

يمكن ان نسمي أعلامها أعلام النقد ، مثل : رجاء النقاش ، وسلم حيدر ، وسليمان  
فياض ، ومطاع صفدي ، وأبو المعاطي ابوالنجا ، واكثر هذه الاسماء لم تكن معروفة  
قبل الخمسينات بحكم عامل العمر ، وكلم من الشباب تقريبا في ذلك الحين ، وقد مهدت  
الآداب " لشهرتهم على نطاق واسع فيما بعد ، فمثلاً : رجاء النقاش الذي صار مشهوراً  
بدراساته النقدية المتعددة ، فانه في تلك الفترة كان ما يزال يتحسس طريقه الى جانب  
القلمين الراسخين : عبد القادر القسط ، وأنور المعداوي وجيلهما .

(١) انظر مجلة الآداب ع ٢ و ٣ و ٤ من ٣٥ م وعدد ٤ من ٥٨ م

(٢) انظر مجلة الآداب ع ٢ و ٣ و ٤ و ٥ و ٨ من ٥٣ م و ٣ و ٩ من ٥٤ م  
وع ٧ من ٥٥ م وع ٦ من ٨ و ٨ من ٥٨ م

(٣) انظر أعداد المجلة ٧ و ١٠ من ٥٤ م و ٤ و ٧ من ٥٥ م

٢ - ملامحها العامة بين التجديد والتقليد :

التجديد ، هو طبيعة الأشياء والأحياء في الحياة ، وهو سنة الله في كونه \*  
وهذه السنة تؤكد عدم وجود الشيء ثابتا على ما وجد عليه ، ولا الانسان يبقى على حاله ،  
لارتباطه بالتطور الحتمي الذي يقود الاحياء والاشياء الى منطلقات أفضل وأكمل ، ويعمل  
على ارتباطها بالخطوات المستقبلية التي تقود الى الابداع في كل شيء \* . وسنة التجديد  
هذه لا تترك شيئا في هذا الوجود مالم تصبغه بصفتها التجديدية ، أو تحييه <sup>(١)</sup> لمسايرة  
التقدم المنهجي الذي تفرضه الحياة ، وخصوصا في مجال الفكر .

وإذا أردنا أن نتتبع خطوات التجديد ، نجد لها تسير جوبا الى جنب مع الزمن  
حيث كان النقاد في عهودهم القديمة ، يختلفون فيما بينهم في شكل الأشياء ، لافسي  
مفاهيمها ، فيقارنون بين اللفظ الجزل ، والركيك ، وبين الاسلوب الرصين والمهلل ،  
ثم يتناولون المعاني المسروقة ، والمطروقة ، والتشبيه المتنوع من وجوه البادية او من صور  
بعيدة عنها كصور الحشر ، والمطلع الجيد ، والتخلص الحسن والقيج ، ثم يجرون في  
كل هذا على أوزان تختلف باختلاف الحياة المرتبطة بالطبقة والبيئة والصناعة والجنس .

ولم يتمرّد التجديد او يكون له شأن في الادب الا مع ازدهار الحضارة العربية  
حيث اقتضت الاحوال الاجتماعية طبيعة التطور ، فاستحدثوا في فنون الكتابة الرسائل  
والمقامات ثم القصص .

ولم يتوقف التجديد عند هذا الحد ، فنرى ان قيام مجتمع عربي جديد دفع الى  
قيام قيم جديدة ، وعادات جديدة ، ومصطلحات جديدة ، وألفاظ جديدة ، وأغراض  
تجدد ، ومعاني تتولد ، لان الحضارة ترمي المجتمع كل يوم بختم جديد ، والمعلم  
تطالبه كل ساعة بمصطلح متطور .

وبعد أن تحرك العالم العربي على المستوى السياسي التحرري ، وأصبح  
الاستعمار يحد ذاته يسير في طريق مهترئة ، وخصوصا بعد أن فتح الباب على مصراعيه  
امام الافكار الغربية ، حيث اشتدت التيارات الثقافية بعد ان أخذت الصحف والمجلات  
الادبية تتناول الافكار الحديثة ، وتتمتع بحرية الرأي ، أخذ أبناء الشعب العربي الواعي  
يرتبون كل حدث ثقافي جديد ، ويستمعون الى كل نداء حر ، يدعون الى التحرر من  
النظم التقليدية ، سواء كانت نظاما سياسية ، او ثقافية او اجتماعية ، لان القفزة الحضارية  
التي ابتداء يقفزها الشعب العربي عبر المدارس النقدية الحديثة كالرومانتيكية ، والرمزية  
والواقعية الجديدة ، تفرض عليه اعادة النظر فيما ورثه من نظم ثقافية واجتماعية ،  
وسياسية مختلفة ، مادامت هذه النظم لا تتعارض مع المعتقد الديني ، وان كان لها  
بعض تأملات متطرفة .

(١) في مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة ، للدكتور اسعد علي شح واف لقواعد الاحياء  
والتحديث .



وعندما زال التهديد الاستعماري المباشر ، وأصبحت الدول العربية متلاحمة فسي  
ماليهما \* قولت الثقافة الغربية بالاعجاب من البعض ، والنفور من جانب آخر ، والاحترام  
المصحوب بالخوف من جانب ثالث ، وسارت الاستعارة والمحاكاة يخطى مسرعة ، وعلى نظام  
واسع في بعض الأماكن كسوريا وصر إلى درجة أدت إلى إهمال الثقافة العربية نفسها  
وبذا ازداد تهديد الغرب في بعض الأماكن خارجيا وتهديد استعمار داخليا وتهديد  
ثقافي وسياسي (١) حيال هذا الوضع نجد أن فكرة التجديد قد تأثرت تأثرا مباشرا الكيان  
السياسي والحرية السياسية وشادت تلك الفترة توسعا وامتدادا ، في اتجاه محاكاة الغرب  
في المجالين : الاجتماعي ، والثقافي مما أوجد رد الفعل القوي ، حيث أخذت  
الشعوب تبحث عن شخصيتها وكيانها ، وكان ذلك مترجما بكثير من الخيال الرومانتيكي  
الذي كان يتحكم متسلطا . وانكشفت المدارس التقليدية ، وازدادت المدارس الحديثة  
التي نهجت منهج التعليم الغربي .

وبالنظر الفاحصة لما قدمه الغرب من آراء ومبادئ جديدة نجد أن الباحثين  
عندنا انقسموا فئتين : فئة منهم \* يشعرون بالنقص أمام المجتمع الغربي ، ويعتقدون الكمال  
في كل ما يفعله ذلك المجتمع ، وبالتالي يدعون إلى تهديم بنية المجتمع العربي ماضيا وحاضرا  
ويقابل هذا الفريق فريق آخر يدعي أن الكمال من المجتمع العربي وفيه ، وإذا وجد نقص  
في مجتمع العرب فبسر من صنع الغرب وتخطيطه ، وبالتالي يدعون إلى التخلص من كل  
معطياته الفكرية (٢) .

ونشطت عملية احياء التراث ، وتزايد الاهتمام بالثقافة العربية القديمة سوا بتحقيق  
المخطوطات ، والكشف عن مدارس الفكر العربي القديم . وفي الوقت نفسه وجد تيار  
يمبر عن التطلع إلى حضارة القرن العشرين ، وهذا التيار ، التفت إلى أوروبا ،  
واهتم بنقل فكرها وتقليد أدبها ، وهناك من أفاد التيارين في مزيج ثقافي نادر مثل  
طه حسين ، وهيكيل ، والعقاد ، وغيرهم .

وإذا نظرنا إلى " مجلة الآداب " من هذا المنحى نجد النزعات المستقبلية هي  
الغالبية ، وأدب القرن العشرين هو المسيطر ، ونادرا ما نجد موضوعات تتصل بالأوجاهات  
الكلاسيكية التقليدية في الفكر العربي أو الغربي على السواء ، فلا نجد فيها دراسات  
عن عبد القادر الجرجاني ، أو حتى عن المتنبي إلا في مناسبات معينة كالمهرجانات  
الشعرية . كما لا نجد عن تشارلز ديكنز مثلا ، على حين تتكاثر الدراسات والترجمات  
عن سارتر ، ودعوته إلى الالتزام التي يتقيد بها صاحب " الآداب " ونرى دراسات  
عن " جيمس جويس " و " فرجينيا ودل " وعن علم النفس وعلاقته بالأدب ، وعن الفنون

(١) طبانة ، بدوي . التيارات المعاصرة في النقد الأدبي . ص ٣٠٢ بيروت

(٢) علي ، أسعد . مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة ص ١٢ و ١٣ بيروت

التشكيلية وصلتها في المدارس الأدبية ، وما الى ذلك من مشكلات هي من صميم اهتمامات الأديب المعاصر والباحث الحر الذي يسعى الى معرفة الحقيقة (١) .

وإذا اعتبرنا "مجلة الآداب" نموذجا للمجلة الأدبية الموثرة في الثلاثينات والاربعينات فسنجد اهتمامها الاولي الاساسي ، كان بالتراث والموضوعات ذات الطابع الانشائي التأملية ، فاذا جدت الى الشعر ، فانها لاتعرف الا الشعر العمودي في اغراضه التقليدية المألوفة ، وسياغته ذات النزعة الخطابية غالبا ، واللغة المسقولة دائما .

اذن ، جاءت الآداب لتبني الدعوة الى التجديد ، ولم تعد القصص فيها تسلية وترفيه ، وانما صوامع القيم المستقرة التي تحولت الى نوع من الصداق الاجتماعي ما سنعرض له بالتفصيل ، كما صار الشعر تفاعلا حيا مع قضايا الانسان بصفة عامة ، وقضايا المجتمع العربي أولا وأساسا .

ولكن ، هل استطاعت "الآداب" ان تحافظ على الاتجاه الذي اتخذته هدفالما ولم تسقط في التقليد وتنسرقصا تقليدية ؟ بالعودة الى الاحصاء العام الذي قت به عن القصة ، أستطيع القول : إنها لم تسقط ، وظلت محافظة على اتجاهها التجديدي الذي التزمت به منذ ولادتها .

### ونستطيع أن نوجز ما استعرضناه بالنقاط التالية :

ان كل جديد يصير تقليدا بدوره في عصرنا ، ارتباطا بسنة الحياة وتطورها فشلا ، ابوتام ، والبحثري ، وأبونواس شعرا مجددين في عصرهم . وشوقي ، وشارة الخوري (الاخطل الصغير) وعلى محمود طه ، وخليل مطران ، من معاصرنا ، ومع ذلك تجاوزهم العصر ، على الاقل ، في رأى دعاة الشعر الحر ، ومؤسسي حركته الجديدة ، وليس في ذلك شيء من الغرابة .

فقضية التجديد قضية مستمرة ، وكذلك قضية التقليد قضية مستمرة ، وإذا كان المجددون دعاة مستقبل وتغيير . . ومحاولة تكيف بأوضاع الحياة المتغيرة ، فان المقلدين سيجدون صحتهم أيضا في التمسك بالاصول والحفاظ على معاني العراقة ، والاستمرار في فكر الاممة

(١) الحقيقة التي نريدها هي ما ينفع الانسان ويرفعه ، ويجعله حرا مبدا ، ينطلق من واقعه البشري مرتقا الى مثله الاعلى ، مرتكزا على ركائز الجهاد الموفق بين المادية والروحانية وبين الفردية والاجتماعية ، وبين الذات والموضوع ، وبين القول والعمل .  
أسعد علي ، مجتمع العرب وشخصيتهم في البلاغة . ص ١٣ بيروت

والوان شعبيها . . . ولسنا الآن بصدد اتخاذ موقف من قضية التجديد (١) والتقليد ، وان كان اكتشاف نقطة وفاق بين الجديد والقديم ليست بالامر العسير ، على أنه سيكون دائما من الصعب اعتبار الجديد في حاجة الى تبرير . فالحياة دائما متجددة ، والتعبير عن هذا التمج في حركتها النامية من أهم مبررات البقاء والرقى .

٢ - وقد جاءت "مجلة الآداب" في فترة قلق اشتد فيها الصراع بين التجديد والتقليد ، ليس في الادب فحسب وانما ايضا في مناهج السلوك ، اى العادات ونظام العمل ، وقيم الحياة الاجتماعية ، فضلا عن الفكر والثقافة ، ومن ثم فان اتخاذها موقفا واضحا من هذه القضية لم يكن منه مناص .

والآن ، لا بد لنا أن نستعرض بعض الموضوعات في صورة عناوين سريعة لنرى في أى الجهتين تتحاز هذه المجلة .

### ١ - بالنسبة للقصة :

لم تهتم المجلة " بأصحاب القصص التقليدى او الكلاسيكي ، مثل " تيمسور " الذى لم يجد لنفسه مكانا ، ولم تنشر عنه شيئا ؛ سوى المقابلة الاذاعية المدلولة التسي اجراها معه الاذاعي " فاروق شوشه " تحت عنوان " مع الآداب " (٢) .

وفي القصة المترجمة ، لانجد تركيزا على تشارلز ديكنز ، على أهميته ، على حين نجد الاهتمامات تتجه الى أصحاب الاساليب الحديثة المبتعنين بعالم النفس ، وتصوير المشاعر الداخلية ، مستعملين اسلوب تيار الوعي من أمثال " جيمس جويس " وفرجينيا وولف ، او المصبرين عن أزمة الجنس المعاصرة ، أمثال : البرتومورافيا (٣) .

### ٢ - بالنسبة للشعر :

نرى مجلة الآداب تحتفي اهنفا " بشديدا ب : عبد الوهاب البياتي ويدر شاكر السياب ، ونازك الملائكة ، وفدوى طوقان ، وأدونيس ، وتتجاهل تراثا الشعرى ،

(١) وجملة القول ان معركة المحافظة والتجديد كانت في نتائجها كسبا للفكر العربي كله ، كان هدف المحافظين حماية اللغة ، وكان هدف الجدد دين رفعا الى مصاف الغرب ولكن الجدد ينسرفوا فطالبوا بأن تنقل كل شي\* فأحس المحافظون أن عليهم واجبا هو أن يقفوا دون التراث الذى يجرى تحديمه ، واللغة التي يحاول هدمها والامجاد التي يغض من شأنها . فدافعوا عن اللغة والامجاد والتراث في نفس الوقت الذى حصل فيه المتطرفون لواء الدعوة الى النقل كاملا من الغرب .

وأمكن أن تصل المعركة في نهايتها الى شي\* وسط : هو أن لنا شخصية عربية لها ملامحها الواضحة . . . وأن هذه الملاج يجب ان تبقى وان تزداد قوة ووضوحا ، وأن لنا أن نفتح النواذ للآراء والنظريات الجديدة فناخذ منها ما يتفق مع خالصتنا ، وما يزيد عن شخصيتنا قوة وما يدفعنا الى الامام في ركب الحضارة . فلا تختلف دون أن يؤثر ذلك علينا أو يؤدى الى مسح معالم شخصيتنا .

١ - الجندى ، أنور . المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة علم : (١٨٤٠ - ١٩٤٠) م (٨٦٩ و ٨٧٠) مطبعة الرسالة ١٩٦١ .

(٢) راجع الآداب . ع ٦ و ٧ و ١٠ و ١٢ م ١٩٦٠ .

(٣) راجع الآداب ع ٤ و ٥ و ٦ و ٧ و ٨ و ٩ و ١٠ م ١٩٦٠ .

فلا تنشر منه مختارات ، أو تنشر عنه دراسات كما كانت تفعل المجلات الأدبية الأخرى ، كالأديب " و " الرسالة " وان كانت تنظر أن تفعل ذلك في المهرجانات الشعرية حين تتعقد لتحية شاعر قديم (١)

٣ - بالنسبة للنقد :

لاستحيين " الآداب " بالأقلام التي صحبت الأدب العربي في عصور تقليده ، أو تفتحه نحو التجديد مثل محمد مندور ، وانما نراها تهتم بالنقاد الذين عاشوا فترة التجديد وحدها من أمثال : رجاء النقاش ، زغالي شاکر ، وحين يكتب عبد الحي ذياب سلسلة من المقالات تحت عنوان " القبليية النقدية " (٢) فإنه يكشف في هذه السلسلة عن مخاطر الاستسلام في الاتجاه الواحد للنقد ، ورفض ماعداه ، ولو كان هذا الاتجاه هو التجديد (٣) .

٤ - بالنسبة للفلسفة :

نراها تحتفي في فلاسفة القرن العشرين ، الذين يعالجون الانسان المعاصر (٤)

٥ - بالنسبة للغة :

كان أسلوبها مبتكرا جديدا ، مخالفا لأسلوب القدماء ، وامتازت لغتها بحيوية جعلت أسلوبها محببا لأكبر عدد ممكن من القراء ، وحققت النزعة الديمقراطية بدلا من

- (١) انظر الآداب ع ٧ من ٥٤ وع ١ و ٣ و ٧ من ٥٥ وع ٦ و ٧ و ٨ من ٥٨ .  
 (٢) = ع ٥ و ٧ و ٨ ر ١ و ١١ من ٦٣ .  
 (٣) = = ١ و ٢ و ١١ من ٥٣ وع ٧ و ٩ من ٥٦ .  
 (٤) = = ع ٢ و ٨ من ٥٣ وع ٦ و ١٠ و ١٥٦ .  
 (٥) في رأي العلامة الشيخ عبدالله الحلبي عن تأثير الصحافة في تطوير الاسلوب الكتابي ، انها كانت عاملا اصيليا في انزال الاسلوب العربي من ارسطراطية وأبراجه العاجية كما أتت عليه صفة التلويح بحيث يتناول المعاديات الحضرية عامة ، ثم كل ما يفتسق عن الذهن البشري ، ففعلها في هذه الناحية غير منكر ، بل أقول وأتمنى أن لا يأخذ علي " ناقد " انها أحدثت قفزة تطويرية استطاعت بها أن تصعد - نوعا ما - بالعامة وأن تهيئ - نوعا ما - بالفصحى المتأنقة ، في اتجاه الاسلوب يكون قدرا مشتركا ولقاء خيرا بين مانسبه التعبير الاصيل " والآخر الدارج ، وانصافا للحقيقة لا يسعني إلا أن أئوه بمجهود هو منجز الصحفي نهض بعثه الأديب الكبير عبد القادر المازني الذي وفق أيضا في تطويع العربية تطويحا شبه كامل . ويتراءى لي كأنني أبصر ما ينطوي عليه الغد القريب من اعتماد الاسلوب الصحفي اعتمادا أدبيا فكريا .

وهذا التقرير شبه حتمي ، يفرضه ما يسميه علم النفس عدوى الفكر والشعور : فالجمهورية الصغيرة إنما حظها زادا من القراء منصبا على الصحف : وهم شاءوا أم أبوا يتأثرون بأسلوبها على أنك لو أمسنت النظر ، أو محصت اليم اسلوب أضخم كتاب العربية وأدبائها لوجدتهم تأثروا دون شعور بالاسلوب الصحفي . ولذا أتمنى على الذين يحنون بمناهج النقد انفساح المجال الكبير لما يسمي " الاسلوب الصحفي " . لانني أو من بأنه أسلوب الغد .

مروة ، أديب ، الصحافة العربية من ٤٤٠ الحاشية ، بيروت ، دار الحياة

النزعة الاستقرائية التي كانت تتميز بها الكتابة في القرون الماضية . وتستطيع القول: إن كل عربي كان يرى في " الآداب " ما يحتاج اليه ، وما يقدر على فهمه .

٤ - مجلة الآداب والاضواء السياسية وانعكاسها عليها كآزمات :

الرائج ان لمجلة " الآداب " مؤقتاتويا ، فهني انحيار دائم لقضية الوحدة

العربية . وحملة على الشعبية والانفصال ، و تحية مستمرة للتجديد و رغبة فيه ، وسخرية مفرجة من التقليد والجمود الذي حجبته عن صفحاتها ما أمكنها ذلك . لقد كان هذان الهدفان بمثابة سلاح ذي حدين و فكما كان وراء انتشارها السريع ونيلها ثقة القارئ العربي الجديد ، فان هذا الانتشار كان علامة على مدى خطورتها على الأوضاع السياسية ، والتي كان لها نتائج عكسية على تسويق المجلة في البلاد العربية ذات الاتجاه الاستعماري غير القادر على التحرر من قبضة الاستعمار او المرتبطة بنظم الحكم التقليدي التي تحمل على استعباد الشعوب ، وتلعب بمقدراتهم ، الامر الذي دفع المجلة الى محاربة هذه النظم وهذه الاتجاهات محاربة بلا هوادة ، رغم ما كانت قد تستطيع الحصول عليه من مكاسب مادية ، وما تلاقيمن تشجيع وساعدة مقابل صحتها ، ولكن مبدأ الالتزام القومي الذي تؤمن به هذه

المجلة التزام الدعوة الى الوحدة والاشتراكية ، المبنية على العدالة الاجتماعية ، جعلها فريسة هيئة وفي متناول اليد المجرمة ، فمنعت من دخول بعض الدول العربية (٢) . فانعكست عليها هذه القضايا التحررية كآزمات ، كان القصد منها القضاء عليها ، ولكنها بهمة ساحبها ، سمدت أمام جميع التحديات والقوى المعادية ، واشتدت صلابتها في الدفاع عن الحق الذي تؤمن به ، والذي يتطلع اليه الشعب العربي بأسره .

قال لي سهيل ادريس: (٢)

" كنا نعاني آزمات مالية بسبب منع المجلة في عدد من البلاد العربية ، وخصوصا في العراق ، أيام نوري السعيد (٣) ، حيث كانت المجلة تتعرض للمنع فتخسر معظم قرائها الذين كان العراق يشكل قوتهم الأساسية . ولكن المجلة صمدت امام الأزمات ولا تزال حتى اليوم ، بعد ان دعمتها ولا تزال تدعمها " دار الآداب " .

(١) العراق : كانت الاسباب سياسية ، تحريرية ، وحدوية .

السعودية : كانت تحريرية واجتماعية ، واشتراكية .

مصر : كانت محسوبة على مصرفي عهد جمال عبد الناصر ، ولدفاعها عن الكتاب

المصريين وحقوقهم في التعبير .

الاردن : لدفاعها عن القضايا العربية من خلال الشعب الفلسطيني والجزائر التي حملت

في ايلول ١٩٧٣ .

سوريا والمغرب العربي : تمنع لأسباب مختلفة ، لانتخرج عن نطاق القضايا السياسية

والتحريرية والاجتماعية .

(٢) مقابلة أجريت معه يوم ١٦ / ٧ / ١٩٧٥ الساعة التاسعة صباحا في دار الآداب ببيروت .

(٣) راجع العدد العاشر من ٥٤ فيه الشروط التي فرضها الحكم العراقي ، لامكان ادخال

الآداب الى العراق .

" كانت الآداب " تنشر مقالات قومية تتحدث فيها عن القومية العربية والحرية  
 مما كان يؤذى البلاد التي تتعارض مع التحرر العربي ، فمثلا السعودية ، فالمجلة لاتزال  
 ممنوعة من دخولها الى الآن ، وكثيرا ما منعت وتمنع من دخول الاردن ، لانها تدافع عن  
 الفلسطينيين والمجازر التي حدثت في ايلول ١٩٧٣ . وكذلك منعت من دخول مصرفي  
 السنة ذاتها بسبب تبنيها الموقف اتحاد الكتاب اللبنانيين في تونس ، والذي كان يدس  
 سياسة التضييق على الفكر في مصر ، ومنع الكتاب من ممارسة حقهم في التعبير ، ولكنها  
 المجلة المنتشرة في مصر ، كان سراقبال الكتاب المصريين على الكتابة فيها " .

" ان الآداب مجلة قومية عربية ، لاشرقية ولاغربية ، وهي تضع حرية الفكر  
 فوق كل اعتبار ، وهي أخلص لقضيتنا القومية العربية من أن تستقي خطتها من موسكو أو  
 من واشنطن او من لندن او من باريس ، وان الاخلاص لهذه القضية يقتضيها محاربة كتيبة  
 من الآفات التي تنخر كيان الامة العربية كالاستعمار ، والاقطاع ، والاستثمار ، كما  
 يقتضيها الدعوة الى كثير من المبادئ الرفيعة كالنزعة الانسانية والعدالة الاجتماعية " .

وإذا نظرنا الى القصة في مجلة الآداب من منطلق القومية العربية ، نجدها  
 لم تكن بمعزل عن هذه الاحداث التي تتحكم بالعالم العربي (١) ، فكانت معظم القصص  
 المنشورة في " الآداب " تعبر عن الهمم القومية ، ونزاع أفراد الشعب العربي من أجل  
 التحرر والتقدم ، وبطبيعة الحال عن القضية الفلسطينية ، من حيث المقاومة والفلسطينيين  
 والمثقفين المتزمين ، وكذلك معارك التحرر الاجتماعي .

ونستطيع القول : إن الأوضاع القائمة في العالم العربي هي التي كانت تفرض  
 هذه الانعكاسات على المجلة ، والاضطرابات السياسية المستقبلية في العالم العربي حتى في  
 داخل الاتجاه السياسي الواحد ، وموقفها القومي واضح ، ومن الصعب مداراته ،  
 وكذلك فتحت صفحاتها لكتاب كبار ، كان لهم مواقفهم السياسية المعروفة ، وعقائدهم الفكرية  
 المعلنة ، ويصح من الصعب عليهما ان تعتذرا عن النشر لهم حين يتعرض هذا الكاتب  
 او ذاك الى الاضطهاد في بلده او مصادرة فكره .

#### ٥ - أبواب المجلة :

من الواضح ان مجلة الآداب ارتبطت بأبواب ثابتة ، ولا تزال ، بيد أنها  
 استطاعت أن تطور هذه الأبواب حسب مقتضى الزمان والمكان ، ودأبت على تقديم كل شيء  
 جديد ، ارتباطا بخطتها التي وضعتها لنفسها ، وتقيدت بها ، ولم تنحرف عنها رغم  
 الصعوبات التي واجهتها ، وحاولت أن تجرفها عن خط سيرها القومي .

وإذا حاولنا أن نستخلص الاتجاه العام لهذه المجلة ، نراها التزمت بكل شيء

(١) لا يخلو عدد من مجلة الآداب الاوفيه اكثر من قصة وطنية .

جديد ، في الادب ، وفي الحياة ، وقد تمت للقارئ العربي كل ماتسابق ان تقدمه مجلة  
أدبية ملتزمة بالقضايا الوطنية ، والإدبية ، والاجتماعية ، سواء كان على الصعيد العربي  
او كان على الصعيد الغربي بالنسبة للادب والفلسفة والتاريخ والاجتماع ، وكل ما يدور بفلك  
هذه الانواع .

وبإلقاء نظرة فاحصة على فهرس المجلة نجد ان كل عدد تقريبا من مجموع

اعدادها طيلة اثنتي عشرة سنة لا يخلو من الابواب التالية :-

١- باب الابحاث - ٢- باب القصائد - باب القصص - ٤- باب

النشاط الثقافي العربي - ٥- باب النشاط الثقافي في الغرب .

٦- باب النتائج الجديد . ٧- باب المناقشات - ٨- باب ثمرات العدد الماضي .

وإذا نظرنا الى كل باب على حدة ، نجده يعالج قضايا الساعة ، أي يرتبط

بها زماناً ومكاناً .

١- باب الأبحاث : يتناول المهم من الابحاث الضرورية ، سواء نقدية او

اجتماعية او علمية ، ويحاول ان يظهر العلاقة بين هذه الابحاث والعيادة التي  
وجدت فيها .

٢- باب القصائد ، والشعر : يتناول كل جديد في الشعر ، ويحاول

ان يسبق الزمن في تطوراته ومعانيه التجديدية . ولم يكرس هذا الباب للشعر العربي القديم  
لان سياسة المجلة سياسة تجديد والتزام في كل شيء جديد ،

٣- باب القصة : يهتم بأصحاب الاساليب الحديثة من المهتمين بعالم

النفس ، وتصوير المشاعر الداخلية ، والقضايا الاجتماعية والسياسية التي تعاني منها  
الامة العربية ، كما يهتم هذا الباب بالقصة الغربية ، وترجم أفضلها .

رغم ان هذه الابواب قد تعرضت للنقد المستمر في المجلة نفسها ، الا ان  
الابواب الاخرى لم تتعرض للنقد ، مع أنها من الابواب الرئيسية المهمة ، وتشكل عنصراً  
أساسياً من عناصر المجلة .

٤- النشاط الثقافي في الغرب : والمقصود منه متابعة الافكار الجديدة .

والمذاهب الادبية المستحدثة في الغرب ، ونقلها بمجرد ظهورها الى المثقف العربي ولو  
في صورة تلخيصات سريعة ، او اخبار مختصرة عن ظهور كتب جديدة او ما أشبه ذلك .

٥- النشاط الثقافي العربي : حيث الامر يختلف ، فبالإضافة

الى وظيفة التعريف بالنشاط الفني في مختلف البلدان العربية نجد أن من أهداف هذا

الباب الثابت ايجاد قاعدة مستمرة من المثقفين العرب في مختلف أنحاء الوطن العربي ، والتي تتعامل مع المجلة ، وتمدها بالأخبار وتلقاها من حيث مد جسور المعرفة بين أبناء الأمة الواحدة عبر أداة توصيل منتظمة وموضع ثقة من الجميع .

ان بابي " النشاط الثقافي في العالم العربي وفي الغرب ، من أهم أبواب المجلة لارتباطها بالقارى ارتباطاً متيناً من حيث يمدانه بصور تكون صادقة عن الوضع الأدبي في البلاد العربية والأجنبية ، والأمثلة كثيرة في كل عدد من أعداد المجلة تحت عنوان هذين البابين ، وفيهما تصوير عميق يتعمد الثقافة العربية بإرغامها على السير في الاتجاه الصحيح الذى يرفضه المتزمتون من دعاة القديم .

٦ - وإذا نظرنا الى باب " تراث العدد الماضي " نراه كلاً ، عملية تقوم للوزن المجلة ، فكان كل عدد يزن سابقه ، ويضعه تحت ضوء النقد ، وأقلام مشاركة بصورة مستمرة في مادة المجلة ، وتبقى له وظيفته النقدية من حيث متابعة النتاج الجديد أولاً بأول ، وتنشيط الحوار النقدي ، فقد يحدث أحيانا الا يرضى الكاتب المنقود عن ما وجه الى عمله الفني من نقد ، فيكون الرد ، وأحيانا الرد على الرد ، ونكشف أننا بازا معركة نقدية تغرز الجيد والمالح نسبي أكثر الأحيابين .

٧ - والحقيقة الثابتة أن باب " النتاج الجديد " يجب أن يعطي أهمية كبيرة في المجلة ، وان كانت لانسيره الاهتمام الواجب ، حيث يشكو هذا الباب الضعف والهزال ، ومن الواجب أن تكرر له مجلة " الآداب " أثلاماً نقدية قوية وصرحة ، ليرتجى الأدب نحو الخلق والابداع الجديدين ،

٨ - " باب المناقشات " نجده ذا فائدة كبيرة ، وممتعة صادرة عما يولده الاحتكاك الفكرى ، من آراء وتأملات وملاحظات قد تتميز بالجدة ، من حيث مفاهيم القارى ، ومن حيث التفرج على كل نزاع او معركة ، او مصارعة ، ولا شك أنه باب حي يتيح لجميع القراء أن يشاركوا في ابداء آرائهم ، فيتم بذلك التجاوب بين القارى والقارى ، التجاوب الذى يجعل منهما نزلاً مدرسة واحدة ذات مفاهيم متعددة .

كان لمجلة الآداب دورها الكبير في الحركة الأدبية والفكرية ، كما كان لها شوط واسع في حركة الالتزام الادبي والسياسي ، والاجتماعي ، حيث فتحت أمامه الآفاق ، فأذاعته ونشرته على نحو لم يكن يتحقق عن طريق الكتب المطبوعة ، كما كان لها أثرها في إبراز عدد كبير من الكتاب الذين لمعت أسماءهم عن طريقها ، وكان لها ايضاً أثرها في معالجة وتطوير قضايا الفكر والسياسة .



ولم تكن رسالة الآداب محصورة بالتشجيع على التعبير وظهور أدباء العصر الحديث بل أوصلت - عن طريق الترجمة - الفكر الغربي الى المثقفين العرب ، وأكملت رسالة التمازج الثقافي بين الشرق والغرب .

ونستطيع القول إن "مجلة الآداب" كانت مدرسة بذاتها ، تخرج من علمها صفحاتها معظم الأدباء العرب الشباب ، واحتلوا مراكز أدبية مرموقة ، منهم من اتجه الى ميادين أخرى ، غير ميدان الصحافة ، وآخرون أشرفوا على مجلات أدبية أو شاركوا في تحريرها ، ويدينون "للآداب" بأنها احتضنت مواهبهم وساعدتهم على تنمية هذه المواهب التي لها بما كان يقدمه نقادها من تحليلات وملاحظات .

كما نستطيع أن نقول إن "الآداب" أصبحت مرجعا رئيسا لدراسة تطور الأدب العربي الحديث في النصف الثاني من هذا القرن ، وقد ساعد خطها الملتزم على تقديم الوثائق التي تتيح لعلماء الاجتماع ان يدرسوا هموم المجتمع العربي المعاصر عبر انتاج الشعراء والقصاصين والنقاد .

ولا نستطيع أن ننكر ان مجموعات مجلة الآداب أصبحت تحتل مكانها في كثير من المكتبات العالمية والعربية الى جانب المراجع الاجنبية والعربية الكبيرة والموسوعات والمعاجم الأمر الذي يجعل دورها فعالا في الأدب والحياة ، وخصوصا وهي تتناول أكثر من جيل واحد في الأدب على اختلاف مذاهبه وأنواعه .

---

اللفة : من لغا ، اللغو واللفا : السقوط وما يجتهد به من كلام وغيره ، ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع .

واللفة ، من الأسماء الناقصة ، وأصلها لغوة من لغا إذا تكلم (١)

واللفة في الاصطلاح : هي وسيلة الاتصال بين البشر في شكل أصوات منظمة ، وهي التي يتم بواسطتها تبادل الأفكار بين شخص وآخر ، وهي السمة الفريدة التي يتميز بها الجنس البشري ، ولاكتاد نعلم شيئا عن أصل نشأتها ، غير أن العلماء يعتقدون أن الناس ظلوا يستخدمونها منذ أمد بعيد ، إذا قرن تاريخ الكتاب الذي لا يجاوز ( ٦٥٠٠ ) سنة ، عد ضئلا بالنسبة لنشأة اللفة (٢) وهي مرآة الأمة التي تعكس تجربتها في الحياة ، وكذلك هي الأداة التي يعبر بها الفرد عن أحاسيسه ومشاعره وعواطفه وحاجاته .

من الأمور الثابتة التي تكاد تندرج تحت البديهيات ، أن اللفة ، عامل أساسي من عوامل تكوين الأمم ، والمجتمعات الانسانية ، ولا توجد أمة بدون لغة ، بل يمكن تأطير قصة الحضارة العالمية جمعاء في ذلك الحوار المتواصل ما بين اللغة والفكر ، وانعكاس تلك العلاقة على التقدم الاجتماعي الشامل ، في ذلك التزاح ما بين العلم والعمل ، وما بين الطاقة والمادة . واللفة أبدا في الحالين - كعامل للفكر - تلك الوشيجة الحية في العلاقة الجدلية القائمة ما بين البنية التحتية - وتعكس عوامل التقدم الاجتماعي - بالبنية الفوقية - معيار هذا التقدم وصورة الحية (٣)

ان من أجل وسائل وأهداف التربية القومية العناية بلغتنا العربية ، من حيث للمسي المقم الأساسي لفكرتنا القومية ، انها بمثابة العمود الفقري لجسم هذه الأمة .

إذا نظرنا الى اللغة العربية من الناحية القومية ، نجد ما كانت الهامان الوحيد لوجدتنا فيما مضى ، كما هي الزامن الأكيد والوحيد لوجدتنا المستقبلية ، فجدير بنا أن نحرض عليها الحرص كله ، وحرى بنا أن نعتز بها العزة كلها وأن نبقىها حية . بكل ما في الحياة من معان ، وأن نقام بلا هوادة كل دعوة هدامة ، لاقامة اللهجات العامية الدلية مقام اللغة الفصحى ، وأن لانلين ، بتأثير ما في العامية من سهولة وعدوية أحيانا

(١) المعجمات

(٢) الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٥٥٧ ط ١ دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر القاهرة ١٩٦٥ م .

(٣) تاج العروس ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ج ١ المقدمة ص و ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م مطبعة حكومة الكويت .

أو تتساجح في جعلها لغة التعلم أو التنقيف ، لأن أمل ما في هذا من خطر أن يحلنا إلى أم ، ولا يبتينا أمة واحدة . وإن استعمالنا اللهجات العامة يفقد العربية ميزتها الأساسية بين اللغات القديمة ، وهي كونها لغة حية مستعملة وليست لغة الكتاب والدراسات الأدبية الخالية فحسب كما هو شأن الإغريقين واللاتينيين مثلا (١) . وقد أجمع المختصون بدراسة اللغات على أن اللغة العربية تتمتع بعدة صفات تؤهلها للبقاء والاستمرار في أداء مهمتها ، فهي تمتاز بالغمى والقوة والمرونة ، وهي قابلة لتأخر الحياة ، ولقد قاومت من صروف الدهر وخصومة الأعداء ، ما لم تقاومه أية لغة مما يدل على أن اللغة العربية تتمتع بحياة عظيمة (٢) .

وكلما اتسعت حضارة الأمة ، وكثرت حاجاتها مرافق حياتها ، ورفق تفكيرها ، وتذبذبت اتجاهاتها النفسية ، كلما نهضت لغتها وسمت أساليبها و تعددت فيها فنون القول ، ودقت معاني مفرداتها القديمة ، ودخلت فيها مفردات أخرى عن طريق النوع والاشتقاق والاقتراب للتعبير عن المسميات والأفكار الجديدة . ولغتنا العربية أمدق شاحد على هذا ، فقد كان لانتقال العرب من همجية الجاهلية إلى حضارة الإسلام ، ومن النطاق العربي الضيق الذي امتازت به فدينتهم في عصر بني أمية إلى النطاق العالمي الراسع الذي تحولوا إليه في العصر العباسي ، كان لهذين الانتقالين أصل الأثر في نهضة لغتهم ورفق أساليبها واتساعها لمختلف فنون الأدب وشتى مسائل العلم وتأكد ما نتوخاه أكثر فأكثر حينما نستل من علم النفس تحديده لوظيفة اللغة : على أنها الوسيلة التي يمكن بها تحليل أية فكرة أو صورة ذهنية إلى أجزائها وخصائصها ، والتي يتأتى بها تركيب هذه الصورة مرة أخرى ، ويلخصون نواحي وظيفتها بما يلي :

- ١ - أنها تجعل للمعارف والأفكار البشرية قيمة اجتماعية بسبب استخدام المجتمع لها للدلالة على ما يعتمل فيه .
- ٢ - أنها تحتفظ بالتراث الثقافي جيلا بعد جيل .
- ٣ - أنها وسيلة تساعد الفرد على تكيف سلوكه وضبطه كي يناسب تقاليد المجتمع وسلوكه .
- ٤ - أنها تزود المرء بأدوات التجريد الفكري والتأملي .

(١) قد لا يكون للإمامية لغة قومية مستقلة ، كما هو الشأن في النسا ، فإن لغتها هي

الألمانية . وقد يكون للدولة أكثر من لغة رسمية واحدة كما هو شأن سويسره ، فإن بها ثلاث لغات رسمية : الألمانية والفرنسية والإيطالية . وقد تكون اللغة الرسمية ولغة الكتابة في الأمة هي اللغة القديمة التي انتشبت منها لهجتها كما كان الشأن في اللاتينية بفرنسا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال ورومانيا ، وكما هو الشأن في اللغة العربية الآن ب مصر والسودان وبلاد المغرب وشمال إفريقيا \* علم اللغة \* علي عبد الواحد وافي ، الحاشية ص ١٧٠ ط ٣ - ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م لجنة البيان العربي - القاهرة .

(٢) تاج الصروس ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ج ١ التمديد ١٣٨٥ - ١٩٦٠ م مطبعة حكومة الكويت .

ومن وراء هذا يتبين لنا أن كلمات اللغة ان هي الا اوعية الأفكار والوجدانيات كما انها الوسيلة الارقى من وسائل التعبير بما فيها من طواعية او بما لها من امتداد زمني ، ونهوض بالآباء عن العلاقات المعنوية (١) .

### حركة التجديد في اللغة :

تبدو حركة التجديد المقصود في مظاهر كثيرة من أكبرها في التطور اللغوي الأمور الآتية :

١- تأثر الأدباء والكتاب بأساليب اللغات الأجنبية ، واقتباسهم أو ترجمتهم لفرداتها ومصطلحاتها وانتفاعهم بأفكار أهلها ونتاجهم الأدبي والعلمي . فلا يخفى ما لهذا كله من أثر بليغ في نهضة لغتنا الكتابية وتدريبها واتساع نطاقها وزيادة ثروتها و أكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في عصر بني العباس يرجع الى انتفاع الأدباء والعلماء باللغتين الفارسية والاعريقية ، فقد أخذوا في ذلك العصر يترجمون آثارها ، ويقتبسون عليها بالشرح والتعليق ، ويستغلونها في بحوثهم ويحاكون أساليبها ، ويقتبسون منها عددا كبيرا من المفردات العلمية وغيرها ، ومزجونها بمفردات لغتهم عن طريق تعريبها تارة وعن طريق ترجمتها تارة أخرى ، فاتسع بذلك متن اللغة العربية وازدادت مرونة وقدرة على تدوين الآداب والعلم . .

واليم يرجع أكبر قسط من الفضل في نهضة اللغة العربية في الاقطار العربية في العصر الحاضر الى انتفاع الصحفيين والادباء والعلماء باللغات الأوروبية ومحاكاتهم لأساليبها ، وتحريرهم أو ترجمتهم لألفاظها ومصطلحاتها واستغلالهم في مؤلفاتهم ومترجماتهم لمنتجات أهلها في شتى ميادين الحركة الفكرية .

ان للصلات الثقافية أثرها في حياة الأمم والشعوب ، فهي تربط بين طلابها - مهما تباعدت دورها - برباط المودة والمحبة ، وتقارب بين مشاعرهم وحوادقهم ، كما أنها تتجه بنا وجهة فكرية موحدة في تفهمها للمشكلات التي تعترض سبيلها ، وفي السعي لايجاد الحلول المناسبة لها .

وتم هذا تلقائيا بين الامم المختلفة والشعوب المتباينة ، فكيف به بين شعوب الأمة الواحدة ؟

ان الاتصال الثقافي يكون أكثر فاعلية وآثاره تكون أوضح عمقا ، وأمتنا العربية - على تعدد ما بينها من صلات - قد مرت بها فترة طويلة تحكمت فيها قوى الشر والبغى ، فاصطنعت الحدود بين أقطارها واقتنست في ثلوثين أجزاءها ، حتى لو أوشك بعض أبناء العرب ممن بهم زيف المدنية الخربية - أن يتنكروا لما فيهم ، ويشككوا في قدرة أمتهم على

(١) الصحاح في اللغة والعلم - التقديم ص . ب العلايلي ط ١ ١٩٧٤ .

استثناف الحياة القوية الكريمة ، معتمدة على نفسها ، ناهضة بكل أعبائها ، وليس منا من يجهل أثر الثقافة المتجانسة والمعارف المتقاربة في التعجيل بالوصول الى تحقيق أهداف الأمة السريية السامية والخروج بها من ضعف الانقسام والفرقة الى عزة الوحدة المتينة والألفة القويمة .

٢ - احياء الأدباء والعلماء لبعض المفردات القديمة المنجورة ، فكثيرا ما يلجأون الى ذلك للتعبير عن معان لا يجدون في المفردات المستعملة ما يعبر عنها تعبيرا دقيقا ، لمجرد الرغبة في استخدام كلمات غريبة ، في الترفع عن المفردات التي لاكتها الألسن كثيرا ، وبكثرة الاستعمال ، تبعت هذه المفردات خلقا جديدا ، ونزل ما فيها من غرابية وتندج في التداول المألوف .

٣ - خلق الأدباء والعلماء لألفاظ جديدة ، للتعبير عن أمور مستحدثة في الحياة الاجتماعية أو الفكرية لا يجدون في مفردات اللغة المستعملة ولا في مفرداتها الدائرة ما يعبر عنها تعبيرا دقيقا . وقد لا يشطروهم الى ذلك الا مجرد الرغبة في الابتداع او مجانية الألفاظ المتداولة المألوفة ، أو ابراز المعنى في صورة رائعة وتثبيته في الأذهان ، وتذليل سبل انتشاره بالاغراب في تسميته . وكثر التجه الأدباء والعلماء اليها بنوع خاص من تسمية المستحدث من المخترعات الصناعية والمصطلحات العلمية والأحزاب والمبادئ السياسية والاجتماعية ، وفي التعبير عن بعض معان دقيقة في عالم الأدب والفلسفة ، فئات مؤلفاتهم بهذه الكلمات المنسوجة ، وتألف منها معظم المصطلحات في الفلسفة وعلم النفس والعلم الطبيعية والطب والصيدلة ، وقد أجاز المجمع اللغوي بمصر الالتجاء الى هذه الطريقة حيث تدعو الى ذلك ضرورة ، بأن لا يوجد في مفردات اللغة ، متداولها ومهجورها ، ما يعبر تعبيرا دقيقا عن الاصطلاح المراد التعبير عنه ، ولا يخفي ما لهذه الوسيلة من أثر فسي نهضة لغة الكتابة ، وإتساع منها ودقة مصطلحاتها ، وزيادة مرونتها وقدرتها على التعبير (١) .

ونستطيع القول ان الثقافة العربية لم تعرف مرحلة انشط ولا أشمل من المرحلة التي تمر بها الآن ، فقد استوعبت حركتها جميع ألوان المعرفة وحظت في سبيل نعم

(١) لمزيد من الاطلاع راجع :

- ١ - علم اللغة " لعلي عبد الواحد واقفي ط ٣ (١٣٦٩ - ١٩٥٠ م ) لجنة البيان العربي - القاهرة .
- ٢ - علم اللغة " لمحمد السمران ط ١٩٦٢١ دار المعارف بمصر .
- ٣ - من " أسرار اللغة " لابراهيم أنيس ط ٣ ١٩٦٦ مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة
- ٤ - " اللغة " ج . قندوس . ترجمة عبد الحميد الداخلي ومحمد القصاص ط ١ - ١٩٥٠ مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة .
- ٥ - اللغة العربية وعلومها " لعمر رضا كحالة ط ١ (١٣٩١ - ١٩٧٢ م ) مكتبة النسر بدمشق
- ٦ - العربية الفصحى نحو بنا لغوي جديد " الأ ب هنري فليش اليسوعي . تعريب عبد الصبور شاهين ١٩٦٦ . المطبعة الكاثوليكية - بيروت .

اتجاهاتها الفكرية خطوات كبيرة ، بما أتيج لها من وسائل الاعداد في التأليف ، وفي الترجمة ، وفي أدوات النشر المتطورة .

من هنا نصل الى الدور الايجابي الذي قدمه ويقدمه سهيل ادريس في خدمة اللغة العربية من جهة ، والأمة العربية من جهة ثانية ، حيث غذى المكتبة العربية بعشرات القصص المترجمة عن اللغة الفرنسية ، وترجماته تزيد على العشرين كتابا بأفكارها الجديدة على الأفكار العربية نتيجة لمشوار الحضارة الفرنسية الذي قطعته سابقة الأمة العربية التي لاتزال تتحسس طريقها في محارج فكر كل شيء جديد ولكن هذه الترجمات لم تكن قادرة على التأثير المباشر في الأدب العربي الحديث بالقدر الذي أثره معجمه "المنهل" (١) حيث أضاف الى المكتبة العربية أيضا معجمه الذي شرح عبر مفاهيمه الألفاظ والكلمات الفرنسية فيكون بذلك قد أدى خدمتين في آن واحد ، هي : تقريب اللغة الفرنسية الى طلاب العربية ، واختياره الألفاظ العربية الملائمة لمعاني الألفاظ الفرنسية .

قبل ان نتناول معجم سهيل ادريس ، لا يضر أن تقدم فكرة عامة عن الحركة المعجمية العربية التي لم تر النور الا بعد حركة الفتح الاسلامية الكبرى ، واختلاط العرب بالاعاجم وبدء مرحلة تدوين اللفظة التي ارتبطت أولا بتفسير ألفاظ القرآن الكريم ، وشرح المستغلق من المفردات العربية ، لكن دون اعتماده قاعدة للترتيب ، الى أن تصدى لهذا العمل الخليل بن احمد الفراهيدي ، فكان عمله الرائد الاول للحركة المعجمية في كتابه "الصين" .

ان تطور العمل المعجمي لم يكن في يوم من الأيام ، ليتوقف عند مرحلة بعينها ، أو علم بذاته ، بل هي حركة متطورة تطور الحياة الانسانية ، ومتقدمة تقدم المجتمعات علميا وحضاريا ، وأمتنا العربية التي أفادت على شمس انبعاثها ليست بمنعزلة عن الركب الحضاري ، أو غائبة عن النهضة العالمية المعاصرة ، ونراها منذ أن احتكت بدنيا الغرب احتكاكا مباشرا نتيجة لحملة نابليون على مصر ، واستقلال الجبل اللبناني بمصرفيته ، وافتتاح الكلية الاميركية التي غدت فيما بعد الجامعة الاميركية ، ووفود الرسائل التبشيرية الفرنسية وغيرها ، والتي كثرت بمدارس ومعاهد وجامعات ، والثقافة العربية في لقاء مستمر بالثقافات الغربية بوجهها الحضاري والحلي ، فضلا على البعثات التي لا ينقطع مداها ، والتي تدفع بأفواج الشباب العربي وطلابه الى الديار الاوروبية والاميركية مما يوسع دائرة معارفنا ويحدونا الى مواكبة الركب الحضاري المتقدم ، ويجعلنا نتلمس التسميات الصحيحة لمصطلحات العلم الحديثة وأدواتها من طب وفن وهندسة وجيولوجيا وفيزياء ، وكيمياء .

ومن هنا نرى اتجاه سهيل ادريس الذي كان من أفراد البعثات الذين يعموا وحطروا الرجال في فرنسا ، حيث حصل على شهادة الدكتوراه ، وشهادة معهد الصحافة في

(١) معجم فرنسي عربي ، وضعه مع الدكتور جبور عبد النور .

باريس ، الامر الذي شده الى الاتجاه لتزويد المكتبة العربية بمعجم فرنسي عربي ، وأطلق عليه اسم : المنهل .

المنهل : من نهل ، النهل : أول الشرب . والمنهل : الشرب . وهذا الأخير يتجه أن يكون مصدرا . والمنهل : الموضع الذي فيه الشرب (١) .

حاول المؤلفان (٢) من وضع هذا المعجم الفرنسي العربي - رغم المعاجم الكثيرة ، الكبيرة والصغيرة ، المترافرة في السوق المكتبية - نتيجة لاحتساها العميق بالحاجة العاسة للزادة تثقيف وافتتاح على اللغة الفرنسية ، وبالتالي على الحضارة الحديثة فسي شتى مناحيها ومراقفها ومتطلباتها ، وهو الاحتساس الذي حدا بهما الى الاقدام على مثل هذا العمل ، مع مانع من مضاعف ، وما يقتضيه من بحث وتنقيب وتضحية . ولولا ايمانها بالاسهام في تطوير المفهوم المألوف في مثل هذه المصنفات باعتماد الأساليب العصرية المنطوقية مسابرة للنواميس المعجمية ، ومحافظة على القواعد اللغوية والمعجمية ، لما تعرضا لهكذا العمل المجهد بالانجاز المتقن ، وهما على ثقة من أن عددا لا يستهان به من التحقيقات والموازنات بين الفرنسية والعربية قد قامت به جماعات من أهل الاختصاص ، وأذيع في مقالات أو في كتب ادبية او علمية ، او فلسفية ، او تضمنته محاضر مؤتمرات وما يزال بعيدا عن متناول طلابه ، وأن في استخراجها من مكانه وتيسير تداوله ، وادراجه في مصنف سهل الاستعمال خدمة جليلة تؤدي لحركة النقل التي تحم الامة العربية وبلدانها (٣) .

ويلخص المؤلفان الفوائد التي يستطيع الطلاب الحصول عليها من منهلها بالآتي :

١ - عناية بشتى المعارف والعلم من طب وتشریح ورياضيات وفيزياء وكيمياء ونبات وزراعة وطيور وحشرات وحقوق وتجارة وفلك وفلسفة وعلم نفس ومنطق ، ولغة وأثریات . وما يسدل فهم المصنفات العلمية الفرنسية بالاضافة الى الكتب الادبية ، ويسر الاستيفاب على القارئ والعمل على المترجم .

٢ - احياؤه الكلمة الفرنسية بذكر مقابلها العربي مباشرة ، ثم بانزالها في جملة مفيدة تبرز معانيها وظلالها المتنوعة ، وتعين مداها وحدتها في كثير من الدقة ، وهو في هذا المنهج المبكر يسدد خطى من يستعمله الى المعنى المقصود ، ويضع بين يديه ترجمات جاهزة لجميع العبارات التي يمكن ورود اللفظة فيها ، وبذلك يقترح حلولا لكثير من قضايا النقل من الفرنسية الى العربية .

٣ - توحيه الاتيان بلفظة عربية واحدة لمعادلة اللفظة الفرنسية ، وتكبه عن الاكتفاء بالتجديد وحده ، وبذلك باللجوء الى وسيلتين : الاولى ، تعميق البحث للاهتمام الى اللفظة الموائمة اذا كانت موجودة في المعاجم العربية ، او يمكن اشتقاقها . والوسيلة

(١) المعجمات .

(٢) جبور عبد النور ، وسهيل ادريس .

(٣) راجع تصدير القاموس ، التفاف على رأى المؤلفين .

والوسيلة الثانية ، هي الاكتفاء بجزء أساسي من التجديد تسهل به عملية الترجمة ، وانزال ما تبقى من التجديد داخل قوسين معكوفين .

٤ - إيرادات جديدة موجزة للكلمات العويصة أو القليلة الشيوع أو الدالة على اختصاصات علمية ومذاهب أدبية وفلسفية وفنية ، وبذلك يخرج من التقليد المتبع عادة في المعاجم الثنائية اللغة المقتصرة على ذكر كلمة في مقابل أخرى ، كما هو جار في المعاجم الموضوعة باللغات الغربية ويدخل في نطاق الموسوعات الموجزة .

٥ - إسهامه الفعلي باغناء العربية بمئات الألفاظ المشتقة السهلة الاستعمال ، الواضحة المدلول ، الموضوعة حسب الأوزان والأنثى المتعارف عليها .

وإذا نظرنا إلى المراجعة لعربية نجد ما ثماني وعشرين مرجعا ، بالإضافة إلى أحد عشر مرجعا أجنبيا .

وعدد الصفحات ١٠٦٨ صفحة من القطع الكبير .

أومثل هذا المعجم الضخم يحتاج إلى خبرة سنوات طويلة في الدراسات اللغوية والتعليم وفي الترجمة من الآثار الفرنسية ، للكشف عن متون اللغة الفرنسية والعربية والتحقيق في أميات الترجمات بين هاتين اللغتين ، والإطلاع على نتائج المحاولات السابقة في ميدان المعاجم المترجمة اللغة ، وشار جلسات العمل في المعجم العلمية العربية ، وتحقيقات المكتب الدائم لتنسيق التعريب وأعمال اللغويين الاختصاصيين في الجيوش العربية والمؤتمرات العلمية والإطلاع أيضا على مئات الألفاظ المنحوتة للدلالة على معان حضارية حديثة ، والمفردات العربية القابلة للألفاظ الفرنسية في شتى الفنون والعلم وأبواب المعرفة ، بالإضافة إلى تعريفات موجزة ودقيقة تتناول المدارس الفلسفية والمذاهب الأدبية الفنية والنباتات والحيوانات والمواضع والرياض وسائر مظاهر الحضارة ، بالإضافة أيضا إلى ثمانين ألف مادة ، مع استعمال معظمها في جمل مفيدة تعلم اللغة الفرنسية وترجمتها العربية .

من هنا نجد دور سهيل ادريس وتأثيره في اللغة العربية ، حين زود المكتبة العربية بترجمات فرنسية كثيرة (١) بالإضافة إلى هذا المعجم الذي يعبر بصدق عن قيمة مؤلفه العلمية والأدبية .

(١) أكثر من عشرين مترجما لسارتر ، وغيره من الكتاب الفرنسيين منها على سبيل المثال لا الحصر : دروب الحرية ، والغشيان ، وسيرتي الذاتية لسارتر ، والداغون ، ألبيركامو ، وبيروشيما حبيبتني ، لما رغبت دورا .



اتحاد الكتاب اللبنانيين

الاتحاد في اللغة ، هو امتزاج شيئين واختلاطهما حتى يصيرا شيئاً واحداً ، وهو عند الصوفيين ، الاستيلاك بالكلية في الله ، والفناء عما سواه ، وهو بهذا يتصل بالحلول ، ويتعارض في نظر أهل السنة مع وحدانية الله (١) .

والاتحاد في الاصطلاح ، هو تنظيم ثقافي ، أو سياسي ، أو اجتماعي ، أو ديني ، أو دفاعي يتم على أساس من التعاون بين الأعضاء المتحدين أو الدول المتحدة ، والغرض منه العمل من أجل مصلحة جميع المتحدين على اختلاف أغراض هذه الاتحادات .

واتحاد الكتاب اللبنانيين ، هو عبارة عن جمعية أدبية ، تأسست في لبنان ، مركزها بيروت . وأعضاؤها المؤسسون هم : سهيل أدريس ، ومخير البعلبكي ، وعلي أحمد اسير المعروف " بأدونيس " وجوزيف مغيزل ، لبنانيو المهوية (٢) .

القانون الأساسي للاتحاد :

إذا نظرنا إلى أهداف هذا الاتحاد ، نجد أن المادة الثانية من القانون الأساسي (٣)

حددت هذه الأهداف ، وهي :

- ١ - جمع شمل الكتاب ، وتوحيد صفوفهم ، وتنسيق جهودهم .
- ٢ - صيانة حقوق الأدباء ، والعمل على رفع مستواهم المادي .
- ٣ - رعاية إنتاج الأدباء وتشجيع ترجمة الجيد منه إلى اللغات العالمية وتشجيع نقل التراث العالمي إلى اللغة العربية .
- ٤ - تنشيط الحركة الفكرية ، والأخذ بيد الكتاب الناشئين .
- ٥ - تنظيم علاقات الكتاب بدور النشر ، ووسائل الاعلام .
- ٦ - القيام بكل ما من شأنه رفع مستوى الفكر وتحقيق كرامة الكتاب .
- ٧ - توثيق العلاقات بين الكتاب اللبنانيين والكتاب العرب ، وكتاب العالم .

ونرى أن المادة الثالثة حددت شخصية الاتحاد على أنها شخصية معنوية ، وله حق التقاضي ، ويثله في ذلك أمينة العام . وأكدت المادة الرابعة على عدم تعاطي الجمعية بالشؤون السياسية والطائفية ، الأمر الذي يؤكد حقيقة اتجاهها الثقافي الأدبي السدي يهدف إلى جمع العلماء والأدباء ، وتنسيق جهودهم وتنمية الإنتاج العلمي في لبنان وخارجه

(١) الموسوعة العربية الميسرة ، ط ١ دار القلم ومؤسسة فرانكلين للدباعة والنشر ١٩٦٥ القاهرة  
(٢) قدم طلباً بتكوين الاتحاد في ١٣ / ٥ / ١٩٦٨ إلى وزارة الداخلية ، حيث أعطي العلم والخبر في ٢٠ آب ١٩٦٨ تحت رقم ٤٠٢ / آ د  
(٣) القانون الأساسي ، والنظام الداخلي ، مطبوع في كتيب صغير ، مؤلف من ست عشرة صفحة ، صدر في ١٠ / ١١ / ١٩٧٠ ، بيروت ، يمكن الحصول عليه من الأمين العام للاتحاد .

وذلك لتحقيق نهضة علمية شاملة ، تبني صروحها على دعائم ثقافية متينة ، حتى تستطيع مواجهة العدو المترص بالأمة العربية .

### النظام الداخلي للاتحاد :

حدد النظام الداخلي للاتحاد بثمانية فصول مكونة من سبع وثلاثين مادة .

حددت المادة الأولى من الفصل الأول ، الانتساب الى عضوية الاتحاد اذا توفرت

فيه الشروط التالية :

أن يكون لبنانيا ، وقد تجاوز الثامنة عشرة من عمره ، وقد نشرأثرا أدبيا واحدا

مشهودا له أو أكثر .

وحددت المادة الثانية من الفصل الأول ايضا طريقة قبول عضوية المتقدم (١) ، كما

حددت فقدان العضوية (٢) .

وتناول الفصل الثاني طريقة انتخاب الهيئة الادارية للاتحاد ، ضمن اثنتي عشرة

مادة ، حددت عدد أعضاء الهيئة الادارية ، واشترك العضوفي الانتخاب ، والجهة التي

تقدم لها طلبات الترشيح ، ومدة ولاية الهيئة الادارية واجتماعها ، وجلساتها ، وفصلها

في المنازعات ، وانتخاب أعضائها ، ومن يرأسها ، والطريقة التي يتم بواسطتها انتخاب

الهيئة الادارية ، ومهام الهيئة الادارية .

وتناول الفصل الثالث مكتب الاتحاد ، ضمن أربع مواد ، حددت كيفية

اعلان نتائج انتخاب الهيئة الادارية لأعضاء مكتب الاتحاد (٣) ، كما حددت مهام

---

(١) يقدم طالب الانتساب الى الأمين العام للاتحاد - تبت الهيئة الادارية للاتحاد بالطلب

يشترط أن يزكي طالب الانتساب خمسة من أعضاء الهيئة الادارية (التي يتراوح عدد

أعضائها بين ثمانية واثني عشر) - ويعتبر الطلب مقبولا اذا نال موافقة أغلبية الهيئة

الادارية .

(٢) اذا تقدم باستقالته وقبلتها الهيئة الادارية للاتحاد - اذا قام بأعمال من شأنها أن تسيء

الى الاتحاد ، وقررت الهيئة الادارية بعد سماعه ، فصله لهذا السبب - واذا تضرع

عن دفع الاشتراك مدة سنة كاملة بالرغم من التذكير الخطي الموجه اليه - واذا

حكم عليه بجرم شائن .

(٣) من أمين عام للاتحاد ، ونائب للأمين العام ، وأمين السر ، وأمين

للسندوق .

الامين العام (١) ونائبه (٢) ، وكذلك منهام أمين السر (٣) ، ومنهام أمين الصندوق (٤) .

وتتأول الفصل الرابع ، الجمعية العامة ، ضمن ثنائي مواد ، حددت مرعد انعقاد الجمعية العامة في الحالات العادية ، وهي الحالات الاستثنائية ، والأبحاث المدرجة في جدول أعمالها ، وقانونية الجلسات ، والأعضاء الذين يجوز لهم الاشتراك في الجمعية العامة العادية أو الاستثنائية ، وقرارات الجمعية على الأعضاء ، والعلاقة بين الجمعية وشؤون الاتحاد ، ورئاسة الأمين العام وتولية أمين السر تدوين وقائعها (٥) .

وتتأول الفصل الخامس الشؤون المالية ضمن أربع مواد حددت بدلات الاشتراك ، ورسم الانتساب ، والتبرعات ، والمساعدات ، ومدخول الأعمال التي يقوم بها الاتحاد لزيادة دخله من حفلات وموسى ذلك . كما حددت عملية الانفاق ، وتكليف خبيراً قانونياً فسي المحاسبة للتدقيق وتقديم تقرير عنها .

- (١) الاشراف على حسن سير العمل في الاتحاد ، ويتولى تمثيله ويوقع المراسلات مع أمين السر ، ويوجه الدعوات باسم الاتحاد ، ويرأس اجتماعات مكتب الاتحاد ، والهيئة الادارية والجمعية العامة ، ويوقع مع امين الصندوق على أدونات الصرف والشيكات والتحويلات ، كما يقبض مع أمين الصندوق ما للاتحاد من أموال ويودعها أحد المصارف ، ويعمل على تنفيذ مقررات الهيئة الادارية والجمعية العامة .
- (٢) ينوب عن الامين العام في جميع اختصاصاته ، ويحل محله في حال غيابه او تعذر حضوره .
- (٣) آ - ينظم محاضر الجلسة ويعرضها على الهيئة الادارية ، ويحفظها بعد التصديق عليها في سجلها الخاص .

ب- يعد مع الامين العام جدول اعمال الهيئة الادارية والجمعية العامة .  
ج يتسلم طلبات الانتساب لعرضها على الهيئة الادارية .

- د - يحتفظ بسجل تدون فيه اسماء اعضاء الاتحاد وتاريخ انتسابهم وعناينهم .
- هـ - يحتفظ بجميع مراسلات الاتحاد الواردة والصادرة .
- و - ويوجه الاجمال ، يتولى جميع أعمال الاتحاد القلمية .

- (٤) ١ - ينظم دفاتر الاتحاد وحساباته وفقاً للأصول ويكون مسؤولاً عن هذه الحسابات .
- ٢ - يودع باسم الاتحاد ما يزيد لديه عن ٢٠٠ ل . ل في احد المصارف المحترف بها رسمياً بناءً على قرار الهيئة الادارية ، ولا يجوز له أن ينفق أى مبلغ دون موافقة الهيئة الادارية مسبقاً الا في الحالات الطارئة حيث يستطيع أن ينفق مع الأمين العام حتى المائتي ل . ل بشرط موافقة الهيئة الادارية على ذلك في أول جلسة تلي الانفاق .

- ٣ - لا يمكن سحب أى مبلغ من الاموال المودعة الا بتوقيعه وتوقيع الامين العام متحدين .
- ٤ - ينظم طرق جباية اشتراكات الأعضاء ويضع مشروع الموازنة ليعرضه على الهيئة الادارية التي تعرضه بدورها بعد اقراره على الجمعية العامة .

(٥) راجع الفصل الرابع ، صفحة ١١ من كتيب القانون الأساسي والنظام الداخلي

وتناول الفصل السادس انتساب العضوية ، ضمن مادة واحدة ، بقرار من الرئيسة الادارية في احدى الحالات التالية : الرفاة ، الاقالة ، الاستقالة .

وتناول الفصل السابع تعديل النظام الداخلي ضمن مادة واحدة فقط ، وذلك بناء على اقتراح الرئيسة الادارية ، أو بناء على طلب خطي يتقدم به ثلث أعضاء الجمعية العامة على أن تحدد في كلتا الحالتين المراد المطلوب تعديلهما والنصوص المقترحة مع الأسباب المرجحة لذلك .

وتناول الفصل الثامن الأحكام العامة ضمن مادتين اثنتين ، حددت الاتحاد ومجالته .

هذا ملخص كامل لجميع المواد التي ضمها القانون الأساسي والنظام الداخلي للاتحاد ، ولكن ماعلاقة هذا الاتحاد بالاتحادات الأدبية العربية الأخرى ؟

وما هي أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بينه وبين تلك الاتحادات ؟ ؟ والى أي مدى كان الوثاق او الاختلاف بينهما ؟ ؟ .

الاتحادات الأدبية على اختلاف هوياتها واحدة ، من حيث البنية والتركيب ، أما من حيث الأهداف ، فهناك يكمن الخلاف ، وخصوصاً اذا كان الاتحاد حراً بذاته او ملتزماً بسياسة الدولة التي ينتمي اليها . .

وما ذكرناه عن تأسيس الاتحاد اللبناني يمثل الاتحادات الأخرى ، اللهم الا أن الاتحاد اللبناني تم بعيداً عن تدخل الدولة ، له شخصيته المستقلة الممثلة بميثاقه الادارية ، وقد يكون الاتحاد العربي الوحيد الذي يتمتع بحرية التصرف والسلوك لعدم ارتباطه بالسلطة ، عكس ما تقوم عليه الاتحادات الأخرى ، لارتباطها بالسلطة ، الأمر الذي يجعل وفودها تحمل ثقة الرسمية ، ولا تقوى على الكلام الا بما يمليه عليها جانب السلطة وما يدور بقلبك .

من خلال هذا التناقض بين الحرية والالزامية ، أو الحرية وعدمها كانت تقام جولات وجولات حول معركة حرية الفكر العربي ، والتزام اتحاد الكتاب اللبنانيين بهامند أن انضم الى مؤتمر الأدباء العرب<sup>(١)</sup> ، وكان موضوع كلمة الاتحاد مقصورة على موضوع حرية الفكر الذي هو أخطر موضوع تواجهه الأمة العربية ، وخصوصاً والأمة العربية محاطة بأعدائها من كل حذب وصوب ، سواء كانوا من الداخل او من الخارج ، لذلك كانت كلمة الاتحاد موجهة ضد الارباب الفكري الذي كان قائماً آنذاك في العراق<sup>(٢)</sup> ، داعية الأدباء الى توحيد جهودهم للدفاع عن الحرية الفكرية التي هي حظهم الأول وقوام حياتهم الفكرية في تأدية

(١) انعقد مؤتمر الأدباء العرب الأول في مصيف بيت مري بلبستان من ١٨ الى ٢٦ أيلول ١٩٥٤ م

(٢) كان الحكم الملكي الجائر هو القائم في العراق ، وكانت العراق آنذاك قاعدة انطلاق

استعمارية ضد القوى الوطنية في العراق وفي البلاد العربية الأخرى .

لم تكن دعوة اتحاد الكتاب اللبنانيين للدفاع عن حرية الفكر العربي لوحة اعلامية تستغل ، بل كانت نابذة عن ايمان وصدق يؤكد الالتزام القوي الذي انطلق من خلاله ، ولا يزال يندلج ، رغم مرور ثماني سنوات على تأسيس هذا الاتحاد الذي أخذ على عاتق أعضائه حرية الدفاع عن حرية الفكر والأمة العربية .

وإذا حارلنا أن تلخص أعمال اتحاد الكتاب اللبنانيين من خلال مؤتمرات الأدباء العرب منذ انعقادها الأول ، نجد الصورة الواضحة للالتزام هذا الاتحاد بقضية حرية الفكر العربي التي كان من نتيجتها انسحابه من مؤتمر الأدباء العرب التاسع (٢) وانسحابه من الاتحاد العام للأدباء العرب بكل هيئاته ، واستقالة أمينه العام من مجلس تحرير مجلة " الأدباء العرب " (٣) وكذلك تقديم استقالة أعضاء الاتحاد المنتسبين الى اتحاد الكتاب العرب في سوريا من هذه العضوية احتجاجاً على أن مؤتمر الأدباء " عميل " (٤) للسلطة فسي وجه الأديب ، ويساعدها على قمعه وارهابه ، الأمر الذي يتعارض مع التزامه في القضايا التحررية والوطنية .

للتأكيد الالتزام الوطني والقومي الذي يلتزم به اتحاد الكتاب اللبنانيين نستعرض بعض الامور والقضايا التي تبناها ودافع عنها ، ولا يزال يسير مسيرته الوطنية رغم جميع الضغوط التي واجهها :

١ - عندما جرت محاولات اضطهاد الفكر والمفكرين في لبنان ١٩٥٧ م أصدر أدباء لبنان مذكرتي احتجاج بعثوا بها الى السلطة اللبنانية ، وكان أمين عام الاتحاد من الذين وقعوا المذكرتين دفاعاً عن حرية الفكر (٤) .

٢ - وفي شهر تموز ١٩٦٤م عندما استجوبت الحكومة القمصاة " ليلي بعلبكي " وصادرت كتابها " سفينة حنان الى القمر " طلب الاتحاد بلسان أمينه العام رفع يد المسؤولين عن حرية الفكر في لبنان (٥) .

٣ - وفي مؤتمر الأدباء العرب الخامس ، الذي عقد في بغداد ١٩٦٥م أثار الاتحاد موضوع عدد من الأدباء والمثقفين العراقيين الموجودين خارج العراق ، واسقاط الجنسية عنهم ، كما تبنت " مجلة الآداب " الموضوع ذاته ، وطالبت الحكومة العراقية بالغاء قرارها اللانساني ، والسماح للمفكرين والمثقفين العراقيين بالعودة الى الوطن، وألقي القرار بعد ذلك (٦) .

(١) راجع مجلة الآداب ع ١٠ / ١٩٥٤م

(٢) انعقد مؤتمر أدباء العرب التاسع في تونس سنة ١٩٧٣ .

(٣) راجع الآداب ع ٩ و ١٢ / ١٩٥٧

(٤) راجع الآداب ع ٩ و ١٢ / ١٩٥٧م

(٥) = = ع ٤ / ١٩٧٣

(٦) - - ع ١٠ / ١٩٦٦

٤ - وفي المؤتمر السادس الذي انعقد في القاهرة في شهر آذار ١٩٦٨ كانت كلمة الوفد اللبناني تعبر عن ايمانه بحرية الفكر ، واعترافه بالتقصير - نوعا ما - نتيجة للارهاب الذي كانت تمارسه السلطات على الفكر ، حين تهدد باعتقال الحريات والألسن ، وتمنع الأشخاص من عبور أراضيهم ، وتمنع الصحف والكتب ليجرد أنهم ينتقدون أحيانا أنظمة الدولة وتميراتهما (١) .

٥ - وفي المؤتمر السابع ، الذي انعقد في بغداد ، في نيسان ١٩٦٦ ، كانت كلمة الوفد اللبناني تؤكد على أن حرية الرأي لاتزال مضطهدة في كثير من البلدان العربية ، الأمر الذي يجعل كثيرا من الأدباء يزهدون في الانتاج والابداع (٢) .

٦ - وفي مؤتمر الأدباء الثامن ، الذي انعقد في دمشق في ديسمبر ١٩٧١ كانت كلمة الوفد اللبناني تؤكد للجميع عجز مؤتمرات أدباء العرب عن تنفيذ التوصيات الهامة التي لابد من تنفيذها ليكون لكل مؤتمر شأنه وقيمه في الحياة الثقافية العربية ، وتوفير حرية التعبير للأديب العربي ليتمكن من القيام برسالته في معركة الصير ، لارتباط هذه المؤتمرات بالحكام الذين يخفون وراء حججهم الواهية نزعتهم الى القمع حين يوجه اليهم النقد ، الأمر الذي يكبل الأدب العربي ، ويبقيه تحت شبح الارهاب والقمع .

وطالب الوفد اللبناني في هذا المؤتمر تدارس قضية الرقابة ، والنظر في أمور الفئاهة او تقليصها أو نقلها الى اتحادات الكتاب ، لتتصارع الأفكار وتتجاوز ، ولترفع عن فكر الكاتب كابوس الخوف ليجد الطمأنينة التي تنتج له الانطلاق في سماء الابداع والخلق والتعهد بالنضال من أجل الأمة العربية ، والكفاح من أجل شرف الكلمة (٣) .

ان وفد لبنان الى مؤتمر الأدباء العرب كان دائما ولا يزال يرتفع بمهاجمة سياسة القمع والارهاب لدى السلطات العربية . وكان أمين عام الاتحاد (٤) يرفع هذا الصوت ، حتى أن أمين عام مؤتمر الأدباء العرب (٥) كان غالبا ما ينزعج من كلمة الوفد اللبناني في المؤتمرات ، وخصوصا في هذا المؤتمر (٦) الذي حاول الوفد اللبناني أن يضعه واتحاد الأدباء العام عند مسؤوليتهما ، وحطهما على اتخاذ موقف يؤدي حقا الى حماية حرية الأديب ، ورفع قمع السلطات عنه ، ومن أجل هذا تقدم الى لجنة الصياغة بأربع توصيات ، تحمل الأولى مشروع قانون من مادة وحيدة يتضمن " ميشاق

(١) راجع الآداب ع ٤ / ١٩٦٨ م

(٢) = = ع ٦ / ١٩٦٩ م

(٣) = = ع ١ / ١٩٧٢ م

(٤) سميل ادريس

(٥) يوسف السباعي

(٦) المؤتمر التاسع ، عقد في تونس .

شرف (١) ودلح اقتراحه على التصويت ، فسقط نتيجة للاستنتاجات (٢) التي خرج منها الوفد اللبناني في مؤتمر أدباء العرب في تونس ، وذلك ، لأن الوفد اللبناني وحده يتمتع بحرية التصرف والسلوك لعدم ارتباطه بالسلطة ، أما تلك الوفود ، فهي وفود رسمية ، والتأييد الذي حظي به الوفد اللبناني وقف عندما وصل الى حدود الرسمية ، وكان وراء كل هذه الأمور الأمين العام لاتحاد مؤتمر أدباء العرب ، الذي يملئ عليه واجب منصبه أن يكون أكثر الأصوات ارتفاعا بالدفاع عن حرية الفكر ، ومحااربة الظلم والاستبداد .

من أجل هذه الاستنتاجات المنطقية التي خرج بها الوفد اللبناني ، أعلن اتحاد الكتاب اللبنانيين اتخاذ خطوات مقابلة :

١ - بعد انسحابه من مؤتمر الأدباء العرب التاسع ، يعلن انسحابه كذلك من الاتحاد العام للأدباء العرب بكل هيئاته ، ويعلن استقالة أمينه العام من مجلس تحرير مجلة " الأدباء العرب " وقد أرسل الاتحاد بريقة بهذا المعنى الى مقر الاتحاد العام في القاهرة .

---

(١) " يتعهد الاتحاد العام للأدباء العرب بجميع هيئاته : المؤتمر العام ، والمكتب الدائم ، والأمانة العامة بأن يبادر الى شجب كل محاولة ، في أي بلد عربي ، تستهدف قمع الفكر وارهاب الأدباء أو التضييق على حرياتهم ، كما يتعهد ببذل كل مساعيه ، واتخاذ جميع الخطوات الضرورية للدفاع عن حرية المفكرين والأدباء العرب ، وبكلف الاتحاد العام الأمين العام للأدباء العرب تنفيذ الاجراءات التي يقتضيها هذا الميثاق .

راجع الآداب العدد ١٩٢٣/٤ م

(٢) ١ - ان الاتحاد العام للأدباء العرب يكرس نفسه نهائيا مؤسسترسمية تابعة للحكومات العربية ، ويجعل أعضائه مرتبطين حكما بالسلطة ، بل هو جعل من نفسه عميلا للسلطة في وجه الأديب ، ويساعدها على قمع وارهابه .

٢ - ان الأمين العام للاتحاد يخون واجبه ، ويخرق مهمته حين يمارس نوعا من الديكتاتورية يخضع لها المؤتمر . وحين يمنح الأمين العام المساعد الأول (سهيل ادريس) من الكلام ، ثم انه كان عليه في هذا المؤتمر الا يختصب دور رئيس الوفد المصري ، بل أن يتجرد ويقف فوق الجميع لمنفعة الجميع .

٣ - ان مؤتمرات أدباء العرب أصبحت في شكل نهائي مجمعا للراغبين في السياحة والنزهات والاستمتاع بالضيافة العربية والكرم الحاشي .

٤ - ان كثيرا من الوفود ، بحكم أنها وفود رسمية تابعة للحكومات العربية ، تضم بين أعضائها عناصر مخابرات مهمتها وضع التقارير عن نشاط الوفد الذي تنتمي اليه لمزيد من الارهاب والضغط ، وكان يسيرا علينا أن نرى كيف كان بعض الاعضاء ممن يؤيدون موقفنا الى أبعد الحدود ، يلتزمون الصمت ، ويتحاشون لقاءنا خوفا من عين المخابرات اليقظة التي تحصي عليهم أنفسا سهم .

- ٢ - يعلن أعضاء الاتحاد المنتسبون الى اتحاد الكتاب العرب في سوريا استقلالهم من هذه العضوية ، وقد أرسلوا برقية بهذا المعنى الى مقر الاتحاد في دمشق .
- ٣ - يتبنى الاتحاد اللبناني قضية كل مثقف عربي يقع تحت ارهاب السلطات ، ويقم بالدفاع عنه بشتى الأساليب التي تحمل تلك السلطات على رفع القمع عنه ، وتبدأ الاتحاد فعلا تنفيذ ذلك ، فأرسل البرقيات الثلاث التي قدمها وفده الى مؤتمر الأدباء العرب فجب عن تبنيها .
- ٤ - يسعى الاتحاد الى تأمين كل مساعدة مادية ممكنة لأي مثقف عربي يخام في رزقه أو معاشه بسبب أفكاره أو اتجاهاته .
- ٥ - يتبنى الاتحاد نشر كل مادة أدبية أو فنية ينتجها أي مثقف عربي ولا يستطيع نشرها في بلده بسبب الارهاب ، شريطة أن يتوفر لهذه المادة المستوى الفني المطلوب . ولا يرى الاتحاد مانعا من السعي لدى المجلات ودور النشر التي يشرف عليها أعضاء فنيي الاتحاد لنشر بعض المواد غفلا من أسماء كتابها شريطة أن يكون متأكدا من معرفة هذه الأسماء في شكل سري .
- ٦ - يعلن الاتحاد ، انطلاقا من هذا الموقف أنه سيقم صيف كل عام ملتقى أدبيا يطلق عليه " ملتقى الأدباء العرب الأحرار " يدعى اليه أدباء ومفكرون من العالم العربي معروفون بتحررهم واستقلاليتهم . وسيقام الملتقى الأول في الصيف المقبل تحت شعار " حرية الكلمة العربية المسؤولة " ويرجو الاتحاد أن يتخذ الخطوات الضرورية لاقامة اتحاد بديل للأدباء العرب في المستقبل القريب .
- ٧ - يعلن الاتحاد أنه ، مع تقديره لما يتمتع به الأدباء في لبنان من حرية نسبية في التعبير ، سيستمر في مشاركته في معركة الحريات التي تخوضها الصحافة اللبنانية في هذه الفترة التي يبدو أن موجة سياسة القمع والارهاب تقترب فينا من شواطئنا ، لفرض حلول استسلامية معروفة (١)
- ٨ - يحرص الاتحاد أشد الحرص على أن يوضح أن جميع خطواته السابقة وخطواته الآتية انما تستوحى منطلقاته الأساسية في تأييد الاتجاه القومي العربي ، والايان بدور مصر اللطيمى وبتركة عبد الناصر التاريخية ، وفي محاربة الاسعمار والصدىونية العالمية ، وفي ادانة الانعزالية المحلية ، والرجعية العربية ، وتدعيم الاتجاه التقدمي والمقاومة الفلسطينية ، والعمل على تجسيد ذلك كله في الانتاج الأدبي اللبناني والعربي .

---

(١) بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وحلها عن طريق الاستسلام ، بعد أن استجابت مصر الى دعوة الاستسلام التي تبناها وزير خارجية الولايات المتحدة (هنرى كيسنجر) بعد حرب رمضان ، واختلاف المفاهيم حول تفسيرها ، من حرب تحرير ، أو حرب تحريك ، على اتفاقية سيناء .



من هذا نفهم الخطوط الرئيسية لنشاط اتحاد الكتاب اللبنانيين المقبل ، آملين أن يكون هذا النشاط بمنطلقاته وانجازاته الممكنة ، عنوانا جديدا لمجد الحرية في لبنان والوطن العربي (١) .

كان لاتحاد الكتاب اللبنانيين أكبر الأثر في نشر الوعي الثقافي والسياسي ، كما كان جريئا في دفاعه عن حرية الأدب والأدباء ، الأمر الذي يجعله أن يكون رائدا في خطواته التي خطاها في ميدان الدفاع والاحتجاج على اعتقال الأدباء والشعراء والمفكرين الذين ينظرون بمنظار القومية والوطنية ، والحرية التي تفرض عليهم تناول القضايا الوطنية بايمان مطلق ، وجعلها القضايا الرئيسية التي يجب أن يقف عندها كل أديب وكاتب وشاعر .

بالنظرة المدققة الفاحصة نستطيع أن نقف على الأعمال التي قام بها الاتحاد وكانت تعبر عن صميم دعوته .

١ - في مؤتمر الأدباء العرب التاسع الذي عقد في تونس ، تبني الاتحاد فكرة الدفاع عن الأدباء والكتاب والصحفيين المصريين الذين فصلتهم الدولة من وظائفهم ، فأرسل برقية الى رئيس الجمهورية يناشده فيها باعادة المفصولين ، الأمر الذي دفع الاتحاد الى ارسال برقية ثانية يعبر فيها عن رأيه بهذه البادرة (٢) .

٢ - دعا الاتحاد الى مسيرة من أجل الشاعر " بابلونيروزا " تحية لروحه واحتجاجا على سياسة الارهاب التي تمارسها السلطة التشيلية ، شارك فيها زهاء خمسين كاتباً وصحافياً من المثقفين اللبنانيين والعرب المقيمين في لبنان ، وفي نهاية المسيرة أصدروا بياناً يستنكرون فيه عمل السلطات التشيلية (٣) .

٣ - وجه الاتحاد برقية احتجاج للسلطات اللبنانية يحث فيها على اعتقال " شريف الربيعي " سكرتير تحرير مجلة " الى الأمام " (٤) .

٤ - ونرى أيضا أن اتحاد الكتاب اللبنانيين قد أصدر بياناً ، وورقيات ، وقعها المثقفون اللبنانيون والعرب المقيمون في لبنان ، مشاركة منهم بمعركة

---

(١) راجع الآداب ، ع ٧٣ / ٤ ( ص ٢ - ٥ )

(٢) = = ع ١١ / ٧٣ ص ٢

(٣) = = ع ١١ / ٧٣ ص ٢

(٤) = = ع ١١ / ٧٣ ص ٨ والعدد ٧٣ / ٨

٥ - وقد حاول وفد اتحاد الكتاب اللبنانيين الى المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الآسيويين الذي انعقد في نوفمبر ١٩٧٣ في الاتحاد السوفياتي أن يشير موضوع الدفاع عن حرية الفكر العربي ، والاحتجاج على سياسة القمع التي تتسع في بعض البلدان العربية ، كما قد وعد في بياناته السابقة ، ولكن الأمين العام لاتحاد الكتاب الافريقيين الآسيويين (٢) حال جزئيا دون ذلك مما كشف مجددا عن دوره في معركة حرية الفكر العربي ، ولكن الاتحاد أصدر بيانه تعليقا على انعقاد المؤتمر الخامس للكتاب الافريقيين الآسيويين (٣) .

٦ - وقد استطاع الوفد اللبناني الى المؤتمر ، رغم امتناعه عن القاء كلمته (٤) لعدم اشتراكه في اللجنة التنظيمية ان يسجل نتيجة ايجابية هامة بطرح قضية الأمانة العامة التي كانت حتى هذا التاريخ " حرما مقدسا " لا يدلف اليه أحد ، والاتحاد لم يطرح هذه المسألة الا في نطاق دفاعه المستمر عن حرية الفكر وكرامة الانسان (٥) .

كان لموقف اتحاد الكتاب اللبنانيين أثر فعال ، من حيث أنه كان بداية حقيقية لروح النقد البناء ، والنقاش الديمقراطي . ففي المرة الأولى في نطاق اتحاد الكتاب الافريقيين الآسيويين يطرح على بساط البحث وضع الأمين العام ، الذي انقضى على تسليمه هذا المنصب منذ خمسة عشر عاما ، وقد اقترح الاتحاد في اللجنة التنفيذية انتخاب ثلاثة أمراء عامين ، عربي واfrigتي ، وآسيوي بدلا من أمين عام واحد ، وكما اقترح تحديد ولاية الأمانة العامة لمدة أربع سنوات غير قابلة للتجديد ، وطالب بتوزيع مهمات الأمانة العامة بين بلدان المكتب الدائم حسب امكانيات هذه البلدان وكفاءتها ، وعدم حصرها في بلد واحد ، بالإضافة الى بعض الاقتراحات الأخرى تتعلق بتكوين المكتب الدائم ومجلس اللوتس ، ومنشورات اللوتس ، وقد وافق أعضاء اللجنة التنظيمية على ان تقدم جميع هذه المقترحات الى المكتب الدائم في أول اجتماع له يعقد في مطلع العام .

وبالرغم من أن المؤتمر قد جدد الأكتية ولاية الأمين العام مرة أخرى ، فقد وافق على تعيين نائبين له ، أحدهما افريقي ، والآخر آسيوي ، مما يدل على احساس الوفود

(١) راجع البيان في مجلة الآداب ، العدد ٧ و ٨ / ٧٣ و ١٢ / ٧٣ ص ٣ الذي أكد على :

١ - مشاركة كل الدول العربية بجير شها وقاتتها في المعركة ، وفي صورة خاصة الجيش الاردني لاهميته الاستراتيجية .

٢ - حماية المقاومة الفلسطينية ، وتمكينها من القيام بدورها الكبير على الحدود وداخل الاراضي المحتلة .

٣ - قطع النفط عن أية دولة أجنبية لاتساند الحق العربي مساندة صريحة الخ . .

(٢) يوسف السباعي .

(٣) راجع البيان في مجلة الآداب ، ع ١١ / ٧٣ ص ٣ .

(٤) لمن يريد الاطلاع على الكلمة المحجوزة ، يرجع الى العدد ١١ / ٧٣ ص ٤ و ٥ و ٦ .

(٥) يمكن الاطلاع على قرارات المؤتمر في العدد ١١ / ٧٣ ص : ٦٨ - ٧٣ .

بضرورة الحد من سلطة الأمين العام ، وهي خطوة ايجابية أولى تدل على نجاح محاولات اتحاد الكتاب اللبنانيين في البدء ، والانطلاق من المجتمع الأدبي الذي يمثل اتحاد الكتاب الاثريين الآسيويين .

من هنا نجد مسؤولية اتحاد الكتاب اللبنانيين ومشاركته وغيره من الاتحادات تجاه شرقنا العربي ، الذي يقف وسط عالم هائج ، تدفعه وتجذبه شتى الاتجاهات السياسية والفكرية من الخارج ، وتمزقه مختلف الميول الحزبية والعقائدية في الداخل ، وواجب مفكرينا الواعين أن يرسموا الطريق لهذه الملايين الحائرة من أمتنا العربية ، ويضعوا لها فلسفة فكرية نابغة من أوضاعها الواقعية موجهة نحو انماء شخصية عربية أصيلة ملحة بماضيها وحاضرها ، عارفة دورها ورسالتها في الصراع الحالي لاتخذعها للتضليلات والخدع ، ولا تنسها عن هدفنا أية عقبة كما يتاح لها ان تؤدى دورها الانساني العظيم في عالم اليم والغد . .

ان الأمة العربية بحاجة ماسة الى التضامن الفكري ، والوحدة الفكرية ، كحاجتها الى الأدباء الواعين الذين يمشون في الطليعة ، لا يخافون القمع والسيطرة حتى يخرجوا الأمة العربية من سجنها الكبير الذي شيده أبناؤها المنقادون وراء مصالحهم الشخصية عبر مصالح الاستعمار واستغلاله لأمتهم ،

نحن بحاجة الى كل أديب حر واع لا يخاف مواجهة قدره عبر ايمانه ، ففي صفحات أدبه التي تكون شاهدا على عصره ، وتعكس حمومه وشواغله ، وتشكل مادة ثمينة ووسيلة فعالة لتطوير الحياة والمجتمع في وطننا العربي الكبير .

---

من البديهي أن عقول بني البشر تتفاوت في حظها من الفطنة والتحصيل ، كما تختلف الضمائر في نصيبها من دقة الشعور وحدثه ، كاختلاف قوة الخيال ، فليست بمقياس واحد عند الناس جميعا ، شأن المقدرة التعبيرية ، فانها تتفاوت تفاوتاً عظيماً ، بمقدار التفاوت في الحظوظ من سخاء القريحة ، وجودة الذوق وخصوصاً أولئك الذين يملكون ملكية الاطلاع على علم الآخرين ، التي تمنحهم بعض المزايا التي لا توجد عند غيرهم من أبناء جنسهم ، الأمر الذي يعطيهم حق قول الكلمة فيما تنتجه القرائح ارتباطاً بالمقارنات الأدبية التي أغنت حصيلتهم الثقافية والعلمية .

بقدر التفاوت في الذكاء والتحصيل ، وقوة الخيال ، والاطلاع على علم الآخرين نجد التفاوت في دقة التعبير ، والتقويم ، ومن هنا ، ابتدأت المعارك النقدية ، والمطامير الأدبية ، فظهر على مساح النثر فلاسفة وكتّاب ، وآخرون على مساح الشعر شعراء ، ووقف في وسط كل فن نقاد ، بعضهم يرفع معاول الهدم ، وآخرون يدعمون البناء ، فقامت مدارس (١) ومذاهب جديدة لم يكن لها وجود من قبل .

وحظيت القصة والرواية العربيتين برواد كثير ، خطوبهما خطوة كبيرة ، حتى أصبحت تعالجان جميع المفاهيم المتعارف عليها من الناحية الأدبية والاجتماعية ، والفلسفية والتاريخية واشتهر بوساطتها كبار كتاب العالم .

إذا نظرنا الى سهيل ادريس من هذا المنطلق ، نجده من رواد القصة العربية المجددين ، الذين حاولوا في الأدب العربي الحديث محاولات جريئة ، صورت لنا انتقالاً اجتماعياً استمدته من خلال تجربته الخاصة التي عاشها بيقظة ورعي تامين ، وعرفه كيف يتناول هذه التجربة بطريقة فنية ، جعلته قادراً على الجرأة التعبيرية ، التي عجز عنها جيوس السابقين من رواد القصة العربية ، قابل بها الرأي العام العربي بصورة الجريئة التي ضمنها رواياته ، وقصصه ، التي عبرت عما كان يريد أدباء الصرب التعبير عنه منذ أعوام ولكنهم خافوا مواجهة المجتمع الذي فرض عليهم قيه ، وأبعاده النقدية التي لم يتخطها أحد .

استطاع سهيل ادريس أن يجعل من النفس الانسانية مسرحاً لصراع بين تقاليد مورثة ورثها من المجتمع الذي عاشه بصورة الحقيقية خلال فترتي طفولته وشبابه ، وبين تمسرد على هذه التقاليد التي لعبت بحياته أكبر دور ، جعلته يحمل ذاته ، وليبحث عن كل شيء جديد ، فانسحب الى الحرب فترة زمنية ، عرف من خلالها حرية الغرب وتقدمه ، وثقافته كما عرف نزعة الاستعمارية ، فوقف حائراً في وسط طرق ثلاثة : طريق يشده الى تقاليد الشرق التي مقتها ، وآخر الى الحياة الجديدة ، التي تقلصت فيها جميع القيم والتقاليد

(١) المدرسة الرومانتيكية ، والمدرسة الرمزية ، والمدرسة الواقعية .

(٢) مثل هذه الصور الجريئة ، الكثير منها في رواية "الحى اللاتيني" و"الخندق الخميقي"

الشرقية ، وطريق ثالثة ، أنارت له سبل الحياة ، عندما نظر من خلال منظار القيسم الجديدة ، التي تعمل بدورها على استعباد الشعب العربي ، وجميع الشعوب الفقيرة التي لم تواكب ركب الحضارة الغربية .

روايات سهيل ادريس الثالث ، بماتطوت عليه من أفكار ، وأحداث ، وحركة وحياة ، ولمسات انسانية ، جعلت منه نموذجاً للكاتب الجري ، الذي خطا أمام كُتاب القصة العربية خطوات جريئة ، كما لعب دوراً كبيراً ، عبر آثاره الأدبية في رفع مكانة الرواية العربية ، بالأسلوب الفني الجري ، وجعلها تجربة صادقة عن الحياة العربية التي يحيها كل انسان عربي ، في كل بلد عربي ، ولا يعني أبعادها .

واستطاع سهيل ادريس بوحى فطنته ، وحياته الناضجة - قبل أوانها - أن يقف في وجه الجيل القديم ، بعد أن هادته ، وعرف أبعادها على حقيقتها الذميمة - فساعد على الانتاج ، من هذا الجيل المتمرد ، جيلاً جديداً ، وقادراً على شق طريقه الى حيث تدفمه أشواقه الملحة ، ورغباته الانسانية التي طالما كانت تذبل وتتلاشى قبل خروجها الى حيز الوجود . كما استطاع أن يكرس قلبه لتحدى العادات القديمة والتقاليد المتحجرة والاستعمار البغيض ، والجمود الذي يسيطر على العقول ، ويحول مجرى الحضارة الانسانية الى جليد قاتل ، مؤكداً بذلك أن أشواق الانسان الى المعرفة ، والانطلاق ، والحرية ، هي أهم المقدمات على الأرض التي نحيا فوقها ، ومن واجب كل انسان أن يعمل من أجلها ، لامن أجل مستقبل تقم دعائمه على ركائز الماضي من التقاليد البالية التي أورثتناها الأيام الملتزمة بأفات الجهل ، ونواميس الغباء التي دفعت الأمة العربية الى التخلف والضعف اللذين جعلها لقمة سائغة في فم المستعمر الدخيل الحاقد ، الذي يحاول أن يزرقي لنا الماضي بصور خادعة شتى ، تلزم الأمة بجهلها ، وعاداتها التي أورثتها وألزمها بها الأيام .

إذا حاولنا أن نرافق سهيل ادريس ، في خطوات عمارته القصصية التي أقام أركانها على القصة القصيرة منذ ١٩٤٧م ، وضع أعمدها من رواياته الطويلة ، ولا يزال - حتى يومنا هذا - يبتكر أنواعاً من الديكورات الفنية ، التي تظهر هذه العماره بالمظهر اللائق الذي لا يخلو من العناصر الفنية للقصة ، والتي تظهرها صوره الجريئة في رواياته وقصصه القصيرة . وعلى سبيل المثال ، لا الحصر نوجز هذه الأمور التي لا بد من ذكرها ، حتى تكون الصورة واضحة في نهاية هذه الدراسة .

#### أولاً : من ناحية الشكل :

في مجموعة سهيل ادريس القصصية الأولى : " أشواق " نرى الرومانسية الطابع الغالب ، والحوار لا يلعب دوراً ذات قيمة ، انما يكسج السرد كل شي\* باعتباره

أكثر سهولة للكاتب المبتدى<sup>(١)</sup>.

وهذه المجموعة لاتعطي مؤثرات لكاتب أقبل عصره بقدر ماتعني أن كاتبها يتوق لمزاولة فن القصة القصيرة ، ويحاول أن يكتب شيئا ليملاً فراغاً في هذا المجال ، الفراغ السدى أوجدته دراسته في المعهد الديني ، وبعد تجربة حب فاشلة ، لذلك تراه كان يحول علس الرسائل ، الطريقة التي اكسبها من كتابة رسائله الى حبيبته الاولى التي رافقت والدها الى مصر ولم تعد<sup>(٢)</sup> .

وتراه في مجموعته الثانية ، لاتزال مشكلات العاطفة هي الهم الشاغل للمؤلف الشاب ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لمرحلة العمر الفني أيضا .

وهمم العاطفة هي الطابع الغالب على هذه المجموعة ، كما كان الطابع الغالب على سابقتها ، ولكن العاطفة هنا أشد تركيباً وتعقيداً . لم تعد مجرد فتى ينظر الى فتاة فيقع في حبها من أول نظرة . أو تلميذة تسحر بحديث مدرستها الأنيق ، وتعشقه عشيقاً صامتاً . لقد أخذت العاطفة هنا معنى الصراع الانساني الذي يتسلح - في سبيل غايته الخاصة - بكل وسيلة مشروعة كالأغراء بالتجمل و أو غير مشروعة كالكذب والخيانة .

وفي هذه المجموعة نماذج المشكلات العاطفية على جانب من العمق ، بمعنى أنها ليست عواطف وقتية خادعة ، وانما تتصل بالنفس الانسانية المليئة بالأسرار والنموض .

من خلال استقراءنا لمجموعات سهيل ادريس القصصية القصيرة ، استطعنا أن نصنف موضوعات هذه المجموعات جميعها الى ثلاث موضوعات : العاطفية ، والاجتماعية ، والقومية .

في المجموعات الأولى مثلاً . مشكلات العاطفة هي الهم الشاغل للمؤلف الشاب ، وهذا أمر طبيعي بالنسبة لمرحلة العمر الفني أيضا ، لأن موضوعات الحب والعمود والخيانة من أهم مايلفت القراء ، ويشجع الكتاب ، ولكن ، هذا لايعني أن سهيل ادريس لم يقدم لنا ضمن مجموعاته الأولى قصصاً وطنية . ففي المجموعة الأولى قصة " تذكارة ثورة"<sup>(٣)</sup> التي تناولت المظاهرات التي شهدتها بيروت ابان اعلان استقلالها ومقاومة المحتل الفرنسي . وقصة واحدة في المجموعة الثانية<sup>(٤)</sup> هي قصة " استشهاد " ذكر فيها فلسطين التي كانت

(١) انظر مقاله عنها " سعيد تقي الدين " في مقدمة " كلهن نساء " ص ٦ ، نشرتها دار العلم للملايين ١٩٤٧ م . بيروت " كشف سهيل ادريس عن سليقة القاص ، تعوزها عظمة الفكرة ، وطرافة الموضوع ، وعن انسياب لغة الافصاح ، يشوبها الترسيل ، وعن قلق الروح ، وهو الحائز الأدبي الأهم ، وعن انعدام الصنعة الميكانيكية ، وليس من الصعب درسها واتقانها .

(٢) راجع " الخندق الضيق " ص : راجع الفصل الثالث عشر من ص : ٨ - ٩٦

(٣) راجع مجموعة أشواق القصة الأخيرة في المجموعة .

(٤) راجع القصة الرابعة من المجموعة الثانية .

تعماني في ذلك الوقت من صراع الفريقين المتناحرين ، وقد وفق الى حد ما ، من حيث تجنب المباشرة والخطابة ، وصورت تقاعس جيران فلسطين عن معاونتها في محتتها ، بأسلوب واقعي الى حد كبير . والمجموعات الأربع الأخرى فيها أكثر من قصة قومية (١) .

وإذا نظرنا الى الوجودية نجدها أتم صورة للوعي الذاتي ، ونجد خصائصها تحكم نتاج كاتبتها بلا استثناء ، وسهيل ادريس أحد الوجوديين ، حيث تتحكم به الوجودية ، كما تتحكم به الواقعية الرمزية ، التي لا يمكن حصرها في اتجاه وحيد .

ثانياً : من ناحية الموضوع :

وسائل الاداء الفني في هذه المجموعات الست تطورت وحيث تصح أكثر توفيقاً من سابقتهما ، أي أن الكاتب صار أكثر جرأة في صياغة تجاربه .

واستطاع الكاتب أن يتعرف على المواطن التي تستحق شيئاً من الاسباب ولم تعد الأوصاف الفارغة للأشكال والألوان بجمل محفوظة أو مألوفة ، حيث أخذ يهتم بالانفعالات الداخلية ، أي بالتحليل ، وتصوير باطن الشخصية وحركتها النفسية .

أما الشكل العام أو الـ " F O R M " فقد صار أكثر تماسكاً ، أي أن الحكمة وصلت الى مرحلة من النضج الفني الذي يؤكد استعداد الكاتب الفني الذي لم يقف عن التطور المستمر الذي هياه الى كتابة الرواية الفنية .

وظهرت الملامح اللبنانية الاقليمية في بعض القصص ، فنجد شخصاً يتوجه الى المهجر مغامراً وراء طموحه بحثاً عن الثروة ، ونجد آخر يصعد الى الجبل فيواجه أحداثاً لم تكن متوقعة ، كما نجد ابن القرية في الجبل يقتل اخته غيرة على عرضها ، ضارياً صفحا عن ثقافته وما لفته اياه المدرسة ، كما نجد الفتيات اللاتي يغادرن الوطن تحت دافع الزيارة أو الهرب من عواقب تجربة عاطفية ، فهناك من تذهب الى القدس ، ومن تذهب الى بغداد ، وهذه المرونة في الحركة من طبائع الشخصية اللبنانية أكثر من غيرها .

ونستطيع ايجازاً استقراءً اتنا بالملاحظات التالية :

الفتاة دائماً في قصص سهيل ادريس تتسم بالجرأة والميل الى المغامرة والتمرد على القيم الاجتماعية والمائلية ، وهي عادة لاهم لها الا الحب ، واصطياد رجل تراه مناسباً أو كما تقول لنفسها في أكثر من قصة : انه سيحقق لها السعادة .

وفي حين تتكرر هذه النماذج النسائية ، نجد الرجل تملكه مشاعر المراهقة المتزجة بنظرة قدرية ، حيث يعتبر الحب وليد المصادفة ما فينفع به مع أول نظرة ، ويخضع له خضوعاً يلقي ارادته ، ويستحوذ على خيالاته ليلا ونهاراً ، وهو الذي كان - وربما - لم يفكر فيه من قبل ، أو يجحده أشد الجحود .

(١) راجع القصة الاولى : من مجموعة الدمع المروقة الطريق ، وقصة الدمع العذب من مجموعة (رحماك يادمشق) .

ونرى من خلال هذه المجموعات أيضا تظهر لنا فيها حياة سهيل ادريس في باريس<sup>(١)</sup> كما تظهر فيها اهتماماته القومية<sup>(٢)</sup> ، حيث نرى أن القومية هي محور تجاريسه الفكرية ، كما نرى الذاتية نزعة أصيلة في أدبه .

وعلى العموم ، نرى أن سهيل ادريس - من خلال قصصه القصيرة - واقعي النزعة مع لمسة رومانسية ، واستفادة من معطيات الرمزية والوجودية .  
ولغة قصصه هي وسط بين لغة الصحافة والأدب ، وهو في قصة أديب أكرمه كاتب قصة .

ونستطيع القول إن القصص القصيرة عند سهيل ادريس لم تكن الا اختصارا لقصص طويلة غالبا .

أما بالنسبة لروايات سهيل ادريس ، فقد تناولناها بالدرس والتحليل من جميع نواحيها ، ووقفنا عندها اكثر مما فعلناه عند مجموعاته القصصية ، لارتباط هذه الروايات بحياة كاتبها ، حيث حملها مفاهيمه القومية والاجتماعية والعاطفية ، ويمكن أن نطلق عليها عليها صفة الأدب الذاتي ، ولكنه جعل القضية الرئيسية في رواياته تقوم على الدوام بين تقاليد الأوس ، وواقع اليم وأن أخذت البداية صورة المشكلة العاطفية ، الا أنها تركت في النهاية حول قيمة الواقع المتأصل في نفسه ، ومدى استجابته لهذا الواقع الذي أخذ يلاحقه ، سواء في " الحي اللاتيني " أو في " الخندق الضيق " أو في " أصابعنا التي تحترق " لذلك كان موقفه الرافض لصيحات الماضي التي تلاحقه موقوتا طارئا في ظروف وفائه للحب الذي عايشه .

ومن هذا المنطلق ، من حضور سهيل ادريس في رواياته يوجه اليه الاهتمام ، على أنها مجرد صفحة من حياته ، سواء في باريس (الحي اللاتيني) أو في لبنان " (الخندق الضيق) " و (أصابعنا التي تحترق) " عابرين بسرعة فوق القضية الخطيرة التي عرضها بغير حياء ، قضية الصراع والقلق الذي كان يعانيه أبناء الأمة العربية ، وكان سامسي بطل روايات سهيل ادريس من الذين رفعوا أصواتهم ضد القيم الفاسدة ، ورفضوا معاولهم لهدمها ، واقامة بناء جديد على أرض الحرية ، والعدالة والمساواة . وقد اختلفت الآراء والاستنتاجات حول تأثير أدبه<sup>(٣)</sup>

ويمتاز سهيل ادريس - أنه فضلا على افادته من تجارب رواد القصة الأول ودعواتهم - قد نال من الثقافة قدرا أكبر مما أتبع لسابقه ، وعاصر - بنتاجه الفني - مرحلة

(١) راجع مجموعة الدمع البر .

(٢) راجع العراء . . .

(٣) راجع ماكتب في هذه الدراسة تحت عنوان : سهيل ادريس في مرايا النقاد .



زمنية من عمر التطور الاجتماعي والسياسي ، والثقافي اختلفت كثيراً في قضاياها المطروحة عن تلك القضايا التي شغلت جيل الرواد الأول .

\* \* \* \* \*

بعد هذه الرحلة مع سهيل ادريس وأعماله ، ومشاركته في الأدب العربي الحديث يمكن انجاز ما قدمناه في هذه الرحلة عبر منعطفات أربعة : -

١ - المنعطف الأول ، جعلناه منعطفا ذاتيا ، تحدثنا فيه عن سهيل ادريس كإنسان وأديب ، وجعلناه في فصلين اثنين ، تناولنا فيهما على التوالي :

أ - مناقشة حياته منذ ولادته حتى عام ١٩٢٥ م ، حيث تناولنا مولده ونشأته ، ودراسته ، ومرحلتى عمله قبل سفره الى فرنسا وبعده ، ودراسته وأشرفنا السى الى أعماله الأدبية ، كما أشرفنا الى عقيدته السياسية .

ب - وآفاق عصره في بيئته : لبنان وفرنسا ، حيث تناولنا الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والطائفية ، في لبنان . . . كما تناولنا سفره الى فرنسا ، والغايات منه ، بالإضافة الى حياته العاطفية ، وشعوره القومي بعد عودته من فرنسا ، وبعده اطلناه على النظريات السياسية والاجتماعية الحديثة التي أثمرت صراعاً مستمراً في نفسه بين التقليد والتجديد .

٢ - المنعطف الثاني : جعلناه منعطفاً تاريخياً وفنياً ، جعلناه في فصلين أيضاً ، تناولنا فيهما :

أ - القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ ، كركيزة نرتكز عليها في دراسة لقصص وروايات سهيل ادريس .

ب - وفن القصة ، حيث طبقنا هذا الفن على ما أنتجته القريحة السهيلية وفسرنا انتاجه القصصي والروائي بعبارة فهمنا نحن لا بما يظنه أو يقصده كاتبه ، هنا ، نكون قد وافقناه أو عارضناه من خلال اجتهادنا ، والاجتهاد امر يقوّه الواقع والتاريخ ، ومن حقنا أن نفسر القضايا بالأمور التي نراها ، ارتباطاً بقضايا المجتمع المختلفة . ومن هنا كان لنا اجتهادات مختلفة أو مؤتلفة ، وخرجنا بنتيجة واضحة هي أن سهيل ادريس خالق شخصيات واقعية ، تقوم على التضاد فيما بينها .

٣ - المنعطف الثالث : جعلناه منعطفاً نقدياً ، جعلناه في فصلين

اثنين :

أ - تناولنا في الفصل الاول : أقاصيص سهيل ادريس ، وجعلناه في أربعة مباحث ، تناولنا في كل مبحث قصة قصيرة بالدراسة والتحليل ، ومن ثم أصدرنا حكمنا

على مجموعات سهيل ادريس القصصية الست .

ب - وفي الفصل الثاني تناولنا روايات سهيل ادريس ، في أربعة مباحث أيضا جعلنا كل مبحث لدراسة وتحليل رواية من رواياته الثلاث ، وجعلنا المبحث الرابع مختصا بهذه الأعمال الروائية في مزايا النقاد ، وبدورنا حللنا رأي النقاد ، لتصبح الدراسة متكاملة الجوانب من حيث التحليل والتقييم .

٤ - والمنعطف الرابع ، جعلناه منعطفاً أثرياً ، تحدثنا فيه عن مشاركة سهيل ادريس في الأدب العربي الحديث عبر ثلاثه فصول تناولنا فيها :

آ - مجلة الآداب ، حيث ما بينا مع الصحافة الأدبية منذ نشأتها ١٩٥٣م وحتى ١٩٧٥م ، وأشرنا الى المشاركة الأدبية التي شارك بها سهيل ادريس من خلالها ب - واللغة : عبر قاموس المنهل الذي أنشأه والدكتور جبور عبد النور وما لهذا العمل من قيمة ثقافية .

ج - واتحاد الكتاب اللبناني ، وارتباط هذا الاتحاد بالاتحادات الأخرى و الأعمال التي مارسها وانفرد بها عن غيره من الاتحادات .

أما عن دار الآداب ، وقد شاركت في اخراج الكثير من الكتب والروايات ، فقد أشرنا اليها اشارة ، لعدم تمكننا من الحصول على منشورات تخصصها ، حتى تكون أرتامنا عن الكتب والروايات التي أخرجتها صحيحة ، وذلك للظروف الراهنة ولعدم تمكننا من الاتصال بصاحبها .

وهذا لا يعني أن دراستنا أتت متكاملة النواحي عن سهيل ادريس ، وفن القصة ، ومشاركته في الأدب العربي الحديث ، كلا ، بل هناك أكثر من موضوع يستحق العناية والدرس في نتاجه . . هناك المرأة ، وهناك الجنس ، وهناك القومية العربية ، وهناك الأحزاب السياسية ، يمكن للدارس أن يبحث عنها - من خلال عطاءاته الأدبية - بحوثا خاصة ، ومستقلة . راجين من زملائنا متابعة مسيرتنا الى ما فيه الأفضل والأكمل لهذه الأمة الجريحة .

١ - القصة القصيرة

٦ - ست مجموعات قصص قصيرة ، نذكرها حسب تسلسلها التاريخي للطبع والنشر  
المجموعه الاولى - اشواق (١) . سنة ١٩٤٧

تتألف هذه المجموعه الاولى من عشر قصص قصيرة ، حملت عنوان القصة الاولى ، وجاءت  
في مئة وسبع وعشرين صفحة من القطع المتوسط ، والقصص هي :

١ - اشواق :

قصة فتاة مراهقة تبحث عن الحب ، ووالدتها تشغلها في تعلم الموسيقى بوحاطة  
استاذ اعلى ، فتصدم به اولاً ، ثم تشفق عليه ، ثم يتحول هذا الاشفاق الى حب ،  
فيهرب الاستاذ الاعلى منه ، ويعتذر عن الاستمرار في تعليمها الموسيقى .

٢ - أمومه .

قصة رومانسية عن الحرمان العاطفي الذي تعيش فيه أم فقدت ولداً ، وولد  
عقد أمه ، فحاولت هذه الأم أن تتخذه ولداً ، ثم توصي له بشروتها .

٣ - امراة .

قصة تحكم الغريزة في المرأة ، وعشلتها في كبت غريزة الانثوية في نفسها ، وسيطرة  
هذه الغريزة على احساسها الفطري بالأمومة . فقد عاشت الأم تجربة زواج فاشل مما جعلها  
تغار من ابنتها الشابه المخطوبه ، وتعاقبها بضراوة ، حتى جنت الفتاة وألقت بنفسها  
من الشرفه وماتت .

٤ - نداء الأعماق

قصة فتاة طاهره ، أوصتها امها بأن تحرض على طهارتها ، وقد عدلت ، ولكنها  
وقعت صيدا سهلا لرجل مجرب فانتحرت .

٥ - صراع :

شاب يخاف المرأة ، وينظر بقدمية لعاطفة الحب ، ولكنه يقع في براثن راقصه ،  
ومع هذا يظل تقديسه للعاطفه سليما في أساسه ، وينظر للجنس على أنه مجرد نزوة .

٦ - ظافات .

قصة مدرس تقع الطالبات في حبه ، وحين يخطب من خارج المدرسه يبدأ غياب بعض الطالبات ، وشكوى الامهات مما يؤدي الى انها خدمات هذا المدرس .

٧ - راحة الضمير .

قصة فتاة ريفية ساذجه ، وشاب مثقف متعال عليها ، وكل منهما يقاوم الاعتراض بمعاطفته ، ولكن الفتاة تبوح وتتعلق بالشاب ولا تعمل خادمة في بيته ، فراح يدبر الهرب منها بالعودة الى بيروت ، مما يؤدي بالفتاة الى محاولة الانتحار .

٨ - هي وكلبها

قصة فتاة أحببت كلبها وأحبها الكلب حتى هاجم خطيبها غيره منه وحنقا عليه . .  
ويعض الكلب الخطيب ، فتضربه الفتاة بقسوة ، مما جعل الكلب يلقي بنفسه في حوض الحديقه ويتحسر .

٩ - تفتح ورده .

قصة شاب نزيه الخلق ، يحرص على الأصول ، وفتاة مصابة بنوع من النرجسية ، شديدة الاحساس بجمالها ، لدرجة أنها لا تتصور أحدا يمكنه أن يرفض هذا الجمال ، ومن ثم تتورط في عرضه على الطبيب الذي يرفضها .

١٠ - تذكار ثوره .

قصة شاب يصاب بمرض المستعمرين ، ويمود الى البيت محمولا على اكتاف زملائه ، فيطمن والدته ، ويقص عليها قصة اصابته مع غيره من زملاءه ، من أجل استغلال لبنان وحرثته . . . وشلل رجلاه تذكرا لهذه الثورة .

المجموعة الثانية : نيران وثلوج (١)

هذه المجموعة القصصية الثانية التي صدرت بعد "أشواق" بعام واحد ، وحملت اسم القصة الأولى كما سبق لها ، وهي مكونة من عشر قصص ، جاءت في تسعين صفحة من القطع المتوسط .

والقصص هي :

١ - نيران وثلوج

قصة فتاة تجمع زملائها في الكلية على الإعجاب بجمالها والتقرب اليها ، ما عدا زميلا يتحداها ، وينازلها ، ويهزمها في الانتخاب ، وتبادلها هذه الفتاة كرها يكره ، ولكن هذه الكراهية المتبادلة لم تكن الا خطأ خادعا لحب متغلغل يبحث عن فرصته للتنفس .

٢ - أصداء

قصة فتاة جميلة متحرره من أسرة محافظة خلقيا تضيق بفتاتها المتحرره ، وتحمل الفتاة ، فيغري الابن بقتل اخته ، وينفذ الشاب ارادة والديه اللذين سكتا عن فعلته ، ولكنهما بعد حين صارا يكرهانه وينظران اليه كقاتل ، ومن ثم توجهها الى مكة للحج ، وتركاه يواجه عذاب الضمير وحيدا .

٣ - أحلام ضائعة

قصة شاب فقير يعجز عن تأمين الحياة التي تؤهله الزواج من الفتاة الغنية التي احبها ، ولكنها تأمله وتعيه ، مرفض ان يكون عالة عليها وعلى مالها . ويرحل الشاب عن الحي ، وتختار الفتاة زوجا لها فتدعوه الى حفلة زواجها ، فيرتشف الخمر ، ويحاول ان يطعن الزوج لولا انه سمع موسيقى "احلام ضائعة" تنبعث من اصابعها ، فيرتد عن تصرفه هذا ويخرج من البيت .

٤ - احتشاد

قصة وطنية ، بطلها شاب انضم الى جيش التحرير ، حيث ترك والدته وشقيقه ، بعد ان اوصى اخاه بأمه ، ليقبلها عنه ، ويرجوها أن تدعو الله من أجله ، لأنه يغادر أما لتحتضنه أم ثانية ، ام الكبرى ، الأرض الحبيبة التي يتوجه اليها : فلسطين .

٥ - قبلة اليد

قصة فتى ساذج مقابل فتاة واثقة مجربه . كان قادرا على ان يغامر بتقبيل يدها ، ويقف عند هذا الحد ، ولم يكن قادرا على نيل الاكثر الذي تعرضه عليه وهو لا يكاد يعي ما يدور ، فتصده وتتهمه بالحمى .

٦ - الحرمان

قصة طالبه تقع في حب شاب وسيم يكتب فيها شعرا ، فتعشقه المديرة من خلال أشعاره ، فتعصب بها عواطفها حتى تدبر كذبة ، وتفرق بين الحبيبين ، ولا ينفعبها أن تعترف وتندم ، وتحاول اصلاح ما أفعدت ، ولكنها تحاول متأخرة .

٧ - أقوى من الحياة ( التضحية المشتركة )

قصة صديقين عاشا معا ، حتى أصبحا لا يفترقان أبدا ، وتتدخل خطيبة أحدهما التي ترافق الاثنين معا ، فتحب صديق خطيبها الذي يقاوم هذا الحب ويرفضه ، فتسحب من حياة الصديقين معا ليبقيا معا ، وإنما ملك كل واحد منهما طريقا يختلف عن طريق صديقه .

٨ - عطرودم

قصة فتاة أحبت فرفضت الشاب الثرى ، وسافرت الى القدس كعادتها في كل صيف لقضاء فترة اسبوع ، فتقتل هناك .

٩ - الصمت العجيب

قصة فتاة أحبت صديق شقيقها ، وأحبته بصمت لم تقوم خلاله الافصاح عن حبها .  
تنخطب الفتاة ، ثم تفسخ خطوبتها ، وتسافر الى العراق لزيارة شقيقها ، وتبقى مدة سنة كاملة ولم يحاول الحبيب ان يكتب لها لصمتها الذي لم يعرف معناه ، فتزوج ، فهاكرت - زواجه واعترفت له عن سبب فسخ خطوبتها ، وخلافها مع أهلها فتألم ، وشعر بالندم .

١٠ - أقسوى من الحبسة

قصة فتاة تستسلم بقلها وفكرها وجسمها ، وتبذل بين يدي حبيبها البذل العوفور ، فلم يشك في أنه فرط الحب وشورة الصبايه .  
فيهاجر حبيبها سنة واحدة على الأكثر لتأمين حبسة أفضل ، فتنساه ، وتفكر بعواه ، وتحيه وتمنحه ما منحت حبيبها .

المجموعة الثالثة : كلهن نساء (١)

تتألف هذه المجموعة من تسع قصص قصيرة ، لا يمثل تسميتها عنوان قصة من قصصها عكس المجموعتين السابقتين ، ولكن التسمية تمثل مضمون القصة الذي يدور حول المرأة . صدرت بعد مجموعة " نيران وثلوج " بعام واحد سنة ١٩٤٩ ، جاءت في ست وتسعين صفحة من القطع المتوسط .

والقصص هي :

١ - الخطيئة الطاهرة .

قصة شاب له رأى ضد المرأة ، وكان يجد يخرأ عجيبا في الايقاع بها حتى التقى بزوجه زميله التي صدته ، وحالت بينه وبين نواياه ، فاتخذ منها صديقة بريئة ، تحدثه عن همومها . وتعرض هذه الفتاة ، وتخبره عن سبب مرضها ، فهي قد خانت زوجها ، ولا تدري كيف تخبره . فكبرت في عين الشاب ، وأوحت اليه كل الاحترام رغم هذه الصراحة . وأخبرت زوجها الذي لم يتحمل النبأ فطلقها ليتزوج منها هذا الشاب .

٢ - القصاصي :

قصة قصاص يهزء بعشق الناس ، فاذا هو عاشق يهزأ به الناس وقدمت له الفتاة التي احبها شابا على انه خطيبها وعرفت عنه على انه قصاص بارع ، فطلب الخطيب منه ان يكتب قصة عن زواجها .

٣ - عودة الماضي .

قصة زوجة احبت شقيق زوجها ، لانها ترى فيه شباب زوجها الذابل ، فانسحبت من حياة الزوج لتحيا حياة شبابه مع أخيه .

٤ - دموع في الكونتinentال .

قصة زوجه ، تخبر زوجها ان الشاب الذي رآه في بيتها كانت تراه كل يوم من نافذة بيت أبيها أمام باب كوخه . فأحبت فيه رجولته وقدرته وتكرهه فيما عدا ذلك ، ولكنه أتاها ليطالب منها بعض المال كعادته في الوقت الذي دخل فيه زوجها الذي خرج دون أن ينس بكلمة ، ثم يعود اليها بعد أن يقرأ اعترافها هذا .

٥ - أنا نية .

قصة فتاة احبت ، فتمنعت أن يقبلها حبيبها ، ولكنها تعود بعد ذلك فتمنحه كل شيء ، لانها هي تريد وجود والدها في المستشفى .

٦ - الأمواج الجائعه :

فتاة لعوب على شاطئ البحر ، تتدعي الفرق لتجني صداقه مع منقذها ، وفتاة أخرى تنتقدها ، ثم تتركها ولم ترافقها .  
وتتزوج الفتاة الطيبه زميلها ، بينما هي تغرق ومنقذها الجديد الذي من بطانتها

٧ - الخائبة .

قصة فتاة جميلة ، أبي عليها احساسها بالجمال أن ترضى الا الشاب الذي يستجيب لأهوائها ويرضى نزواتها ولو كان فيها شذوذا . فخبطت لمن استلظفت ، فوجدت في شقيقه الشاب الذي تبحث عنه في طريقها ولم تجده . فحدد موقفه منها بعد خطوبتها ، ففسخت خطبتها عن أخيه من أجل رفض حبها .

٨ - لغة الحب .

قصة شاب يعمل في شركة بنزول أقامت لها مكاتب وفروع في غير بلد من بلدان الشرق الاوسط . تعرف على فتاة أحبها وأحبته ، ثم ابتعدا عن بعضهما البعض نتيجة نقله الى مكان بعيد . ثم التقيا ، وسافر الشاب ليجمع مالا وفيرا ، بعد أن تبادل رسالتي كره وفراق . وخطب الشاب فتاة من اسرة راقية في البلد الذي يعمل فيها ، وأحرق رسائل حبيبته ، ولكنه قبل زواجه بيومين تلقى رساله قصيره عرف من خطبها أنها رساله من حبيبته ، تخبره أنها تزوجت ورزقت طفلا وتهنئه بزواجه المرتقب .

٩ - شرما فبهنا .

قصة رجل لم يكن يؤمن بالزواج ، وكان اذا سئل يقول : قال سيدنا الامام علي كرم الله وجهه : المرأة شركلها " ويقع في حب الراقصه في الملهى الذى أقيم مقابل حانوته ، فيشرب الخمر ، ويحاول أن يطعم الراقصه بسكينه عندما دفعته عنها ، ويمسك الى السجن ، ليسمع زميله في السجن يقول : " وشرما فيها أنه لا يد منها " .



المجموعة الرابعة : الدمع المر (١)

تتألف هذه المجموعة من تسع قصص ، وتحمل اسم القصة الاولى ، كالمجموعتين :  
الاولى والثانية ، جاء في ٩٦ صفحة من القطع الوسيط ومعظم قصصها نشرت في  
مجلة الآداب .

والقصص هي :

١ - الدمع المر (٢)

قصة طالب عربي يدرس في باريس ، يصادف فتاة فرنسية ، ويحمل قادة العرب  
مسؤولية مأساة فلسطين ، كما يحمل هتلر مسؤولية عدم القضاء على اليهود .  
وتعترض الفتاة الفرنسية ، بسبب عداوتها لهتلر ، عدو اليهود وعدو فرنسا .  
ويعود الطالب العربي الى وطنه بعد أن يشعر بالخجل في تجواله في فرنسا  
وفي عودته .

٢ - الطريق (٣)

قصة شاب أحب ابنة عمه رغم اختلاف ميولهما .  
ويدخل المستشفى بعد جراح أصابته في إحدى المظاهرات الوطنية فيكون دخوله  
المستشفى درسا قاسيا لابنة عمه التي تعترف له بخطأها وصواب أعماله ، حيث تلتحق بحملة توزيع  
العلايش على اللاجئين الفلسطينيين .

٣ - رسالة الى أمي (٤)

طالب عربي في بلد أجنبي يكتب رساله الى امه يخبرها فيها عن جاره " بول البولوني"  
الذي فقد ساقه وذراعه في الحرب ، كما فقد أمه بعد أن زارته في المستشفى اثر اصابته في الحرب .

٤ - وحول (٥)

قصة عامل يعمل في مطبعه ، زوج وله ولد وفتاة ، يشترى من بائع أوراق اليانصيب  
نصف ورقة بخمس ليرات لبنانية من أصل سبع ليرات يملكها . وترجع ورقة اليانصيب ، فيرفض استلام  
الجائزه ويعود الى عمله في المطبعه .

١ - صدرت عن دار الآداب بيروت ١٩٥٦

٢ - نشرت في مجلة الآداب في العدد ٦ سنة ١٩٥٣

٣ - = = = = = ٩ = = = =

٤ - = = = = = ٦ = = = = ١٠٩٥٤

٥ - = = = = = ٨ = = = =

٥ - الغشاوة (١)

قصة شاب مثقف عرف الابداع التي تريدها فتاته في فتي أحلامها ، فوجد وظيفة براتب محترم يجعله قادرا على اقتناصها ، ولكنه شعر بضيق قوى ، شعرانه يخون فكره الحر ، ويبيع ضميره المستقل ، فانتخب من وجودها ، فشعرت بخطأها ، ورجته أن يغفر لها ، أن يشدها اليه ، أن يقبلها ليمسح دموعها بشفتيه .

٦ - ميلوشكندا

قصة فتاة تشيكية هجرت بلادها في أعقاب الحرب الأخيرة ، واتخذت فرنسا موطنها لها ، تعيش فيه حياة لاهية عايشه لا يحد من حريتها قيود .  
وتسقط تحت عجلات سيارة مسرعة عندما كانت ذات ليلة سكرى ، فاذا بذراعها اليمنى تتحطم ، فتدخل المستشفى . وهناك تقرأ كتابا عن حياة غاندى ، فتذهب الى بلاده حيث هزتها حياته بما كانت تحمل من مقاومه للشهوه وقتل اللذة وكبت الأهواء ، فاثقلت على نفسها وأصبحت شخصية ثانية ، يختلف مسلكها عن ذى قبل .

٧ - صديقي وثقيتي

قصة شاب في الثلاثين من عمره ، سافر الى امريكا لعمل تجارى . رأى صورة شقيق ولكاتب في مجلتي لاسيان وقرأ عن نجاحها في الشهادة ، فغير الشاب مشروعه التجارى وانصرف الى الدراسة حتى نال شهادته " الام اي " .  
ويكتب هذا الشاب الى شقيق الفتاة خاطها ، فيرد عليه عن طريق اعلان خطوبتها على شاب من بلدها .

٨ - صورة ناديسا

قصة شاب يذهب الى فرنسا لتحصيله العالي ، وهو على عهده مع فتاته في الشرق التي وعدت أن تكتب له .  
ويتعرف الشاب على فتاة فرنسية تشبه ناديا ، فتحس انه لم يحبها ، بل يحب فيها صورة حبيبته الشرقية ، فتسحب بعد أن تصفه بالشرقي الساذج .  
وفي اليوم الثاني تلقى رساله من اخته تخبره فيها : ناديا قد خطبت ، وأن عقد قرانها ستم عما قريب .

المجموعة الخامسة : رحماك يادمشق (١)

تألف هذه المجموعة من خمس قصص قصيرة ، تحمل اسم القصة الثالث في المجموعه  
جاءت في مئة وخمسة وثلاثين صفحة من القطع الوسط ، وجميع قصصها نشرت في مجلة الآداب  
والقصص شمسري

١ - القلق (٢)

قصة شاب متزوج ، يعمل في المدرسة وفي الجريدة ، كان يعيش في قلق يدور حول  
إرضاعة الثلاثة . المدرسة ، والجريدة ، والبيت ويعتبر جيله هو جيل انتقال ، جيل ضحية ، وليعرف  
انه يجعل من قلقه وسيله مجديه للجيل الذي سيخلفه ، لذلك رحب بالمولود المنتظر .

٢ - الدمع العذب (٣)

قصة انسان يسمع عن طريق المذياع " اعلان الجمهورية العربية المتحدة " فيشعر  
بقطرة تحرق خده ، وظلت تسميل حتى بلغت شفته العليا فتذوقها بلسانه وتمصصها دمعاً عذبا .

٣ - رحماك يادمشق (٤)

قصة انسان تخبره زوجته عن انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة ، فيشعر  
بالألم والغم عندما يتأكد من حقيقة الانفصال .  
وتضع زوجته في نهاية هذه الليلة مولودا ، قال عنه : انه اجمل مولود رآه في حياته .

٤ - العصفور القطني الأصفر (٥)

قصة عتال فقير طلب منه ابنه ان يشتري له العصفور القطني الأصفر ، ولكنه يشتري ما  
تبقى مع الصبي بائع العلكه ، من حبات العلكه ليمنع والده من ضربه ، على أمل ان يشتري العصفور  
من أول اجرة يقبضها في اليوم التالي .

٥ - التفاهة (٦)

قصة كاتب يجلس في مقهى حديث تتردد عليه السيدات ، فتظهر أمامه الفتاة التي  
أحبها ، ومعها طفلان . . .

وتتهمه فتاته بالنسيان ، لأن " المهيد " كلمه مجردة ولا بد من تقديم الجراهمين المحموسه  
لمنحه قيمته . . . وتذهب من غير أن تلتفت اليه ، تاركة نقطه دم سقطت من جرح ابنها ، وهي كل ما  
تبقى له .

١ - نشرتها دار الآداب ببيروت الطابعه الاولى سنة ١٩٦٥

٢ - نشرت في مجلة الآداب العدد ٧ سنة ١٩٥٦

٣ - = = = = = سنة ١٩٥٨

٤ - = = = = = سنة ١٩٦١

٥ - = = = = = سنة ١٩٦٥

٦ - = = = = = سنة ١٩٦٥

المجموعة السادسة : العراء (١)

تألف هذه المجموعة من سبع قصص قصيرة ، تحمل اسم القصة الثالثة كما بقيةها جاءت في مئة وأربع صفحات من القطع الكبير ، خمس قصص من هذه المجموعة نشرت في مجلة الآداب والقصص هي :

١ - الليل والأسلاك (٢)

قصة فتاة أحببت خطيبها ، وافترقت عنه عندما تمكنت من دخول الأرض المحتلة وحدها وتخلى خطيبها ..

والتقت بصديق خطيبها ، وأحبته بعد أن يشمت من عودة خطيبها ، ولكن الحبيب الثاني يعود ليبحث عن خطيبها ، فترافقه حتى أسلاك الحدود .

٢ - زمن الهزيمة والنصر (٣)

قصة تعبر عن شوق الشباب العربي في فلسطين للدفاع عن أرضهم ، كما تتحدث عن القيادات العربية المختصين في القضية مباشرة ، وعدم تزويدهم الشباب بالسلح المناسب لاسترداد ما سلب من الأرض المحتلة .

٣ - العراء : (٤)

قصة المثقفي العربي واحساسه في الهزيمة ، تدخل عليه زوجته ، وتره صوره من مجلة أحضرها ابن عمه من باريس ، صورة تعبر عن الذعر في عيون الجنود العرب المسلمين ، التي تتطلع الى فوهات البنادق والرشاشات التي تحملها أيدي النساء .

٤ - شيخ الكرامه : (٥)

قصة شيخ فقد زوجه وابنه في غارة اسرائيلية ، فحمل السلاح واتخذ من الفدائيين اولاد له ، يتهمك على كل عربي يقول عن نفسه عربي ولا يكون فدائيا لاستعادة الارض المحتلة والانتقام من المجرمين اليهود .

٥ - العيبور (٦)

قصة تعبر عن الانسان العربي الفدائي الذي ينذر نفسه من أجل استرجاع أرض فلسطين ، فاذا به يقف فريسة مخطط اردني لطرد الفدائيين من على أرض الاردن ، لمنعهم من التحرك ضد اسرائيل .

١ - نشرتها دار الآداب ط ١ لسنة ١٩٧٤ بيروت في ١٠٤ صفحات

٢ - نشرت في مجلة الآداب العدد ٢ سنة ١٩٦٦

٣ - = = = = = ٢ سنة ١٩٦٧ فصل من رواية لم تصدر

٤ - = = = = = ١١ سنة ١٩٦٧

٥ - = = = = = ٧ سنة ١٩٦٨

٦ - = = = = = ٨ سنة ١٩٧١

٦ - القراءة في العيون المغمضة (١)

قصة اديب عربي يسافر للمشاركة في مؤتمر ادبي . في مطار بيزا يشاهد فتاة شقراء  
بعد ان امضى امسيه مقلقه مع باتر يشيا التي هي في عمرا بنته . . . والقصة تركز على ان صاحبها  
جامع خيالات امل .

٧ - نكهة خاصه .

قصة والد يعود الى بيته من السفر ، فيلتقي بأفراد عائلته كالعادة ، فتقع ابنته  
الصفيرة على حاجز خشبي للباب ، فيدخل خنجر من الزجاج المحطم فوق خاصرتها اليمنى ، فتنقل  
الى المستشفى .  
والقصة تتناول حياة الأسرة المحبة ، وارتباطها الأسرى والعاطفي .

١ - الحي اللاتيني ١٩٥٢

٢ - الخندق العميق ١٩٥٨

٣ - أصابعنا التي تحترق ١٩٦٢

٥ ٥ ٥

١ - الحي اللاتيني (١)

أول رواية صدرت لمسهيل ادريس في سنة ١٩٥٢ ، نشرتها دار العلم للملايين ببيروت أطلق عليها اسمها نسبة الى " الحي اللاتيني " في باريس ، حيث كان يقيم بطال القصة هناك ، " والحي اللاتيني " مشهور على أنه حي الطلاب الوافدين للعلم والمعرفة . بدأها مسهيل ادريس بتمهيد ، وجعلها في ثلاثة أقسام وخاتمه ، في ٢٨٥ صفحة

من القطع الكبير .

في القسم الأول : نرى الشاب اللبناني الذي يسافر الى فرنسا لأول مرة ، بغية حصول العلم العالي ، بعد أن ترك جيبته وعمامته الشرقية . ونراه يبحث عن المرأة ، هم الشباب المراهق الذي لا شاغل له الا الحصول عليها مهما كان الثمن ، كان همه الحصول على أية فتاة .

أما في القسم الثاني ، فراه يقع في الحب ، الحب الناضج بعد أن ترك حسب المراهقة في القسم الأول . أما في هذا القسم ، فكان يتكلم عن حبه " لجانين مونثرو " الفتاة الالزامية التي أتت الى العاصمة الفرنسية لتلتحق بمعهد الصحافة ، هربا من خطيبها الذي رآته يخونها مع فتاة غيرها ، فالشرف برأيها هو الاخلاص ، لذلك رفضت خطيبها رغم ما أبداه من اعتذار . ونرى في القسم الثالث ان الحب قد انقلب الى مأساة ، والمأساة بلغت قممها . . .

فسامي يعود الى وطنه في اجازة قصيرة ، ويلتقي بوالدته وجها لوجه ، وجانين بعيدة هناك في فرنسا وتستطيع التقاليد والعادات أن تنتصر ، فالأم مثلت بعقليتها الرجعية والجمود . . . ولم يحتطع سامي أن يخرج عن نطاق هذا الجمود الذي يرفضه . . . لذلك ، كتب رساله الى حبيبته يعتبر فيها حبه نزوة عابره ، ويتركها وحدها تقرر مصيرها وابنها الذي في أحشائها .

ويعود الى باريس ، فتصبح أمه ذكرى مرة ثانية ، وتقاليدها مجرد ذكرى ، ولكن جانين ترفض أن تراه ، حيث تهرب بعد أن خرجت من المستشفى الذي اجهضت فيه . ولكن اصرار سامي اوصله الى مقابلتها في كهف من كهوف الوجوديين بعد أن أصبحت فتاة ضائعة .

ولم يستطع أن يقنعها بالعودة اليه ، فقد ذهبت وتركت له رساله في الفندق ، تحثه بالعودة الى مشرقه البعيد الذي ينتظره ويحتاج الى شيا به ونضاله .

والقصة بكاملها عبارة عن صراع قائم بين الماضي والحاضر ، فنرى ان الحاضر يعيش على جذور الماضي ، التي تتحكم بنشأته .

---

١ - نشرتها دار الآداب ببيروت الا بترجمة السادسة في كانون ثاني سنة ١٩٧٢ . كانت طبعتهما الاولى سنة ١٩٥٢ ، حيث نرى أن هذه الرواية طبعت ست مرات بين سنة ١٩٥٢ و سنة ١٩٧٢

٢ - الخندق الغميق (١)

الرواية الثانية التي أصدرها سهيل ادريس ، وقد تناولت حياته في طفولته ، وشبابه ،  
، طبعها ١٩٥٨ . وكان اسمها مقتبسا من الحي الذي عاش فيه في بيروت " الخندق الغميق"  
أو أنه كان يقصد بالخندق الغميق ما هو عبارة عن هوة ساحقة تفصل الجيل الجديد عن الجيل القديم .  
قسم الرواية الى قسمين : قسم اول وقسم ثان . لم يكتب تمهيدا لها أو خاتمة  
كسابقها . تألفت من ١٧٠ صفحة من القطع الكبير .  
صوّر سهيل ادريس في القسم الاول الأثرة اللبنانية ، وجعل على رأسها أهلا ذواتها  
ديني ، وأحرة ، يحاول بعض أفرادها أن يثمدوا على القيم والتقاليد التي تتحكم في نفس الوالد  
وفي عصره .  
ونرى سامي يدخل المعهد الديني عن طيب خاطر ، ثم نراه يتذمر ، ويندم في وقت  
لم ينفع الندم فيه . . فهو لم يخلق ليرتدى الجبة والعمامة ، ولكنه ارتداهما ، وشعر بثقلها على  
جسده وفي نفسه .  
وفي القسم الثاني يخبرنا عن قصة حبه ، وعن استعداده على خلع الجبة والعمامة ،  
والسفر الى الخارج لتحقيقه العالي .  
فراه ينجح في الشهادة الحكومية التي تؤهله للدراسة الجامعية ، بعد أن يتحدى  
ارادة والده في انتقاده للماضي وآثاره ، ويدرب شقيقته على أسلوبه حتى تخرج من عزلة التقليد  
الهيضه ، فتتزوج الشاب الذي أحبه ، ويسافر سامي الى فرنسا ، ويعود فوزى الى واقع الحياة التي  
كان يرفضها عن طريق الخبرة ، ويموت الأب .

٢ - أصابعنا التي تحتسرق (١)

هذه الرواية الثالثة التي تناولت حياة الكاتب بعد عودته من فرنسا . . . وقد ضمنها آراءه السياسيّة ، والقوميّة ، والاجتماعيّة ، وأسمها مقتبس من جملة مکتوبه فيها ، كان يقصد ما تعنيه تلك الجملة من معنى يعطي القارئ - من أول وهله - فكرة عامه عن محتوى هذه الرواية .

الرواية مقسّمة إلى قسمين : في ٢٩٢ صفحة من القطع الكبير .

يبدا القسم الأول من الرواية بدخول فتاة معجبه بمجلته ، تطلب الاشتراك في المجله ، فيعرف اسمها وعنوانها .

وفي هذا القسم يتناول سهيل ادريس حياة أصدقائه شعراء وكتاب ، كما يتناول رأيه في الأحزاب السياسيّة .

وفي القسم الثاني ، نراه يكتبه على شكل مذكرات على لسان الفتاة التي دخلت عليه المكتب في أول الرواية ، حيث أصبحت زوجته ، فقد أخذت تكتب كل شيء رأته وسمعتة من خلال مرافقتها لسامي الذي حدثها عن نفسه وذويّه .



١ - محاضرات عن القصة في لبنان (١)

هذا الكتاب يضم ثماني محاضرات عن القصة في لبنان ، يحتوي على ثماني وتممين

صفحة من القطع الوسط ، صدر سنة ١٩٥٧ .

وهذه المحاضرات هي عبارة عن دراسة تمهيدية للقصة المعاصرة في لبنان ، أو خطوط أولى تعين الراغب في وضع دراسة شاملة عن النتاج القصصي اللبناني خلال قرن من الزمن ، وهي في ذاتها - كما يقول كاتبها - " تفتقر إلى عدد من المقومات التي لا بد منها في كل دراسة جديده . فقد أهملت أو كادت تهمل ، أهمالاً تاماً حياة المؤلفين والظروف التاريخية والنفسية التي انتجوا فيها آثارهم " (٢)

وتناول في هذه المحاضرات طلائع القصة في لبنان ، ورواد القصة في لبنان ، والقصة اللبنانية المعاصرة ، وحدد مراحل هذه القصة بثلاث مراحل ، جعل المرحلة الأولى من (١٩٢٠ - ١٩٣٠) ، والمرحلة الثانية من (١٩٣٠ - حتى نهاية الحرب العالمية الأولى) ، ثم المرحلة الثالثة من نهاية الحرب العالمية الأولى ، حتى سنة ١٩٥٧ .

ثم تناول خصائص القصة اللبنانية ، وقال عنها انها لم تكن نابعة من ذاتها ولا من تأثير البيئة والوسط . (٢)

٢ - قاموس المنهل ، عربي فرنسي ، أصدره في ثلاثة مجلدات ، وقد شاركه في هذا العمل الضخم الدكتور جبور عبد النور .

٣ - مجلة الآداب . أسسها سنة ١٩٥٢ ، وتكهننا عن هذا الأثر الضخم في مبحث مستقل في الباب الرابع الفصل الأول .

٤ - دار الآداب ، أسسها سنة ١٩٥٦ ، احتضن بواسطتها الكتاب الشباب ، ونشروا نتاجهم الأدبي ، سواء كان شعراً أو نثراً ، فكانت هذه الدار ، كما كانت المجلة وسيلة نشر وعلان ، خدمت الآداب العربي من جهة ، وخدمت الكتاب الناشئين من جهة أخرى ، فعرفت بهم كما عرفوا بها .

٥ - اتحاد الكتاب اللبنانيين سنة ١٩٦٨ ، يضم : قسطنطين زريق ، وجوزيف مفيزل ، ومنير البعلبكي ، وأدونيس . وسهيل ادريس ، وقد انتخب سهيل ادريس أميناً عاماً لهذا الاتحاد ثلاث دورات متواليه وتكهننا . عن جميع هذه الآثار في الباب الرابع الفصل الثالث .

١ - نشرتها جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العاليه ط ١ سنة ١٩٥٧

٢ - ادريس ، سهيل . محاضرات من القصة في لبنان ، ص :

٣ - نفسه = = = = = ص :

٦- الترجمات :

- |  |                                    |
|--|------------------------------------|
| لجون بول سارتر                                 | ١- دروب الحريه . . .               |
| لا لبير كامور                                  | ٢- الداعون . . .                   |
| جان بول سارتر                                  | ٣- الايدى القذره . . .             |
| و . م . الپوريس                                | ٤- سارتر والوجوديه . . .           |
| سيمون دى بولوار ( مسرحية في فصلين )            | ٥- الاقواه اللامجديه . . .         |
| تشارلز مورغان ( الكاتب الانكليزى ) عن الفرنسيه | ٦- البلور المحرق . . .             |
| روبير دولوييه                                  | ٧- كامو والتعمد . . .              |
| لانطون تشيخوف                                  | ٨- بستان الكرز . . .               |
| لعمانوئيل رولس                                 | ٩- الحقيقه ماتت . . .              |
| عمانوئيل رولس                                  | ١٠- ثمن الحريه . . .               |
| لجان بول سارتر                                 | ١١- موتى بلا قبور . . .            |
| مسرحيتسان                                      | ١٢- النهي . . .                    |
| جانين اوريانو                                  | ١٣- دريس . . .                     |
| أميل غيرى                                      | ١٤- العدالة الاجتماعيه . . .       |
| جان بول سارتر                                  | ١٥- الفثيان . . .                  |
| سيفريد هانك ( الالمانية ) نقله عن الفرنسيه     | ١٦- شمس العرب تسطع على العرب . . . |
| جان بول سارتر                                  | ١٧- سيرتي الذاتيه . . .            |

مصادر البحث ومراجعته

=====

أولاً : المقالات :

- ١ - المقابلة مع الدكتور سهيل ادريس .
- ٢ - ارشادات الأب ميشال الأر .
- ٣ - ارشادات الأستاذ المشرف .

ثانياً : الصحف والمجلات ؟

- "مجلة الآداب" ، منذ سنة ١٩٥٣ ولنهاية ١٩٧٥ .  
نشرة خاصة صادرة عن دار الآداب من أربع صفحات .

ثالثاً : الكتب :

- ١ - ابن سينا رسالة حي بن يقظان ، ورسالة القدر - ليدن ، طبعة لندن
- ٢ - ابن منظور لسان العرب دار لسان العرب بيروت ١٩٦٨ م
- ٣ - ابن النديم الفهرست
- ٤ - ابويصير ، صالح مسعود جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن ، دار الفتح للطباعة والنشر ط ٣ بيروت ١٩٧٠ م .
- ٥ - ابو شبكان ، الياس روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة دار المكشوف - بيروت ١٩٤٣ م
- ٦ - ادريس ، سهيل الحي اللاتيني
- ٧ - ادريس ، سهيل الخندق العميق
- ٨ - ادريس ، سهيل أصابعنا التي تحترق
- ٩ - ادريس ، سهيل مجموعة "اشواق" دار العلم للملايين ط ١ بيروت ١٩٤٧ م
- ١٠ - ادريس ، سهيل نيران وتلوح = = = = = ١٩٤٨ م
- ١١ - ادريس ، سهيل كلهن نساء = = = = = ١٩٤٩ م
- ١٢ - ادريس ، سهيل القممع المر = = = = = ١٩٥٦ م
- ١٣ - ادريس ، سهيل رحماك يادمشق دار الآداب ، بيروت ١٩٦٥ م
- ١٤ - ادريس ، سهيل العراق = = = = = ١٩٧٤ م
- ١٥ - ادريس ، سهيل محاضرات عن القصة في لبنان ، جامعة الدول العربية
- ١٦ - ادريس ، سهيل معهد الدراسات العربية العالية ط ١ ١٩٥٧ م
- ١٧ - ادريس ، سهيل قاموس المنهل / عربي فرنسي دار الآداب ، ودار العلم للملايين ط ٣ بيروت ١٩٧٣ م .
- ١٧ - ادريس ، سهيل مجلة الآداب = ١٩٥٣ م

- ١٨ - أنيس ، إبراهيم . من أسرار اللغة . مكتبة الانجلو المصرية ط ٢ القاهرة  
١٩٦٦ م
- ١٩ - أنيس المقدسي . الفنون الادبية وأعلامها . دار الكتاب العربي بيروت ١٩٦٢ م
- ٢٠ - بدره عبدالمحسن . تطور الرواية العربية . دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٢ م
- ٢١ - بليخانوف . الفن والحياة الاجتماعية / ترجمة احسان حسني وتوفيق عبدالنافع  
طلحات دار ابن الوليد .
- ٢٢ - بيكون ، غايتان . الادب الفرنسي الجديد / ترجمة نبيصقر وانطون الشمالي دار  
عويدات ط ١ بيروت ١٩٦٢ م
- ٢٣ - بيوي السباعي . تاريخ القصة والنقد في الادب العربي مكتبة الانجلو المصرية -  
القاهرة ١٩٥٦ م
- ٢٤ - تشارلتون . فنون الأدب / ترجمة زكي نجيب محمود
- ٢٥ - تيغم ، فان . الرومانطيقية : نشأتها ، فلسفتها ، قضاياها ، آثارها -  
مطبعة الرسالة ، مصر .
- ٢٦ - تيمور ، محمود . دراسات في القصة والمسرح مكتبة الآداب ، القاهرة
- ٢٧ - = = . محاضرات في القصص في أدب العرب معهد الدراسات العربية  
القاهرة ١٩٥٨ م
- ٢٨ - جبران خليل جبران . المجموعة الكاملة . قدم لها وأشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة  
/ دار صادر للطباعة والنشر - بيروت ١٩٦٤ م
- ٢٩ - الجندي ، أنور . المحافظة والتجديد في النثر العربي المعاصر في مائة عام .  
( ١٨٤٠ - ١٩٤٠ م ) مطبعة الرسالة - مصر ١٩٦١ م
- ٣٠ - جوميه ، الأبج . ثلاثية نجيب محفوظ / ترجمة نظمي لوقا . مكتبة مصر ط ١ -  
القاهرة ١٩٥٩ م .
- ٣١ - الجوهرى ، اسماعيل / الصحاح في اللغة والعلم . دار الحضارة العربية بيروت ١٩٧٤ م  
بن حماد . اعداد نديم وأسامة مرعشلي .
- ٣٢ - حمزة ، عبداللطيف المدخل في فن التحرير الصحفي دار الفكر العربي ط ٣ ١٩٦٥ م
- ٣٣ - الحوفي ، احمد محمد الحياة العربية من الشعر الجاهلي مكتبة مصر ط ٤ القاهرة  
١٩٦٢ م .
- ٣٤ - دارين اوستن ، ورنيه بليك . نظية الأدب . المجلس الاعلى لرعاية الفنون والادب  
والعلم الاجتماعية ط ١ ١٩٧٢ م
- ٣٥ - دى طرازي ، فيليب . تاريخ الصلحة العربية . المطبعة الادبية - بيروت ١٩٦٢ م
- ٣٦ - الرشيدات ، شفيق فلسطين ( تاريخا وعبرة ومصيرا ) دار النشر المتحدة للتأليف  
والترجمة ط ١ بيروت ١٩٦١ م

- ٣٧ - الرئيس، محمد ضياء الدين تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية ، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٠ م
- ٣٨ - زعيترة، اكرم القضية الفلسطينية دار المعارف بمصر - مصر ١٩٥٥ م
- ٣٩ - السطر، عبد الحميد جوده القصة من خلال تجاربي الذاتية ، معهد الدراسات العربية العالية القاهرة ١٩٦٠ م
- ٤٠ - السعمران ، محمد علم اللغة دار المعارف بمصر ط ١ مصر ١٩٦٢ م
- ٤١ - سوبول ، ألبير تاريخ الثورة الفرنسية دار عويدات ط ١ بيروت ١٩٧٠ م
- ٤٢ - سلام ، احمد زغلول دراسات في القصة العربية الحديثة ؛ مكتبة الانجلو المصرية - القاهرة ١٩٦٤ م
- ٤٣ - شكرى ، غالي ازمة الجنس في القصة العربية الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ط ١ القاهرة ١٩٧١ م
- ٤٤ - صابات ، خليل تاريخ الطباعة في الشرق العربي ؛ دار المعارف القاهرة ١٩٥٨ م
- ٤٥ - صليبا ، جميل الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأشهرها في الأدب الحديث
- ٤٦ - الصليبي ، كمال سليمان ؛ تاريخ لبنان الحديث دار النهار، بيروت ١٩٦٧ م
- ٤٧ - ضيف ، شوقي في النقد الادبي الحديث دار المعارف ط ٢ القاهرة ١٩٦٦ م
- ٤٨ - طبانة ، بدوى التيارات المعاصرة في النقد الادبي ؛ مكتبة الانجلو المصرية ط ١ القاهرة ١٩٦٣ م
- ٤٩ - عبد الله، محمد حسن الواقعية في الرواية العربية دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٧١ م
- ٥٠ - عبود ، مازن جدد وقدماء دار الثقافة ، بيروت ١٩٥٤ م
- ٥١ - العقاد ، عباس محمود ألوان فن القصة الاميركية في الادب الامريكي - مكتبة الانجلو المصرية ط ٢ القاهرة ١٩٦٣ م
- ٥٢ - علي اسعد احمد فن المنتجب العائلي وعرفانه دار النعمان بيروت ١٩٦٨ م
- ٥٣ - = = مجتمع العربية وشخصيتهم في البلاغة الانسان الجديد بيروت ١٩٧٤ م
- ٥٤ - = = الانسان والتاريخ في شعر أبي تمام منشورات دار النعمان ط ١ ١٩٧٠ م
- ٥٥ - = = الطلاب وانسان المستقبل دار الرائد العربي ط ١ ١٩٧١ م
- ٥٦ - = = لانك جيني / اواسطورة الشعراء ، التعاونية اللبنانية ط ١ بيروت ١٩٧٤ م
- ٥٧ - = = الاسلام كما بدا دار الكتاب اللبناني ط ١ بيروت ١٩٧٢ م
- ٥٨ - علي خليل الاحمد زكي الارسوزى ودور اللسان في بناء الانسان / رسالة ماجستير ، نوقشت في معهد الآداب الشرقية ١٩٧٤ م

- ٢٥٩ - فراج ، عبدالستار تاج العروس مطبعة الحكومة بالكويت ط ١ / ١٩٦٠ م  
( حمد تحقيق )
- ٢٦٠ - فرنيل ، جون ترجمة محمد مفيد الشوباني دار الفكر العربي  
اللغة / ترجمة عبدالحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص مكتبة  
٦١ - قندرس ج الانجلو المصرية ط ١ / ١٩٥٠ م
- ٢٦٢ - كحالة ، عمر اللغة العربية وعلومها مكتبة النسر بدمشق - دمشق ١٩٧١ م
- ٦٣ - كرم انطون غطاس الرمزية والادب العربي الحديث دار الكشاف ، بيروت ١٩٤٩ م
- ٢٨٤ - لبكي ، صلاح لبنان الشاعر نشر معهد الدراسات العربية العالمية  
١٩٥٤ م
- ٢٦٥ - مروة ، اديب الصحافة العربية دار مكتبة الحياة ط ١ بيروت ١٩٦١ م
- ٢٦٦ - المسعودي مروج الذهب القاهرة ١٩٣٤٦ هـ ١٩٢٧ م
- ٦٧ - بوين آدوين بناء الرواية / ترجمة ابراهيم الصيرفي ، الدار المصرية للتأليف والنشر
- ٦٨ - ناديف ، مصطفى مشكلة المعنى في النقد الحديث مكتبة الشباب بالمنيرة مصر
- ٦٩ - نجم ، محمد يوسف فن القصة - بيروت دار الثقافة ط ٥ / ١٩٦٦ م  
القصة في الادب العربي الحديث من (١٨٧٠ - ١٩١٤ ط ٣ / ١٩٦٦ م
- ٧٠ - النساج ، محمد حامد القصة القصيرة في مصر
- ٧١ - هايمن ستايلي ، النقد الادبي ودراسة ته الحديثة دار الثقافة ط ١ بيروت ١٩٥٨ م
- ٧٢ - هلال ، محمد غنيمي الادب المقارن دار الثقافة ودار العودة ط ٥ بيروت
- ٧٣ - وافي ، علي عبدالواحد علم اللغة لجنة البيان العربي ط ٣ / ١٩٥٠ م
- ٧٤ - ياغي ، هاشم القصة القصيرة في فلسطين والاردن - معهد البحوث والدراسات  
العليا - القاهرة ١٩٦٦ م
- ٧٥ - اليسوي ، الاب هنري فليش العربية الفصحى نحو بناء لغوى جديد ، المطبعة  
الكاثوليكية ١٩٦٦ م

- ٧٦

٧٧ القانون الأساسي والنظام الداخلي لاتحاد الكتاب اللبنانيين - بيروت ١٩٧٠ م

٧٨ دائرة المعارف لاروس الكبرى في اللغة الفرنسية ط ١ باريس ١٩٦٨ م

٧٩ الموسوعة العربية الميسرة - دار العلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة القاهرة ط ٥ / ١٩٦٥ م

- André le Breton. Le Roman Français

- F. C. Green. French Novelist

- Holcraft. Saint Jva letter 79 cité par le Gazamian.

- P. Hazard DoQ Quichotte paris 1949

محتويات الرسالة

=====

١٠	-	١	.....	المقدمة
٣٧	-	١١		<u>الباب الأول</u>
				سهيل ادريس
١٤	-	٣	.....	المدخل
٢٤	-	١٤		الفصل الاول : مناشط حياته ( ١٩٢٥م - ١٩٢٥م )
٣٧	-	٢٥		الفصل الثاني : آفاق عصره في بيئته : لبنان وفرنسا
			.....	الخاتمة
٦٣	-	٢٨		<u>الباب الثاني</u>
				القصة ، اطارا ، وتخطيطا
			.....	المدخل
٥٢	-	٤٠		الفصل الاول : القصة في اللغة والاصطلاح والتاريخ
٦٣	-	٥٣		الفصل الثاني : فن القصة
			.....	الخاتمة
١٦٦	-	٦٤		<u>الباب الثالث</u>
				أعمال سهيل ادريس
٩٨	-	٦٦		الفصل الأول : أفايصح سهيل ادريس
٧٥	-	٧٠		مبحث أول : قصة العراء
٨٤	-	٧٦		مبحث ثاني : قصة القراءة في الصيون المفضلة
٩٠	-	٨٥		مبحث ثالث : أشواق
٩٨	-	٩١		مبحث رابع : رحماك يادمشق
١٦٦	-	٩٩		الفصل الثاني : روايات سهيل ادريس
١٢٠	-	١٠٠		مبحث أول : رو الخندق العميق
١٣٨	-	١٢١		مبحث ثاني : الحي اللاتيني
١٥٥	-	١٣٩		مبحث ثالث : أصابعنا التي تحترق
١٦٦	-	١٥٦		مبحث رابع : روايات سهيل ادريس في مرايا النقاد
				الخاتمة

الباب الرابع

نشاطات سهيل ادريس

٢٢٧ - ١٦٧

المدخل

١٨٦ - ١٦٩

الفصل الاول : مجلة الآداب

١٩٢ - ١٨٧

الفصل الثاني : أعمال روية

٢٠٤ - ١٩٤

الفصل الثالث : اتحاد الكتاب اللبنانيين

٢١١ - ٢٠٤

..... الخاتمة

٢٢٧ - ٢١٢

..... الملحق

٢٣١ - ٢٢٨

..... المصادر والمراجع